الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين "سطيف 02"
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات

في النص الأدبي القديم

إعداد الأستاذة "سعاد ترشاق"

الموسم الجامعي:
2017-2016

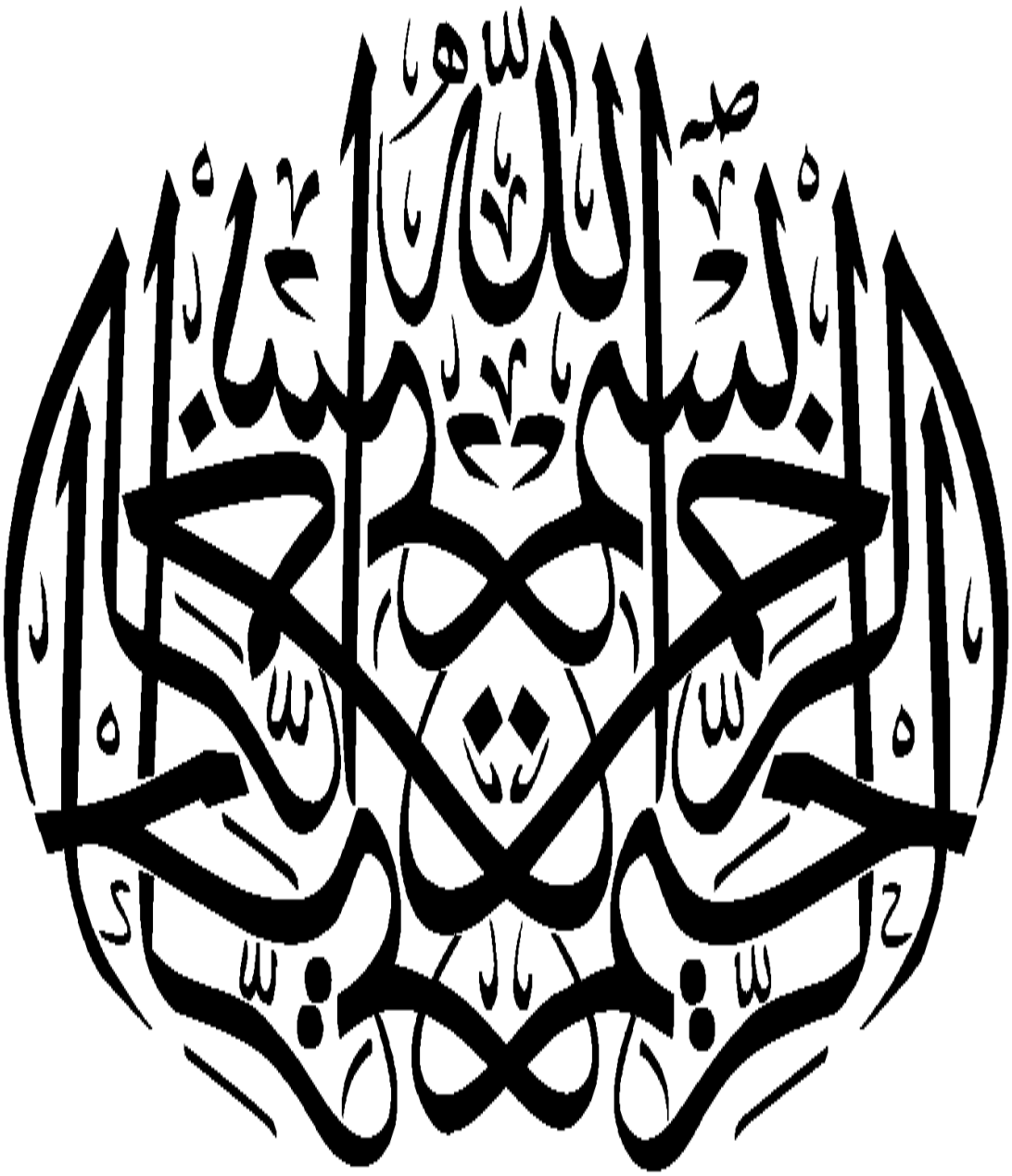
بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الليسانس: الأدب العربي

السداسي الأول

المدة الزمنية المقررة: ساعة ونصف

الأستاذ المسؤول على المادة:

المادة المقدمة: النص الأدبي القديم (شعر) محاضرة

أهداف التعليم:

-التعرف على فنون الشعر العربي القديم الأنواع الأغراض والوظائف

-التعرف على الظروف التاريخية والحضارية التي أسهمت في إنتاجه وأثّرت فيه

-الوقوف على أبرز أعلامه وقضاياه

-التعرف على الخصائص الفنية والأسلوبية والموضوعاتية للشعر العربي القديم والتيارات التي تجاذبته

المعارف المسبقة المطلوبة:

-أن يكون الطالب على معرفة بعصور الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي فالمغربي والأندلسي

-أن يكون على معرفة بأبرز وأشهر الشعراء العرب القدامى

-أن يكون على معرفة بأبرز الأغراض الشعرية القديمة

محتوى المادة:

المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

المحاضرة الثانية: المعلقات مضامينها وأساليبها (نصوص من معلقة زهير بن ابي سلمى- معلقة امرئ القيس- معلقة عنترة....)

المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك (نصوص... لامية العرب للشنفرى)

المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات (نصوص للقادة والجنود...)

المحاضرة الخامسة: المراثي النبوية (نصوص لمراثي الصحابة/ نصوص لحسان بن ثابت...)

المحاضرة السادسة: شعر النقائض (نصوص من نقائض جرير والأخطل والفرزدق)

المحاضرة السابعة: الشعر العذري والشعر العمري (نصوص من شعر جميل بن معمر/ نصوص من شعر عمر بن أبي ربيعة)

المحاضرة الثامنة: شعر الزهد والتصوف (نصوص من المشرق والمغرب. أبو العتاهية. ابن الفارض...)

المحاضرة التاسعة: شعر الحماسة (نصوص لأبي تمام/ البحتري... الزوزني. الشاطبي. الحماسة المغربية لأبي الحجاج يوسف البياتي... الكوراني...)

المحاضرة العاشرة: الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات. الشيعة. الخوارج. السجون. رثاء المدن...)

المحاضرة الحادية عشر: الشعر الفلسفي وشعر الحكمة (نصوص لأبي العلاء المعري/ نصوص للمتنبي/ نصوص لابي تمام...)

المحاضرة الثانية عشر: الموشحات والأزجال (نصوص لابن زمرك/ نصوص للسان الدين ابن الخطيب...)

المحاضرة الثالثة عشر: الأدب الأندلسي (نصوص من أشعار ابن زيدون...)

المحاضرة الرابعة عشر: نصوص من الشعر الجزائري القديم (بكر بن حماد التاهرتي...)

مقدمة:

يقتضي التخصص في ميدان اللغة والأدب العربي التدرج في المعارف المرتبطة بالميدان، وتأتي المعرفة بالشعر على رأس تلك المعارف لما له من خصوصية في الثقافة العربية، وبما أن الأمر كذلك، فلابدّ من اتباع التدرج الزمني لظهور هذا الموروث الأدبي واللون الفني، إذ تقتضي طبيعة الأشياء التدرج في معرفة خصائصها ومظاهرها عبر الأزمنة بدءا بمراحلها الأولى، وهو موضوع هذه المحاضرات الموسومة بـــ: <<محاضرات في النص الأدبي القديم – شعر– >>، والمقررة لسنوات السنة الأولى ل م د تخصص لغة وأدب العربي.

وقد راعيت أثناء إعدادها أمرين مهمين، الأول منهما عامل الزمن، إذا حاولت التقيد بالفترة الزمنية المحددة للمحاضرة الواحدة ضمانا لتغطية جميع المحاور المقررة في السداسي. والأمر الآخر هو المستوى، فهذه المحاضرات موجهة لمستوى السنة الأولى ليسانس القادمين من مرحلة الثانوي، لذلك حاولت عدم تعقيد المحاور حتى يسهل على الطلاب استيعاب ما تحمله من معلومات إلى غاية تكونهم وتدرجهم خاصة وأن الكثير منها سيتم تناوله في مراحل تعليمية لاحقة وبتفصيل أكبر، ما جعلني أركز أكثر على العصور الأدبية وكذا أبرز الظواهر الأدبية التي أبدع فيها الشعراء القدامى مشارقة ومغاربة حسب ما هو مقرر، فتناولت في المحاضرات الأولى والثانية والثالثة الشعر الجاهلي بدءا بالظروف التاريخية والجغرافية التي كانت وراء إنتاجه ضمن محاور الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا، وشعر المعلقات وشعر الصعاليك. ثم تلتها محاضرتين في موضوع الشعر في صدر الإسلام بعنوان: الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات، والمراثي النبوية، وبعدها كان للعصر الأموي حظ من الدراسة عبر محاضرة في شعر النقائض إذ اختص العصر الأموي بالنقائض لما جاء فيه من تغيرات سياسية واجتماعية هبّت على المجتمع العربي وأدت إلى انتشار هذا اللون الشعري، إضافة إلى محاضرة أخرى وهي الشعر العذري والشعر العمري ممثلين بأشعار جميل بن معمر العذري، وعمر بن أبي ربيعة من شعراء العصر الأموي. وأما ما تلا ذلك من محاضرات فتناولت الموضوعات الآتية:

– موضوع شعر الزهد والتصوف في المحاضرة الثامنة.

– موضوع شعر الحماسة تعريفا وتمثيلا في المحاضرة التاسعة.

– موضوع الشعر السياسي في المشرق والمغرب في المحاضرة العاشرة، وقد تناولت شعر الفتوحات والخوارج والشيعة وشعر السجون للتمثيل على النماذج المشرقية، بينما ركزت على شعر رثاء المدن والمماليك الزائلة ضمن النماذج المغربية.

– موضوع الشعر الفلسفي وشعر الحكمة من خلال أشعار لأبي تمام وللمتنبي ولأبي العلاء المعري وغيرهم. وتبعت هذه المواضيع محاور تناولت الشعر في الأندلس من خلال ظاهرتين برع فيهما الأندلسيون وهما: الموشحات والأزجال أولا، والشعر الأندلسي وما يتسم به من تجديد على مستوى الموضوعات كوصف الطبيعة والرثاء.

وخدمة لذلك اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع تنوعت بين القديمة والحديثة، تأكيدا على المعلومة وتوثيقا لها وتمكينا للطلبة للتعرّف على بعض الدراسات والبحوث التي أنجزت حول موضوعات الشعر القديم، تتقدمها دواوين الشعراء بوصفها الركيزة في استخراج الشواهد والخصائص كدواوين أصحاب المعلقات، والصعاليك ودواوين كل من حسان بن أبي ثابت وأبي العتاهية وأبي نواس وأصحاب النقائض وابن عبد ربه وغيرها، إضافة إلى كتب ودراسات تراوحت بين التاريخية والتحليلية والنقدية منها: كتاب (الشعر الجاهلي حصاد قرن) لصاحبه عفيف عبد الرحمان، وكتاب مصطفى صادق الرافعي (تاريخ آداب العرب)، وكتاب يحي الجبوري (الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه)، وكذا ما كتبه شوقي ضيف عن تاريخ الأدب العربي عبر عصوره: الجاهلية والأموية والعباسية.

كما ساهمت الشروحات التي قام بها القدامى حول موضوعات الشعر القديم في تيسير المهمة ككتاب أبي زكريا يحي بن علي التبريزي (في شرح القصائد العشر)، و(شرح شعر الحماسة لأبي تمام). وكان للقواميس والمعاجم دور في تقريب المعلومة حيث اعتمدت عليها لضبط التعريفات اللغوية كلما وجدت ضرورة لذلك، ومن القواميس المعتمدة: (لسان العرب) لابن منظور، (الصحاح تاج العروس وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري.

ولا يفوتني أن أذكّر بالصعوبات التي واجهتها أثناء إعداد هذه المحاضرات وهي ضبط الوقت حتى يتسنى تقديم المحاضرات فيما هو مسموح لها من الوقت خاصة وأن بعضها يتضمن محاور عديدة ما دفعني إلى اختصار المعلومة قدر الإمكان.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في اختيار المادة لإفادة الطلبة.

المحاضرات

المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا:

مخطط المحاضرة:

أولا: الإطار الجغرافي والثقافي للشعر العربي

ثانيا: الشعر الجاهلي

ثالثا: أوليات الشعر الجاهلي

رابعا: خصائص الشعر الجاهلي

خامسا: فنون الشعر العربي القديم

أولا: الإطار الجغرافي والثقافي للشعر العربي:

الشعر العربي هو الشعر الذي عرف به العرب من سكان شبه جزيرة العرب، وهي البلاد الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من القارة الآسيوية بين خطي طول (35) و(60) درجة شرقا وخطي عرض (12) و(37) درجة شمالا، والتي يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب خليج عدن والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي، ويحدها من الشرق والغرب والجنوب سلسلة جبال بركانية، كما تتوفر على سهول وسواحل تختلف من حيث الاتساع والضيق، وبها هضبة داخلية تسمى الربع الخالي والنفوذ الكبرى والدهناء وهضبة نجد.[1]

وهذا التنوع في التضاريس وما تبعه من تنوع في المناخ، حكم على حياة العرب وأنشطتهم بالتنوع، كما ووجه أساليب الحياة عندهم بحيث عرفت مناطق منها ممارسة الزراعة لاستقرار الساكنة، وعرفت أخرى بالتنقل وباتخاذ الرعي مهنة سعيا منها للتغلب على ظروف المناخ القاسية، إضافة إلى سلسلة أخرى من الإجراءات منها: اللباس الخاص وتربية نوع معين من الحيوانات يتقدمها الجمل لقدرته على تحمل أعباء الصحراء ومشاق السفر الطويل، واتخاذ الخيام مسكنا لسهولة ترتيبها وحملها كلما دعت الحاجة للسفر.

وقد سنّ العرب لأنفسهم مجموعة من القوانين والنظم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقرار، فاتخذوا من القبيلة شريعة ودستورا يجمعهم تحت مظلة الولاء والعصبية لنظام واحد، ممّا ساعدهم على الاجتماع، قال عبد الرحمان عفيف: <<فالعصبية ضرورية لتثبيت الاستقرار في حياة القبيلة، لأن قوتها

[1]-عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 1428 هـ، 2007 م، ص: 18.

في بطن من القبيلة يجعل القبيلة تسلم أمر قيادتها إلى تلك العصبية، وبالتالي فإن نظام القبيلة السياسي يبقى مستقرا، ويبقى الحكم في يد تلك العصبية إلى أن توجد عصبية أقوى منها وعندما توجد أكثر من عصبية قوية في القبيلة الواحدة تنقسم القبيلة إلى أقسام صغيرة تستقل كل بإدارة شؤونها، وقد يؤدي تضارب مصالحها واشتباكها إلى اختلافها وتحاربها>>.[1]

وفي الشعر العربي من الشواهد ما تؤكد ولاء الفرد منهم لقبيلته كقول أحدهم:[2]

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ثانيا: الشعر الجاهلي:

هو الشعر المنسوب للعرب في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام. ويضم قصائد الفحول من الشعراء المعروفة بالمعلقات، وكذا ما نظمه العرب من قصائد ومقطوعات تعبر عن الحياة الجاهلية القبلية كتلك التي نظمها الصعاليك.

والشعر الجاهلي أفضل ما يمثل الحياة الجاهلية، فقد اتفق النقاد والمؤرخون على أن العرب لم تهتم بشيء من موروثها كاهتمامها بالشعر، لما وجدته فيه من أهداف، ولما حققه لها من غايات. قال الجبوري: << الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية، والصورة الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم، فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة والمعاني الدقيقة الموحية ما يجعله يعد بحق ذروة الشعر العربي، وقد كان القدوة المثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الأموية والعباسية، يسعون إلى تقليده ومحاكاته، وقد بقي أثر الشعر الجاهلي واضحا في شعر العصور المتأخرة، ومازال سلطانه في نفوس قارئيه وسامعيه بماضيه من أصالة وجمال في التعبير ودقة في المعاني ونضج فني وموسيقى ولغوي كبير>>.[3]

والحقيقة نفسها يؤكدها القدامى، فقد قال العسكري: <<كذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها ومستودع علومها>>.[4]

---

[1]– المرجع السابق، ص:45.

[2]–المرجع نفسه، ص:45.

[3]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1407هـ، 1986م، ص:121.

[4]– أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط 1، 1371 هـ، 1952 م، ص:138.

وقال ابن سلام: <<وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون به وإليه يصيرون>>، وقال عمر ابن الخطاب: <<كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه>>[1].

ونتيجة لذاك الاهتمام والإقبال، ترك الشعر أثرا واضحا على العرب ثقافيا، فقد ساعدهم على توحيد طباعهم وعاداتهم ومثلهم، كما صقل لغتهم ووحّد لهجاتهم، ولعل هذه أسمى غاياته –إضافة إلى تأثيره الاجتماعي– بحيث ساهم في إشاعة مثُلِ الكرم والضيافة والنجدة والرفعة وحماية العرض والقبيلة. وفي تاريخ العرب ما يؤكد صلتهم العميقة بالشعر، كما حدث مع بني أنف الناقة وقد قال فيهم الحطيئة:[2]

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوّي بأنف الناقة الذنب

وقصة الأعشى في مدح المحلق مشيدا بكرمه وعراقة نسبه حتى توافدت العرب عليه يخطبون بناته.[3] وحسان بن ثابت الذي أفسد على الحارث ابن كعب المجاشعي رهط النجاشي تطاوله:[4]

حار بن كعب ألا الأحلام تزجركم عنا وأنتم من الجَوفِ الجماخير

لا بأس لقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

ذوو التخاجؤ وأُمشُوا مشيةً سَجُحًا إن الرجال ذوو عصب وتذكير

لذلك كانت العرب –كما قال ابن رشيق– إذا نبغ فيهم الشاعر هللت وأقامت الأفراح،[5] لأنه أشبه ما يكون بجهاز إعلامي ضخم لشدة تنقل كلامه وانتشاره بين القبائل [6] بما يؤديه من مهام كالدفاع عن القبيلة وإشاعة أخبارها والإشادة ببطولاتها في حال الانتصار، والتخفيف عنها في حالة الانهزام.

---

[1]–ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، دراسة طه أحمد إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م، ص: 22.

[2]–ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1993م، ص: 45.

[3]–ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ج 1، ص: 37. ينظر: عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص: 20.

[4]– ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: شرح عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م، ص: 129. **الجماخير**: جمع جمخور الواسع الجوف كناية عن الضعيف. **المشي السجح**: اللين. **التخاجؤ**: التكبر والتبختر. **العصب**: شدة الخلق.

[5]–ابن رشيق: العمدة، ج1، ص: 53. عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر، ص: 20.

[6]–عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، ص: 30.

وموضوع اهتمام العرب بالشعر له أكثر من دليل كحرصهم على روايته جماعات وفرادى بشكل يوحي أن فعل الرواية كان محكما ومهمّا ومضبوطا، تؤديه مجموعة معينة من الأفراد[1]، إضافة إلى ظهور طبقة من الرواة المحترفين الذين تفرغوا لرواية الشعر وجمعه من منابته الأصلية الفصيحة في البوادي والقبائل التي لم تدنسها لغات ولهجات أعجمية ولا ثقافات دخيلة أمثال حماد الراوية (ت 156 أو 164هـ) والمفضل الضبي (ت 170هـ) وخلف الأحمر (ت 180 هـ) ومحمد بن السائب الكلبي (ت 146 هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ).[2]

كما حظي –على الصعيد الرسمي– باهتمام الخلفاء فحرصوا على أن يتعلمه أبناؤهم بجلب أشهر الرواة والحفظة حتى يتزود أبناؤهم بحظ وافر منه حفظا للغتهم وذاكرتهم، وزيادة في تثقيفهم.

ثالثا: أوليات الشعر الجاهلي:

من أوائل النقاد الذين حاولوا تحديد فترة زمنية لميلاد الشعر الجاهلي ابن سلام الجمحي بقوله: <<لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قصّدت القصائد وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف...>>[3]، وكذا الجاحظ بقوله: <<وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، وأول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له –إلى أن جاء الله بالإسلام– خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام>>[4]، ومن المحدثين نقرأ قول يحي الجبوري: <<ولابد أن يكون للشعر تاريخ طويل قطع فيه أشواطا من الصناعة والدربة حتى استقام واكتمل على هذا الشكل الموزون المقفى، ذي الأسلوب الموجز الجميل، والخيال الخصب، والتعبير الدقيق الذي لا لغو فيه وال تطويل، وفي لغته المتينة الجارية وفي أصول متسعة في ذلك الشعر، وإن المعلقات التي بلغت مرتبة كبيرة من النضج الفني، ونالت إعجاب القدماء والمحدثين، كانت نتيجة دربة ومران طويل في صناعة الشعر.>>[5]

---

[1]– ينظر موضوع رواية الشعر: ابن رشيق: العمدة، ج1، ص: 178. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص: 27.

[2]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط11، ديسمبر 1960، ص: 146 وما بعدها.

[3]– محمد بن ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، ص: 35.

[4]– الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1942، م1، ص: 84.

[5]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص: 127. وينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 188.

وهذا الذي قال به غيره من الدراسين ومنهم الرافعي.[1]

وفي الشعر الجاهلي ما يدل على أنه كان يحاكي نماذج سابقة عنه كقول امرئ القيس:[2]

خليلي عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وقول عنترة بن شداد:[3]

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

رابعا: خصائص الشعر الجاهلي:

1/: الطابع البدوي:

صور ومعاني الشعر الجاهلي صحراوية بدوية تعبر عن حياة الصحراء مناخا ونباتا وحياة ومعيشة بكل تنوعاتها من استعارات وتشبيهات ومجازات، نلمح ذلك في تكرار الحديث عن الإبل والناقة، والخيام وما يتصل بها، والنباتات الصحراوية وهذه عماد الحياة الجاهلية البدوية. قال يحي الجبوري: <<ويستطيع المرؤ أن يفسر كل مظاهر الشعر ومعانيه وصوره وخياله ومفرداته اللغوية وموصوفاته ونوازع الشاعر وأفكاره ومثله وخلقه وعاداته وعصبيته، على أنها أصداء للبيئة وتصوير لها، ولم يسلم من هذا الأثر حتى أولئك الذين سكنوا بيئات أخرى أو بعد بهم الزمان فعاشوا في قرون لاحقة، وذلك لأن الشعر الجاهلي –بمؤثراته– أصبح قدوة يحتذى ونموذجا يتبع ومثالا يحاكى...>>.[4]

ولكن بدوية الشعر الجاهلي وتماهيه في وصف بيئته الحسية جعلته بسيطا لا يبدو خصبا من ناحية الخيال، وهذا ما يؤكده قول حنا الفاخوري: <<الجاهلي –إلى ذلك كله– ضيق نطاق الخيال والتخيل بسبب اشتداد المحسوسية عنده وسيطرة المادية على مجمل كيانه. وهو بعيد عن الاستقرار الذي يفسح المجال للتأمل الطويل العميق. ومن ثم تراه يعمد إلى الصور القريبة التي تتعقب المحسوس في جزئياته، وتراه يكثف مادة تشبيهه وتصويره، فيتحول عنده الخيال إلى تراكم ألفاظ وتشبيهات أكثر مما

---

[1]– ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ربيع الآخر 1359هـ، ماي 1940م، ط1، ج2، ص: 15.

[2]–ديوان امرئ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، 1425هـ، ص: 156. **عوجا:** أي اعطفا رواحلكما. **الطلل المحيل:** الذي مر عليه حول فتغير. **ابن خذام:** رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس وبكى عليها. ويروى: ابن حِذام وابن حمام.

[3]– ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1412 هـ، 1992م، ص: 147.

[4]–يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص: 198.

ينطلق في عالم الخلق التصويري والابتكار الشخصي بعيد المدى. ولهذا تجد صورة عنيفة في أحيان كثيرة، وتراه يكثر من الاعتماد على المادة الصوتية في غرابة اللفظ ورنة الوزن والقافية>>.[1]

2/ الوضوح والصدق:

بساطة معاني الشعر الجاهلي ووضوحها لا تحتاج إلى من يدلل عليها خاصة وأنها تعبر عن الإنسان في أبسط انفعالاته وأصدقها، بلا فلسفة بعيدة ولا تعال على الواقع والأحداث، وهما دون شك من آثار البيئة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد يحكم علاقات الأفراد فيها، ولا قوانين ووسائل عيش معقدة تنعكس على التفكير والعقل، لذلك تمكنوا من نقل الأحداث والحديث عن الأيام والأماكن والأشخاص بواقعية وبمسمياتها دون مبالغة، أو خيال جارف يعمي الحقيقة ويبهمها. قال حنا الفاخوري واصفا ذلك: <<وأما صراحة التصوير وصدقه فهما من ميزات البداوة والطفولة، وهما لازمان للشعر الجاهلي في جميع فروعه وتشعباته. والصراحة تحمل البدوي على تسجيل الواقع كما هو في غير اعوجاج ولا محاولة إخفاء.>>[2]، لذلك كانت العرب ترفض المغالاة في المعنى، كحكمها على قول مهلهل:

فلولا الريح أسمعت من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

ومن مظاهره أيضا أن أغلب الصور الجاهلية حسية فيها تشخيص يجعل قارئها يستشعر الصحراء ويعيش أجواءها.

وإن كانت هذه المادية الواقعية جعلت صور الشعراء واحدة متشابهة قائمة على مبدأ التوليد، فإنها أدت دورها من الإيضاح والتأكيد على اتحاد الشعر الجاهلي وارتباطه زمنيا بفترة البداوة العربية وبفترة ما قبل الإسلام. ومن أدلة صدقه قول عمرو بن معد يكَرِبَ:[3]

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكنّ الرماح أجرّت

وقد أراد بذلك: <<قومي لم يطعنوا بالرماح فأثني عليهم، ولكنهم فرّوا فأسكتّ كالمجرّ الذي في فمه الجِرار>>.[4]

---

[1]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986، ص:162.

[2]– المرجع نفسه، ص:161.

[3]– ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ط2، 1405هـ، 1985م، ص:72.

[4]– الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1998م، ط 7، ج 1، ص:214.

3/ دقة التعبير وحسن التصوير:

كثير من الشعر الجاهلي عبارة عن لوحات كاملة دقيقة التفاصيل، ولعل مقطع الطلل خير دليل على ذلك، وكذا مقطع وصف الرحلة ووصف الحيوان، على غرار وصف طرفة لفرسه ووصف زهير بن أبي سلمى لرحلة سفر قبيلته مع من يحب، ووصف الصعاليك لغاراتهم وآمالهم وآلامهم وحياتهم في المفاوز والغارات والجبال ومعاركهم ضد الموت والجوع والفقر. وفي ذلك قال يحي الجبوري: <<وتأتي أوصاف الجاهليين لوحات كاملات يوفرون لها كل أسباب الصور الدالة الموحية المؤثرة، فيها الجو الملائم من المكان والزمان واللون والحركة، وحتى الصوت في كثير من الأحايين، نجد ذلك في وصف الطبيعة الصامتة ... ونجد ذلك كذلك في وصفهم للحيوان حين يبينون لون بشرته وحركته حين يمرح وحين يغدو في ذهابه بعيدا يقضي شهور الشتاء، وفي عودته ساعيا نحو الماء، في هروبه من الصياد وكلابه وفي مقاتلته هذه الكلاب وهو يفري صفاحها...>>.[1]

ويدل على نوعية الوصف عند الجاهليين وعلى واقعيته لاستنباطه من بيئتهم قول امرئ القيس في وصف فرسه:[2]

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقوله في وصف الطبيعة:[3]

أحار ترى برقاً كأنّ وميضه كلمع اليدين في حبَّيْ مكلَّلِ
يضيء سنا أو مصابيح راهب أهان السليط في الذُّبالِ المفتَّل

---

[1]–يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص:220.

[2]– ديوان امرئ القيس، ص: 118، 119.

[3]– المصدر نفسه، ص:121.

وقول طرفة بن العبد في فرسه:[1]

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مِرقالٍ تروح وتغتدي

وقوله:[2]

تلاقى وأحيانًا تَبينُ كأنها بَنائقُ غُرٍّ في قميصٍ مُقدَّد

وأتلع نهاض إذا صعّدت به كسكان بوصيّ بدجلة مصعَد

خامسا: فنون الشعر العربي القديم:

1/ الغزل:

الغزل من فنون الشعر العربي التي ارتبطت بمشاعر ناظميه ومتلقيه على السواء، وقد عرف تطورات وتغيرات عبر تاريخ العرب، وتلون بألوان الحياة العربية والأذواق بها.

ويقوم أكثر الغزل على الوصف والتشبيب؛ ويحمل بعضه ذكريات المغامرات الغرامية التي يتخللها الحوار. ولكنه لم يظهر فنا مستقلاً بذاته، حيث كان عند شعراء الجاهليين غرضا من الأغراض المتعددة التي تشتمل عليها قصائدهم، إذ يستهل به ومنه يتم التنقل إلى غيره من المعاني، فقد<<أدرك شعراؤنا في العصر الجاهلي بالحسّ والحدس الصادقين، فضل الغزل على الأغراض الأخرى، فجعلوه مفتتح القصائد ليلفتوا إليهم الأسماع، ولينفذوا من الأسماع إلى القلوب بلا عناء ولا استئذان. وربطوا الطلل بالمحبوبة، فكان هذا الربط أصدق الأدلة على وفائهم للوطن والسكن، وعلى جعلهم المرأة أقوى الوشائج التي تشدّهم إلى منابتهم في الحلّ والترحال>>.[3]

كما جاء أغلب غزلهم وصفا للجمال الخارجي: كجمال الوجه والجسم، لذلك بدا غارقا في المادية النابعة من صميم الطبيعة الجاهلية. وقد يعزى ذلك إلى الصرامة والرقابة المفروضتان على المرأة العربية آنذاك ما جعل فرص اللقاء قليلة، وحصر اهتمام الشاعر في المظاهر الخارجية، ولعله –أيضا– السبب الذي جعل أغلب الشعراء الجاهليين يقصرون حديثهم عن المرأة ضمن الحديث عن الديار والآثار التي سكنتها كما هو الشأن في المعلقات، إلّا إذا استثنينا الشعراء الذين سمح لهم اتصالهم بالدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية –بلاد الروم والفرس–، ومشاهدتهم جمال النساء من القيان والجواري، بالتغزل بأوصافهن في صور واضحة كما يظهر من شعر طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم والأعشى وامرئ

---

[1]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ، ص: 61– **العوجاء:** الناقة الضامرة التي لحق ظهرها ببطنها. **المرقال:** السريعة في سيرها خببا.

[2]– المصدر نفسه، ص: 70.

[3]–فرهاد ديو سالار معصومة بويا: دراسة الغزل في العصر الجاهلي، الأربعاء ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٥.

القيس وغيرهم ممّن تفنن في وصف جمال المحبوبة، ومن نماذج هذا النوع من الشعر قول عمرو بن كلثوم التغلبي:[1]

تريك إذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل أدماءَ بكرٍ تربعت الأجارع والمتونا

ذراعي بكر حرّة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

ويسجل النقاد تميز الغزل عند امرئ القيس وتحرره من العادات الاجتماعية، فقد عدوه أول من تعهر بالنساء من الشعراء، قال مصطفى صادق الرافعي: <<وكان العرب عموما في الجاهلية ماعدا النابغة وامرؤ القيس على سنة أقوامهم من الغيرة والأنفة. ولذلك ظهر النسيب فيهم طبيعيا. فقامت فيه الطلول والآثار، وتشوقوا بالرياح العاتية والبروق اللامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وبكوا على آثار الديار العافية وأشخاص الأطلال الدائرة.>>[2]

وحجة ذلك أشعار كثيرة له كقوله:[3]

مهفهفة بيضاء غيرُ مُفاضَة ترائبها مصقولةٌ كالسجنجلِ

ثم شهد هذا الغرض تطورا في باقي العصور خاصة العصرين الأموي والعباسي، حيث عرف ظهور شعراء برزوا فيه بشكل لافت كعمر بن أبي ربيعة والشعراء العذريين أمثال جميل بن معمر في العصر الأموي، وأبي نواس وبشار بن برد وغيرهما في العصر الأموي، كما عرف انتشارا واسعا في الأندلس مرتبطا بحركة الغناء وبموجة التحرر التي شهدها المجتمع كما سيتم بيانه في محاضرات لاحقة.

---

[1]–أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ، ص:221، 222.

[2]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص:102.

[3]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:28. **المهفهفة:** خفيفة اللحم ليست رهلة ولا ضخمة البطن. **المفاضة:** المسترخية البطن. **الترائب:** جمع تريبة موضع القلادة من الصدر. **السجنجل:** وهي لفظة رومية وتعني: المرآة وقيل السبيكة من الفضة.

2/ الفخر:

الفخر من أغراض الشعر العربي، قال ابن رشيق: <<والافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح في المدح قبح في الافتخار...>>[1]

ظهر الفخر بقوة في الجاهلية لقيامه على مبدأ الفخر بالقبيلة وبالقوم، وهو ضرب من الحماسة يعني التغني بالفضائل والمثل العليا والفعال الطيبة، ويرد على ضربين: ضرب يركز على الفضائل المادية من قوة ونسب ومال وأولاد، وآخر يركز على الفضائل النفسية من كرم وحلم وشجاعة وأشهر ما ورد منه قول عمرو بن كلثوم في معلقته التي مطلعها:[2]

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

ففيها مقطع فخري تغمره الحماسة كقوله:[3]

أبا هند فلا تعجل علينا وأنذرنا نخبرك اليقينا

بأنّا نورد الرايات بيضا ونصدرهنّ بيضا قد روينا

وأيامٍ لنا غرٍّ طوالٍ عصينا المَلْك فيها أن نَدينا

وقول عمرو بن الأطنابة في قومه:[4]

غني من القوم الذين انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل

المانعين من الخنا جاراتهم والحاشدين على طعام النازل

والخالطين فقيرهم بغنيّهم والباذلين عطاءهم للسائل

والضاربين الكبش يبرق بيضه ضرب المجهجه عن حياض الآبل

---

[1]– ابن رشيق : العمدة، ج2، ص: 162.

[2]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:217.

[3]– المصدر نفسه، ص:224، 225.

[4]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي فنونه وخصائصه، ص:303.

ومن الفخر قول الأعشى في قومه مذكر بأيامهم وبطولاتهم وهو من معلقته "ودع هريرة":[1]

سائل بني أسد عنّا فقد علموا أن سوف يأتيك من أنبائنا شَكَلُ

واسألْ قُشيْراً وعبد الله كلّهم واسأل ربيعةَ عنّا كيف نفتعل

إنا نقاتلهم حتى نقتّلهم عند اللقاء إن جاروا وإن جهِلوا

3/ الهجاء:

الهجاء في أبسط تعريفاته سلب الآخر (المقصود به) كل المعاني التي هي في الغالب محور فخر العربي ومصدره كالكرم والشجاعة والجود والغنى وغيرها، لذلك اعتبره النقاد قديما نقيضا للمدح والفخر لقيامه على مبدئ سلب المهجو من كل فضيلة. قال الرافعي: <<لم يكن الهجاء عند العرب في اعتبار السباب والإفحاش، ولكنه سلب الخلق أو سلب النفس، أو فصل المرء من مجموع الخلق الحي الذي يؤلف قومية الجماعة وتركه عضوا ميتا يتواصفون ازدراءه ويحركه جسم الأمة وحركة جامدة كلما نهض أو تقدم>>[2]

والهجاء عند العرب قسمان: قسم يسمونه هجو الأشراف، ويقصدون به التعريض بالأحساب دون أن يبلغ السباب والفحش ويتجه صوب الأخلاق. وقسم يسمونه السباب، ويوجهونه للسفلة ممن يستحقونه، والأول أكثر ألما وإيلاما.[3] وقد وقع النهي عليه شرعا وعرفا، فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: <<من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر>>[4]، ولما أطلق عمر بن الخطاب الحطيئة لهجائه الزبرقان بن بدر قال له: <<إياك والهجاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال:المقذع أن تقول: هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم...>>.[5]

وإن كان الهجاء ينافي أخلاق الإسلام الداعية إلى كف أذى اللسان على الناس، فإنه، حين يصوب ناحية التعيير بالأيام والمعارك، يعد وثيقة تاريخية مهمة خاصة إذا ورد منسوبا لحادثة معروفة.

---

[1]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:303، 304.

[2]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص:73.

[3]– ينظر: ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ق1، م1، ص:546. ابن رشيق، العمدة، ج2، ص:189.

[4]– ابن رشيق : العمدة، ج2، ص: 189.

[5]– المصدر نفسه، ص : 189.

ويمس الهجاء الفرد كما يمس الجماعة إذا اتخذ القبيلة موضوعا له، وهذا أشدّ إيلاما للعربي، فقد روى ابن بسام أن علقمة بن علاثة بكى لما سمع بيت الأعشى:[1]

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائسا

وقد أهلك الشعر قبائل كثيرة كقول جرير يهجو الراعي النميري:[2]

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كما أساء قول النجاشي لقبيلة بني العجلان إساءة كبيرة:

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ العقب واحلب أيها العبد واعجل

وتسمى القصيدة "الفاضحة". ولمّا هدأت نار العصبية صار الهجاء غرضا كباقي الأغراض، لكن اشتهر في عصور أكثر من غيرها كالعصر الأموي الذي عرف عودة النقائض، فعاد الشعراء إلى عادة الهجاء وحمل راية ذلك جرير والأخطل والفرزدق. وغيرهم من شعراء العصر العباسي أمثال بشار بن برد، ودعبل بن علي الخزاعي، وابن الرومي ...

4/ المديح:

المديح موضوع من موضوعات الشعر العربي القديم قوامه الإشادة بالفضائل خاصة ما كان منه بعيدا عن التملق والتكسب، لصدوره عن عاطفة صادقة نحو الممدوح كما جاء في شعر زهير بن أبي سلمى، وقد خلدته مدائحه الصادقة فكان سبب تفضيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه له على باقي شعراء عصره. ومن مدائحه في ساعيا السلام الحارث بن عوف وهرم بن سنان:[3]

سعا ساعيا غيظ بن مُرّةَ بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كلّ حال من سحيلٍ ومُبرَمِ

---

[1]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ص:77.

[2]– ديوان جرير: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م، ص:63.

[3]– التبريزي: شرح المعلقات العشر، ص:111، 112. **تبزل**: تشقق. السحيل: خيط واحد لا يضم له آخر.

والمدح كغيره من الأغراض يصدر عن دوافع تحكم معانيه وتوجه العاطفة فيه، وكلما ابتعد عن الطمع والرغبة كان أليق بصاحبه. قد اشتهر النابغة بالتكسب، حيث كان يمدح المناذرة والغساسنة لذلك الغرض، ومن مدحه قوله، ويعد من أجود المدح:[1]

ألم تر أن الله أعطاك سوْرة ترى كلَّ مليكٍ دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ثم وقع عليه الابتذال أكثر بما نفخ فيه من مبالغة وإغراق في العصور المتأخرة لمّا آلت الأمور إلى الخلفاء والأمراء في العصرين الأموي والعباسي، فصار المدح ميدانا يتبارى فيه الشعراء عند أبواب الساسة والقادة يتنافسون فيما بينهم طمعا ورغبة، وصار أكثر الشعراء ينظمون فيه. وظهرت أسماء كثيرة ارتبطت بالبلاط أمثال جرير والفرزدق والمتنبي، ويعد الأخير ظاهرة من حيث خصوصية مدحه وأكثره كان في سيف الدولة الحمداني، ومثاله قوله:[2]

لكل امرئ من دهره ما تعوّدا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

وأن يكذب الإرجاف عنه بضده ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا

5/ الرثاء:

وهو من أغراض الشعر العربي، يتضمن في معانيه التعبير عن الفقد والحزن، إذ جاء عند اللغويين القدامى: رثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية أي: يبكيه ويمدحه. والاسم المرثية. والمترثي: المتوجع والمفجوع.[3] وقد أدى كباقي الأغراض غايات العربي النفسية الفردية والاجتماعية، بحيث كانوا يقومون برثاء الأقارب والأبطال من فرسان قبائلهم، لذلك ارتبط بالفخر والحماسة، وقد اشتهرت الخنساء به في بكاء أخويها صخرا ومعاوية، ومن أقوالها:[4]

كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض على الخدين مدرار

---

[1]– ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تح شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1388، 1968، ص:78.

[2]– ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 2، ص:3.

[3]– الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 286. ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، م 5، ص: 135.

[4]– ديوان الخنساء: دار صادر بيروت، لبنان، ص:49.

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ودونه من جديد التُربُ أستار

تبكي خُنّاس وما تنفك ما عمرت لها عليه رنين وهْي مقتار

وإن صخرا لتأتمّ الهداة به كأنه علَمٌ في رأسه نارُ

وأما معاني الرثاء فأغلبها بكاء الشجاعة والرفق واللين والكرم وطيب الأرومة والحلم ورجاحة العقل وقد اجتمعت في رثاء الخنساء كقولها:[1]

مُرّ الحوادث ينقاد الجليد لها ويستقيم لها الهيّابة البُومُ

قد كان صخر جليدا كاملا بَرِعًا جلْدَ المريرة تنْميه السلاجيمُ

فأصبح اليوم في رَمْسٍ لدى جدثٍ وسط الضريح عليه التَرب مركوم

خاتمة:

إذن، حفل الشعر الجاهلي خصوصا والعربي عموما بمواضيع شعرية كثيرة ترجمت مشاعر أصحابه ونقلت صورا حية عن نمط الحياة التي سادت في شبه الجزيرة العربية، لذلك يعد بحق مصدرا من مصادر المعرفة بالعصر الذي ينتمي إليها، وعكس مقدرة أصحابه الإبداعية وموهبتهم بقصائدهم التي تحولت عبر العصور إلى أرقى نماذج الشعر الفصيح.

[1]– ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1405هـ، 1985م، ص:68، 69. **البوم:** الأحمق. **البارع:** الفاضل الغالب. **السلاجيم:** الطوال. واحدها سلجم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ق1، م1.

2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1942.

3- الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1418هـ، 1998م.

4- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.

5- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981.

6- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م.

7- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1993م.

8- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986.

9- ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1405هـ، 1985م.

10- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

11- ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، دراسة طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م.

12- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.

13- أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ.

14- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط11، ديسمبر 1960.

15- ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج2.

16- ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، لبنان.

17- عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 1428 هـ، 2007 م.

18- ديوان عنترة، شرح الخطيب التبريزي، تق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1412 هـ، 1992 م.

19-ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ط2، 1405هـ، 1985م.

20- فرهاد ديو سالار معصومة بويا: دراسة الغزل في العصر الجاهلي، الأربعاء ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٥.

21- ديوان امرئ القيس: تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، 1425هـ.

22- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ط1، ربيع الآخر 1359هـ، ماي 1940م.

23- ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

24- ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تح شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1388، 1968.

25- عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية.

26- أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط 1، 1371 هـ، 1952 م.

27- يحي الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1407هـ، 1986م.

نص التطبيق:

على ضوء ما تعلمته عن الشعر الجاهلي من حيث الخصائص والموضوعات حلل قول النابغة الذبياني في الاعتذار:[1]

1	أتاني أبيت اللعن أنك لمتني	***	وتلك التي أهتم منها وأنصب
2	فبت كأن العائدات فرشنني	***	هراسا به يعلى فراشي ويقشب
3	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	***	وليس وراء الله للمرء مذهب
4	لئن كنت قد بلغت عني خيانة	***	لمبلغك الواشي أغش وأكذب
5	ولكنني كنت امرأ لي جانب	***	من الأرض فيه مستراد ومذهب
6	ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم	***	أحكم في أموالهم وأقرب
7	كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم	***	فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
8	فلا تتركني بالوعيد كأنني	***	إلى الناس مطلي به القار أجرب
9	ألم تر أن الله أعطاك سورة	***	ترى كل ملك دونها يتذبذب
10	فإنك شمس والملوك كواكب	***	إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
11	ولست بمستبق أخا لا تلمه	***	على شعث أي الرجال المهذب
12	فإن أك مظلوما ؛ فعبد ظلمته	***	وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب

[1]– ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تح شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1388، 1968، ص:54.

المحاضرة الثانية: المعلقات مضامينها وأساليبها:

مخطط المحاضرة:

أولا: تعريف المعلقات

ثانيا: نماذج من المعلقات

ثالثا: التسلسل الفكري للمعلقات

رابعا: الخيال والتصوير في المعلقات

أولا: تعريف المعلقات:

المعلقات مجموعة من القصائد المنظومة في الجاهلية وتسمى الطوال والسموط، وتعد من أجود ما قالته العرب. وهي مثار جدل من حيث العدد، فقيل عددها ستة وقيل سبعة،[1] وقيل ثمانية وقيل إحدى عشر معلقة. وسميت بالسموط تشبيها لها بالقلائد والمذهبات على اعتبار أنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة.[2] كما وقع الاختلاف بين العلماء وخاصة المستشرقين فيما يخص صحة نسبة المعلقات لعصرها، إذ يرفض بعضهم فكرة أنها جاهلية بحجة أنها منتحلة موضوعة في العصور الإسلامية المتأخرة ومنسوبة عمدا للعصر الجاهلي مثلها مثل كثير من الشعر الجاهلي.[3]

ثانيا: نمادج من المعلقات:

1/ معلقة امرؤ القيس:

هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المُرار من كندة، وهي من أشهر القبائل العربية اليمنية، وقيل اسمه: حندج. وقيل: عديّ. وقيل مُليكة. وكنيته: أبو وهب، وأبو زيد، وأبو الحارث. وكان يقال له: ذو القروح، والملك الضليل. أمه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير، أخت كليب والمهلهل ابني ربيعة التغلبيين. وعمة والده هي هند أم عمرو بن هند الملك المعروف، وهي أخت الحارث بن عمرو الكندي، لأنها بنت عمرو بن حجر آكل المرار، والحارث جد امرئ القيس.[4] وقد جعله ابن سلام على رأس الطبقة الأولى من الفحول.[5]

---

[1]– أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص: 113.

[2]– محمد بلاسي: المعلقات بين الحقيقة والخيال، عن الموقع الالكتروني:

http://www.darululoomdeoband.com/arabic/magazine/tmp/1326694317fix5sub2file.htm

[3]– محمد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، شدار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ، 2009م، ص: 124 وما بعدها. دراسات حول صحة الشعر الجاهلي، تر عبد الرحمان بدوي، دار العلم للملاين، ط1، 1979.

[4]– ينظر: أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ، ص: 1– 3. ديوان امرئ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، 1425هـ، ص:6 وما بعدها.

[5]– ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، ص: 41.

تتكون معلقة امرئ القيس من ثمانية وسبعين بيتا وهي في عدة موضوعات هي:

1/ وقفة الطلل: وهي أول ما افتتح به معلقته –على عادة الجاهليين– فقال:[1]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

2/ أيام وذكريات: ومنها قوله:[2]

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بلّ دمعي محملي

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

3/ تأمل في الليل: وذلك في قوله:[3]

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

وقوله:

كأن الثريا عُلّقت في مصامها بأمراس كتّان إلى صُمّ جَندل

4/ رحلة الصيد: ومنها قوله:[4]

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

5/ وصف الطبيعة: ومنه قوله:[5]

أحار ترى برقاً كأنّ وميضه كلمع اليدين في حبِّيْ مكلَّلِ

يضيء سنا أو مصابيح راهب أهان السليط في الذُّبالِ المفتَّل

---

[1]– ديوان امرئ القيس، ص: 110. **سقط:** منقطع الرمل. **اللوى:** حيث يلتوى الرمل ويدق. **الدخول وحومل وتوضح والمقراة:** مواضع وقيل هي منازل كلاب. **لم يعف:** لم يمح. **الرسم:** الأثر بلا شخص. **نسجتها:** هبّت عليها. **الجنوب:** الريح التي تهب من جهة الجنوب. **الشمأل:** الريح التي تهب من جهة الشمال.

[2]– المصدر نفسه، ص: 112. **صبابة:** رقة الشوق. **محملي:** سير يحمل به السيف. **دارة جلجل:** موضع يقال له الحِمى.

[3]– المصدر نفسه، ص: 117. **مصامها:** مكانها الذي لا تبرح منه كمصام الفرس. وهو مربطه. **أمراس:** جمع مرس، وهو الحبل.

[4]– المصدر نفسه، ص: 118، 119. **الوكنات:** جمع وكنة وهي عش الطائر. **المنجرد:** القصير الشعر الصافي الأديم. ويدل ذلك على عتق الحصان وكرم أصله وعلو درجته. **قيد الأوابد:** يعني أن فرسه إذا انطلق خلف الحيوانات ليصيدها قيدها وشل حركتها وهو أول من وصف الحصان هكذا. **الهيكل:** العظيم الكثيف الليّن. **الجلمود:** الصخرة في أعلى الجبل. **كميت:** لونه يميل إلى السمرة. **اللبد:** ما يوضع تحت السرج.

[5]– المصدر السابق، ص: 121. **الوميض:** لمع البرق. **الحبي:** ما حبا من السماء، أي ما عرض لك وارتفع. **المكلل:** الذي في جوانب السماء كالإكليل. **السنا:** الضوء. **السليط:** الزيت، ويقال: هو دهن السمسم، وهو الجلجلان. **الذبال:** الفتائل.

2/ معلقة طرفة ابن العبد:

هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان واسمه عمرو[1]، ولد في البحرين في أسرة عريق الأصل، عاش يتيم الأب، نشأ حاد الذكاء وهو الذي قال حين سمع قول خاله المتلمّس:

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج، عليه الصيعرية، مكدم

<<استنوق الجمل>>. فقال المتلمس –وقد ضحك عليه القوم لأن الصيعرية سمة في الناقة: ويل لهذا الفتى من لسانه. وبالفعل فقد نظم قصيدة هجاء في صهره زوج أخته عمرو بن بشر بقوله:

ولا خير فيه غير أن له غنًى وإن له كشحًا إذا قام أهضما

وكان أفحش الهجاء عند العرب أن يوصف الرجل بمواصفات المرأة وقد وصف الشاعر الرجل بأن له خصرا نحيلا كخصر المرأة، إذ يروى أنه كان بضيافة عمرو بن هند مع خاله المتلمس إلى أن بلغه هجاءه له، فحمّله رسالة إلى عامله بالبحرين يأمره بقتله، وفي الطريق فرّ خاله المتلمّس إلى الشام، وذهب هو إلى حتفه ولم يكمل الثلاثين من عمره، وقد رثته أخته الخرنق بقولها: [2]

عددنا له ستا وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيدا ضخما

وضعه ابن سلام على رأس قائمة فحول الطبقة الرابعة من الطبقات ووصف معلقته بأنها أشعر واحدة.[3]

تتألف معلقته من 105 أبيات تنوعت مواضيعها كالآتي:

1/ الأطلال والوصف: وذلك في قوله:[4]

لخولةَ أطلال ببُرقَة ثَهْمَدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

إلى غاية قوله:[5]

ووجهٍ كأن الشمس حلّت رِداءها عليه نقيُّ اللون لم يتخدّد

تحدث الشاعر في هذا المقطع عن الأطلال وما أثارته فيه من مشاعر الأسى والحزن فجرّه ذلك إلى الحديث عن سبب خراب الديار وهجرانها.

---

[1]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:55.

[2]– ينظر: ديوان طرفة ابن العبد، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1423 هـ، 2002 م، ص:3– 9.

[3]– ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص:58.

[4]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: المصدر نفسه، ص:55. الديوان، ص:19. **خولة** : امرأة من بني كلب. **ثهمد:** اسم موضع. **البرقة** والأبرق والبرقاء كل رابية فيها طين ورمل أو حجارة وطين.

[5]– المصدر نفسه، ص:61. **لم يتخدد:** لم يضطرب.

2/ وصف الناقة: وقد تحدث عن ناقته فوصف أعضاءها ليؤكد على قوتها وتفردها على مثيلاتها ويأتي ذلك في قوله:[1]

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مِرقالٍ تروح وتغتدي

وقوله:[2]

تلاقى وأحيانًا تَبينُ كأنها بَنائقُ غُرٍّ في قميصٍ مُقدَّد

وأتلع نهاض إذا صعّدت به كسكان بوصيّ بدجلة مصعَد

وقوله:[3]

على مثلها أُمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أُفديك منها وأفتدي

3/ الفخر الذاتي: وأتى ذلك حين حديثه عن نفسه وعن مكانته الاجتماعية، وحسن استقباله للضيوف والنازلين وذوي الحاجات، كقوله:[4]

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

4/ شجاعته في الحرب: إذ نجد الشاعر يذكر بشهامته وبشجاعته قائلا:[5]

أنا الرجلُ الضّربُ الذي تعرفونه خَشاشٌ كرأس الحيّةِ المتوقِّدِ

فيا ليت لا ينفكّ كشْحي بِطانةٍ لعضبٍ رقيقِ الشفرتين مهنَّدِ

حُسام إذا ما قمتُ منتصرا به كفى العَوْدَ منه البْدءُ ليس بمَعْضَدِ

3/ معلقة زهير بن أبي سلمى:

هو زهير بن أبي سلمى بن رباح بن قُرة بن الحارث بن مازن ابن ثعلبة بن يُرد بن لاطم بن عثمان بن مُزَيْنة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر[6]، وضعه ابن سلام ضمن طبقة الفحول الأولى.[7] تتكون معلقته من تسعة وخمسين بيتا تتوزع موضوعاتها كالآتي:

---

[1]– المصدر السابق، ص:61– **العوجاء:** الناقة الضامرة التي لحق ظهرها ببطنها. **المرقال:** السريعة في سيرها خببا.

[2]– المصدر نفسه، ص:70. **البنائق:** جمع بنيقة. **المقدد:** المشقق. **الأتلع:** يريد عنقها والتلع الطول. **نهاض:** يرتفع. يريد القول أن عنقها إذا سارت يرتفع.

[3]– المصدر نفسه، ص:75.

[4]– المصدر نفسه، ص:77.

[5]– المصدر نفسه، ص:94. **الضرب:** الخفيف. **الرجل الخشاش:** الذي ينخش في الأمور ذكاء ومضاء. **المتوقد:** الذكي. **آليت:** حلفت. **الكشح:** الجنب. **العضب:** السيف القاطع. **حسام:** القاطع. **المعضد:** الكال الذي يعضد به الشجر.

[6]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر،، ص:101، 102. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، ص:3 وما بعدها.

[7]– ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص:41.

1/ الأطلال: ونقرأها منذ مطلع معلقته كما في قوله:[1]

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم بحومانة الدراج فالمتثلّم

ديارٌ لها بالرّقمتين كأنها مراجِعُ وشْمٍ في نواشِرِ مِعْصمِ

بها العِينُ والأرامُ يمشين خِلْفةً وأطلاؤُها ينْهضْن من كلّ مَجْثِمِ

وقفت بها من بعد عشرين حِجّةً فلَأْيًا عرفتُ الدار بعد توهّمِ

2/ وصف موكب الارتحال: وعادة ما يكون هذا المقطع تاليا لمقطع الطلل الذي يوحي للشاعر بتصور موكب الرحل وطريقه ومما قاله فيه:[2]

تبصّر هل ترى من ظعائنٍ تحمّلن بالعلياء من فوقِ جُرثُمِ

جعلن القَنانَ عن يمينٍ وحَزنَهُ وكم بالقنانِ من مُحِلٍّ ومُحرِمِ

3/ مدح الساعين إلى السلام: وهو الغرض الأساسي للمعلقة، وقد تقدم بها زهير مادحا الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة، وهرم بن سنان بن أبي حارثة بن مرة، وهما سببا في إيقاف حرب عانى منها العرب طويلا بما بذلاه من جهدهما ومن مالهما الخاص ومما قاله فيهما:[3]

سعى ساعِيا غَيظِ بن مُرّةَ بعد مَا تبزّلَ ما بين العشيرة بالدّمِ

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حوله رجالٌ بنَوْهُ من قريشٍ وجُرْهُمِ

يمينا لَنِعْمَ السيدان وُجِدتما على كلّ حالٍ من سَحِيلٍ ومبْرَمِ

تداركتما عبْسًا وذُبيانَ بعد ما تفانوا ودقّوا بينهم عِطرَ مَنْشَمِ

---

[1]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:102– 105. **الدمنة:** آثار الناس. **الدّمن:** البعر. **الحومانة:** أماكن غلاظ. **الدراج المتثلم:** موضعان. **الرقمتان:** رابيتان يختلط فيها الرمل بالحجارة. **الوشم:** ما يظهر على الجلد بعد أن يثقّب بإبرة أو غيرها ثم يُحْشى بالكحل والنّؤور ليحضّر. **النواشر:** عصب الذراع من ظاهرها وباطنها، وواحدتها ناشرة. **العين:** البقر، وسميت كذلك لسعة عينيها. **الأرام:** يعني ظباء خوالص البياض وواحدتها ريم وريمة. **الأطلاء:** جمع طلًا وهو ولد البقرة والظبية والشاة، ويقال له طلا من ساعة يولد إلى نصف شهر. **المجثم:** المكان الذي يربض فيه أي يقعد فيه وقد ثنى يديه ورجليه. **لأيا:** بعد جهد وإبطاء.

[2]– المصدر نفسه، ص:106، 107. **العلياء:** ما ارتفع من الأرض. **جرثم:** ماء من مياه بني أسد. **القنان:** جبل بني أسد. **الحَزْن:** المكان الغليظ المرتفع وكله حجارة صلبة. **مُحِلٌّ:** ليس لديه حرمة تمنعه من عهد وميثاق. **المُحرِم:** من له عهد أو ذمة أو جوار. ويقصد أن المكان وما به من حجارة ومرتفعات تجعله مكانا يكثر به اللصوص وقطاع الطرق.

[3]– المصدر نفسه، ص:111، 113. **تبزل:** تشقّق وتفطّر. **ساعيا غيظ بن مرة:** هما الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نُشْبَة بن عوف بن مرة. وهرم بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض، وإليهما يرجع الفضل في الصلح بين عبس وذبيان وإنهاء الحرب التي دامت بينهما والمعروفة بحرب داحس والغبراء وتحملا ديات القتلى من الفريقين من أموالهما الخاصة. **جُرهم:** القبيلة التي تزوج إسماعيل عليه السلام امرأة منها. **السحيل:** خيط واحد لا يضمّ إليه آخر. **المبرم:** الخيطان يفتلان حتى يصيرا خيطا واحدا. **منشِم:** بكسر السين هي منشم بنت الوجيه الحِميري (من حِمْير) كانت تبيع العطر، ويتشاءمون بعطرها، وقيل هي منشَم (بفتح الشين): وهي امرأة كانت تتتجع العرب تبيعهم عطرا. وقيل: هي امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها. وقيل: منشم: اسم وضع لشدة الحرب وليس ثمة امرأة. **معروف من القول:** كلام طيب. **خير موطن:** أحسن موقف.

وقد قلتما إن ندركْ السّلمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القول نسلَمِ

5/ رسالة إلى الفريقين: وهي رسالة سلم بعث بها شاعر خبر الحياة وخبر ويلات الحروب وما تجنيه على أصحابها قائلا:[1]

ألا أبلغ الأحلافَ عنّي رسالةً وذبيانَ هل أقسمتم كلَّ مُقسَمِ

فلا تكتمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهَ يعلَمِ

وهذا المقطع فيه من الحكمة ما يميّز معلقة زهير كما في قوله:[2]

وما الحرب إلّا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ

متى تبعثوها ذميمةً وتضْرَ إذا ضرّيتموها فتضْرِمِ

فتعركُكم عرْكَ الرّحى بثِقالها وتلقَحْ كِشافاً ثم تُنتَجْ فتُتْئِمِ

فتنتِجْ لكم غِلمانَ أشأَمَ كلّهُمْ كأحمرِ عادٍ ثم تُرْضِعْ فتَفْطِمِ

فتُغلِلْ لكم ما لا تُغلُّ لأهلها قُرًى بالعراق من قفيزٍ ودرهمِ

5/ حكم وعبر وتجارب: وهي من أكثر الأغراض قربا من نفسية زهير وهو الملقب بشاعر الحكمة، وممّا قاله فيها:[3]

ومن أطراف الزِّجاج فإنه يطيع العَوالي رُكّبت كلّ لهْذَمِ

ومن يُوفِ لا يُذْمَمْ ومن يُفْضِ قلبُه إلى مطمئنِّ البِرّ لا يتجمجمِ

ومن يبغِ أطرافَ الرّماحِ ينلْنه ولو رام أن يرقى السماء بسلّمِ

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلِه على قومه يُستغنَ عنه ويُذمَمِ

ومن لا يزَلْ يسترحِلُ الناسَ نفسَهُ ولا يُعْفِها يومًا من الذمّ يندَمِ

وقوله في مقطع يحمل معان جاهلية:[4]

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدَّمْ ومن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ

ومع ذلك فبعض حكم الشاعر صالحة لعصور كثيرة كقوله:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفرْهُ ومن لا يتّقِ الشّتمَ يُشتمِ

---

[1]– المصدر السابق، ص:114، 115. **الأحلاف:** أسد وغطفان.

[2]– المصدر نفسه، ص:116– 117. **المرجّم:** الذي يرمى فيه بالظن. **تبعثوها:** تثيروها وتعيدوها. **ذميمة:** مذمومة وبغيضة. **تضرى:** أي تصير مثل الحيوان الضاري. **الضرم:** هو دِقُّ الحطب، وهو ما تسرع فيه النار وهو الضِّرام. **الجزل:** ما غلظ من الحطب. **الثقال:** جلدة أو خرقة تجعل تحت الرحى لتتلقى ما بسقط عليها من الطحين. **تلقح كشافا:** أن تحمل الناقة كلّ سنة. **تتئم:** تلد أكثر من واحد في بطن واحد. **القفيز:** مكيال معيّن من المكاييل.

[3]– المصدر نفسه، ص:124– 126. يسترحل الناس: يجعل نفسه للناس راحلة يركبونه ويذمونه.

[4]– المصدر نفسه، ص:126. من لا يذد: من لا يمنع ويدافع عن عشيرته.

وقوله:[1]

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ ولو خالها تخفى على الناسِ تُعلَمِ
وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبله ولكنّني عن علم ما في غدٍ عَمي

فالحديث عن كرم وأخلاق السيدين الذين بفضلهما توقف سلسال الدم الذي دام سنوات طوال ضمن ما عرف في تاريخ العرب بحرب داحس والغبراء، قاده لكل تلك الحكم التي لم تسلم من تأثير البيئة الجاهلية كمناداته بضرورة التعامل بالقوة لإرهاب الغير وإبعاد كل مطامعه كما يدل عليه قوله في البيت. وعموما لم تخرج أبيات الشاعر عن معاني التعقل والتروي والوفاء بالوعود ونبذ الحرب لما تجنيه على أصحابها من دمار وخراب والمبادرة بالمعروف.

4/ معلقة لبيد ابن ربيعة:

من شعراء الطبقة الثالثة،[2] هو أبو عَقيل لبيد بن ربيعة بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن مَعَد بن عدنان.[3]

تتكون معلقته من 88 بيتا وتبدأ بالبيت رقم 243 وتنتهي بالبيت 330 وأما موضوعاتها فمتعددة منها:

1/ الأطلال: ومنها قوله:[4]

عفت الديار محلُّها فمُقامها يمنيَّ تأبّدَ غَوْلُها فرِجامُها
فمَدافعُ الرَّيّان عُرّيَ رسمُها خَلَقًا كما ضمِن الوُحِيّ سِلامُها
دمن تجرّم بعد عهدِ أنيسِها حِججٌ خلوْنَ حلالُها وحرامُها

ويتخلل هذا المقطع أبيات تعبّر عن لوعة الفراق وأسى الحسرة على فراق الأحبة كقوله:[5]

فوقت أسألها وكيف سؤالنا صُمًّا خَوالدَ ما يبينُ كلامُها

---

[1]– المصدر السابق، ص:128. **خليقة:** طبيعة أو صفة أو سلوك أو ميل أو اتجاه. **خالها:** ظنها.

[2]– ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص:53.

[3]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:129. ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، تق حنا ناصر الحتى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1992م، ص:ص:7 وما بعدها.

[4]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:129– 131. **عفت:** درست أي ذهبت معالمها. **المحل:** حيث ينزل القوم لوقت قصير. **القام:** حيث يطول المكوث. **منى:** اسم مكان يذكر ويؤنث فمن يذكره يذكره بالتنوين ومن يؤنثه يذكره بدونها. **تأبد:** توحش. **الرجام:** الهضاب وواحدتها رُجمة. **المدافع:** التلاع وهي مجاري المياه. **السِّلام:** جمع سَلِمة وهي الصخرة. **الدمن:** جمع دمنة وهي آثار الناس وما سوّدوا بالدخان وغيره.

[5]– المصدر نفسه، ص:135، 136. **صمّا:** الصم: الصخور. **خوالد:** قديمة مرّ عليها زمن طويل ولم تذهب آثارها فيذهل عنها. **عريت:** أي خلت من أهلها. **النؤى:** حاجز يجعل حول البيت لئلا يدخل عليه الماء. **الثُّمام:** شجر يلقونه على بيوتهم لمنع السيل ويقي الحرّ وعلى وطاب اللبن لأنه أبرد ظلّا.

عَرِيَت وكان بها الجميع فأبكروا منها وغودِر نُؤْيَها وثُمامُها

2/ موكب الارتحال: ومنه قوله:[1]

شاقتك ظُعنُ الحيّ حين تحملوا فتكنّسوا قُطُناً تصِرُّ خيامُها

من كل محفوف يُظِلّ عِصِيَّهُ زوجٌ عليه وقِرامُها

3/ وصف الرحلة: ومنه قوله:[2]

بطَلِيح أسفارٍ تركن بقيةٌ منها فأحنقَ صُلبُها وسَنامُها

فإذا تغالى لحمها فتحسرت وتقطعت بعد الكلال خِدامُها

فلها هِبابٌ في الزِّمامِ كأنها صهباءُ راح مع الجنوب جهَامُها

4/ فخر شخصي: كقوله:[3]

فبتلك إذ رقص اللوامعُ بالضحى واجتاب أرْديةَ السرابِ إكامُهَا

أقضِي اللُّبانَة لا أفرّطُ رِيبةً أو أن يلومَ بحاجةٍ لوّامُها

أولم تكن تدري نَوارُ بأنني وصّالُ عقدِ حبائلٍ جَذّامُها

---

[1]– المصدر السابق، ص:136، 137. **شاقتك:** أثارت لهفتك ولوعتك ودعتك إلى الشوق إليها. **الظعن:** جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج. **تحملوا:** شدّوا أمتعتهم وحملوها وساروا مرتحلين. **تكنسوا:** دخلوا في الهودج كما تدخل الظباء في كُنُسها. **والكنس:** بيوت الظباء ومفردها: كناس. **المحفوف:** الهودج وقد حفّ بالثياب وأحيط بالقماش من كل جانب. **عصيه:** عصي الهودج وهي أعمدته وقوائمه وعوارضه. **الزوج:** النمط الواحد ويقصد قطعة القماش الواحدة أو الثوب الواحد. **كِلّة:** ستائر رقيقة. **القِرام:** الغطاء ويقال أيضا: المِقرم.

[2]– المصدر السابق، ص:141، 142. **بطليح:** جار ومجرور وناقة طليح أي كالّة أي ظهر عليها التعب والعياء وهي المعيبة المهزولة. **أحنق:** ضمُرَ. **تغالى:** ذهب وارتفع ومنه غلا السعر إذا ارتفع. **تحسرت:** صارت هزيلة. **الكلال:** التعب والإعياء. **الخِدام:** جمع خَدَمة وهي سيور تعقد في الأرساغ ثم تشدّ إليها إذا رقّعت بها الإبل عند الحفا. ومعنى البيت أن الناقة رغم كونها هزيلة وتقطعت نعالها بسبب كثرة الأسفار وطولها فإنها سريعة ونشيطة. **الهباب:** الهيج والنشاط. **الزمام:** الحبل أو سير الجلد الذي يربط في الناقة ليقودها صاحبها. **صهباء:** لونها يضرب إلى الحمرة. **الجهام:** السحاب الذي هَراق ماؤه، والمفرد منها: جَهامة السحابة الذي قلّ ماؤه فأدنى ريح تسوقه.

[3]– المصدر نفسه، ص:159– 161. **أقضي:** أؤدي وأحقق. أراد أن هذه الناقة تعينه على أداء حاجته ووصل من أراد. **اللبانة:** الرغبة والواجب والأمل والحاجة. **نوار:** امرأة من تغلب. **جذّام:** قطّاع.

ومن معاني الفخر قوله:[1]

ولقد حمَيتُ الحيَّ تحمل شِكّتي فُرُطٌ وِشاحي إذ غدوت لِجامُها
فعلوتُ مرتقبًا على ذي هَبْوةٍ حرجٍ إلى أعلامِهنّ قتامُها
حتى إذا ألُقَتْ يدًا في كافرٍ وأجنَّ عوْراتِ الثغورِ ظلامُها
أسهلْتُ وانتصبتْ كجذعِ مُنيفةٍ جرداء يحصَرُ دونها جُرّامُها

ويسهب الشاعر في وصف شجاعته وسرعته إلى نجدة قومه فيقول:[2]

ترقى وتطعن في العِنان وتنتحي وِرْدَ الحمامة إذْ أَجَدَّ حَمامُها
وكثيرةٍ غرباؤُها مجهولةٍ تُرجى نوافلُها ويُخشى ذامُها
غلْبٍ تشذّرُ بالذُّخول كأنها جِنُّ البدِيِّ رواسيًا أقدامُها

5/ فخر قبلي: منه قوله:[3]

وفي هذا المقطع يبدع الشاعر في وصف نفسه بكل الشيم التي تعارفت العرب عليها وأهمها إيثار المصلحة العامة وخدمة الجماعة كما يعبر عنه قوله:

إنّا إذا التقت المجامعُ لم يزلْ منّا لِزازُ عظيمةٍ جَشّامُها
ومقسّم يعطي العشِيرةَ حقّها ومُغَذْمِرٌ لحقوقها هضّامُها
فضلاً وذو كرمٍ يعينُ على الندى سمْحٌ كَسوبُ رغائبٍ غَنّامُها

---

[1]– المصدر السابق، ص:163– 166. **حميت:** منعت. **شكتي:** سلاحي. **فرط:** فرس متقدمة: **غدوت:** الخروج صباحا. **وشاحي لجامها:** أي أنه يجعل لجام فرسه وشاحا له ليكون قريبا منها. **علوت:** صعدت. **المرتقب:** مكان مرتفع يتخذ لمراقبة الأعداء. **هبوة:** غبرة. وذي هبوة: جبل فيه غبار. **حرج إلى أعلامهن قتامها:** الحرِج والحرج: الشديد الضّيّق. **أعلام:** جمع علم وهو الجبل. **القتام:** الغبار الكثيف المعتِم. **الكافر:** بمعنى الليل لأنه يغطي بظلامه الشمس، وألقت يدا في كافر: أي بدأت الشمس في المغيب. **أجنّ:** ستر وغطى. **الثغور:** جمع ثغر وهو المكان الذي يأتي منه الخطر والمواضع التي يجب حمايتها. **أسهلت:** نزلت من المرقب في قمة الجبل. **انتصبت:** رفعت الناقة عنقها ونصبته نشاطا ومرحا. **منيفة:** نخلة طويلة مشرفة. **يحصر:** تضيق صدورهم أن يصعدوا عليها من هولها وارتفاع طولها. **الجرّام:** الصرّام أي القطّاع.

[2]– المصدر نفسه، ص:167، 168. **ترقى:** تفع رأسها كأنها تصعد. **تطعن في العنان:** تعتمد عليه كما يعتمد الطاعن. **تتنحى:** تميل على جنبيها. **وِرد الحمامة:** ذهابها إلى الماء لتشرب. **أجدّ حمامها:** أي صار جادّا في طيرانه مسرعا نشيطا. **كثيرة غرباؤها:** أي صاحب مواقف وأزمات تحدث بها أمور كثيرة غريبة غير معروفة أو تجهل عواقبها. **ترجى:** تؤمل وتحب. **نوافلها:** جمع نافلة وهي الفضل والزيادة والغنيمة والكسب. **الذام:** العيب والعار. **غلْب:** جمع أغلب وهو الغليظ العنق الذي لا يلتفت من شدته، وهذه عادة صفة الأسد لشدته. **تشذر:** يوعد بعضهم بعضا ويتهدده. **الذخول:** المصائب والأحقاد. **البدي:** واد لبني عامر. **رواسيا أقدامها:** ثابتة كالجبال.

[3]– المصدر نفسه، ص:172. **اللزاز:** الذي يلزم الشيء. ويعتمد عليه ومنه سميت الخشبة التي يشد بها الباب لزازا وهي المترس. **الجشام:** المتكلف للأمور القائم بها. **المغذمر:** الذي يضرب بعض حقوق الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا. وقال أبو عبيدة هو الذي لا يعصى ولا يرد. **الهضام:** هو الذي ينقص قوما ويعطي قوما بتدبير وقد وثق به في ذلك. **يعين على الندى:** يعني السخاء والبذل. **السمح:** السهل الأخلاق. **كسوب رغائب:** أي يغنمها من أعدائه.

وهو في فخره بنفسه وانسجامه مع جماعته لا ينكر فضلهم عليه وما يجمع بينهم من مودة كما يدل على ذلك قوله:[1]

لا يطبعون ولا يبور فَعالُهم إذ لا يميل مع الهوى أحلامُها
فبنوا لنا بيتا رفيعا سَمكُهُ فسَمَا إليه كهَلُهَا وغُلامُها
وإذا الأمانةُ قُسّمت في معشرٍ أوفى بأوفرِ حظِّنا قَسّامُها
فاقنعْ بما قسم المليكُ فإنما قسمَ الخلائقَ بيننا عَلّامُها
وهو السعاةُ إذا العشيرةُ أفظِعتْ وهم فوارسُها وهم حُكّامُها

بدأ الشاعر معلقته بذكر الديار والراحلين عنها وآثار ذلك إذ سكنتها الحيوانات ونبتت بها الأشجار والنباتات وتعاقبت عليها الأمطار. والحديث عن الأطلال جره إلى الحديث عن موكب الارتحال، فوصف الهوادج وضخامتها لأنها جهزت بأفخم أنواع الأثاث، وانطلقت بسرعة غيبت الحبيبة وأبعدتها في الصحراء والوديان والمرتفعات والقفار، لذلك رأى أن أحسن وسيلة لنسيان هذه المأساة هي ناقته وما لها من صفات خاصة وأنها ناقة تعودت على كثرة وطول الأسفار حتى أذهبت معظم لحمها، فصارت ضامرة ورغم ذلك لم يذهب نشاطها، بل إن نشاطها يشبه سرعة السحابة إذا حركتها ريح الجنوب وسرعة الأتان وبقرة الوحشية. وهذه الناقة سبب في إقدام وشجاعة الشاعر وسرعته لإنقاذ قومه في وقت الشدائد والأزمات على اختلافها ومهما كانت طارئة أو غريبة. وهذه الشجاعة ليست غريبة على شخص ينتمي إلى قبيلة قوية يعمل الفرد منها لصالح الجماعة، فأسياد القبيلة التي ينتمي إليها يتميزون بالعدل والشجاعة والسخاء وخاصة في أوقات الجدب والقحط ما جعلهم ملاذ الضعفاء والمساكين.

خامسا: معلقة عنترة بن شداد:

هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قُراد، أبوه من عبْس، وأمه حبشية، كان من أشد الناس بأسا[2]، جعله ابن سلام في الطبقة السادسة ضمن فحول الجاهلية،[3] تتكون معلقته من 82 بيتا، وفيها:

---

[1]– المصدر السابق، ص:173، 174. **لا يطبعون:** لا تدنس أعراضهم. والطبَع: الدنس. **يبور:** يخيب ويهلك ويفسد. ولا**يبور فعالهم:** لا يضيع ولا يخيب عملهم بل ينتشر ويذيع ويخلد. **أحلامها:** عقولها وآراؤها السديدة. **سمكه:** بناؤه. **سما:** علا وارتفع. **أوفى:** ارتفع، أدى الحق كاملا على خير ما يكون. **السعاة:** القائمون بأمرهم الساهرون على مصالحهم العاملون على إسعادهم. **أفظعت:** حلّ بها أمر فظيع.

[2]– المصدر نفسه، ص:176. شرح ديوان عنترة بن شداد، الخطيب التبريزي، تق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م، ص:7 وما بعدها.

[3]– ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، ص:64.

1/ حديث عن الأطلال والارتحال: كما في قوله:[1]

هل غادر الشعراء من متردَّم أم هل عرفت الدار بعد توهّم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدَنٌ لأقضي حاجة المتلوِّم

حييتَ من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أمّ الهيثم

وأبرز المقاطع ارتباطا بحياة عنترة في المعلقة هو المقطع حيث يصف حبه لعبلة ومنه قوله:

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحبّ المُكْرَمِ

3/ وصف الناقة: وفيه قال:

ولا تكتمل المعلقة ونشوة الشاعر إلا بالحديث عن الناقة لأنها مصدر فخر له، يقول شاعرنا في الموضوع:[2]

هل تُبلِغنَّى دارها شَدَنيّةٌ لُعِنَتْ بمحروم الشراب مصرَّمِ

خَطّارةٌ غِبَّ السُّرَى زَيّافَةٌ تَطِسُ الإكامَ بذات خُفٍّ مِيثَمِ

4/ فخر شخصي: ومن الأبيات التي فخر فيها الشاعر بشجاعته وأمجاده قوله:[3]

ومُدجّجٍ كره الكُماةُ نِزالَه لا مُمْعِنٍ هَرَبًا ولا مُستَسلِمِ

وأيضا قوله:[4]

إذ يتقون بي الأسنّةَ لم أخِمْ عنها ولكنّي تضايقَ مُقْدَمي

إذن، سار الشاعر عنترة في معلقته على خطوات أقرانه الجاهليين الذي عرفوا بالمعلقات فجاءت معلقته مركبة من معان وأغراض متنوعة بدأها بالوقوف على الأطلال وتذكر الحبيبة وكانت فرصة له للحديث

---

[1]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ص:177. **متردم:** قال الأصمعي: ردِّمْ ثوبك أي رقّعه. والمقصود: ما ترك الشعراء السابقون معنى يمكن تناوله فقد أتوا على كل المعاني. **الجواء:** بلد يسميه أهل نجد: جواء عدنة. والجواء: جمع جوّ وهو البطن من الأرض الواسع في انخفاض. **وقفت فيها ناقتي:** منعتها من مواصلة السير. **الفدن:** القصر في الفخامة والضخامة. **المتلوّم:** المتمكّث المتحمّس والمعنى: أي تمكّثت وحبست نفسي في هذا المكان من أجلها.

[2]– المصدر نفسه، ص:189. **شدنية:** ناقة منسوبة إلى حيّ أو أرض باليمن. **لعنت:** دعي عليها في ضرعها بأن يحرم الشراب، فلا تلقح ولا تحمل ولا تلد ولا ترضع فتخصص للركوب. **مصرم:** مقطع أي أصاب أخلافه شيء فقطعه، والمقصود أنها معقومة لا لبن فيها. **خطّارة:** تخطِر بذنبها، أي تحركه وترفعه وتضرب به حاذيْها. **غبّ:** بعد. **السُّرى:** السير ليلا. **زيافة:** تزيف في سيرها أي تسرع. **الوطس:** الضرب الشديد بالخفّ. **الإكام:** جمع أكمة، وهي كل رابية مرتفعة عن وجه الأرض ضرب الناقة الأرض بأخفافها.

[3]– المصدر نفسه، ص:201. **المدجج:** بفتح الجيم الأولى وكسرها: الذي قد توارى بالسلاح، أي يغطي جسده بالسلاح. **الكماة:** الأبطال الشجعان. نزاله: منازلته ومجابهته في القتال. **لا ممعن هربا:** لا يمهن في الهرب، أي لا يذهب ولا يبعد فرارا من القتال. **مستسلم:** يلقي السلاح ويسلم نفسه لخصمه.

[4]– المصدر نفسه، ص:210. **الأسنة:** جمع سنان وهو الذي يطعن به، وهو أيضا الحجر الذي تُسنّ أي تحدَّدُ به السكاكين والأسلحة. والأسنة كل أدوات القتال التي لها حدّ مرهف. **ويتقون بي السنان:** أي يجعلونني بينهم وبين السنان. **لم أخل عنها:** لم أنكُلْ ولم أضعف ولم أبتعد عنها. **مُقْدَمي:** المكان الذي أقدم فيه.

عن فروسيته وشجاعته التي عرض جوانب منها، حيث أسدل على نفسه مجموعة من الصفات التي تجعل منه شخصا مهمّا داخل قبيلته كسرعة تدخّله عند الشدائد وقوة صبره وجلده في المعارك.

ثالثا: التسلسل الفكري للمعلقات:

تتكون المعلقات من مجموع فقرات تختص كل فقرة منها بالحديث عن موضوع، أولها موضوع الطلل، وهو الموضوع الذي يمهد به الشاعر لبقية المواضيع التي تأتي تباعا بتمهيد رابط حتى يكون الانتقال طبيعيا يتماشى مع العقل والذوق.

فمعلقة امرئ القيس افتتحها بالحديث عن الأطلال والارتحال وأثرهما في نفسه، خاصة وأنه اعتاد على فراق حبيباته، فكل من أحبهن قمن بفراقه مما سبب له الأسى والحزن، ومع ذلك فالذكريات الجميلة تعزيه وتنسيه، ولذلك تلا موضوع الأطلال والرحيل بالحديث عن ذكرياته، فذكر يوم (دارة جلجل) و(يوم الكثيب) و(بيضة الخدر)، ليجد نفسه بعدها يتحدث عن وسيلة أخرى يلجأ إليها وهي السفر المبكر بحصانه في الفضاء الفسيح وسط المروج والرياض ليستعيد حيويته ونشاطه، ويحقق لنفسه الراحة والمتعة خاصة إذا صادف قطيعا من البقر الوحشي، حيث يقوم بالطرد والقنص فيستمتع بما لذّ من لحومها، وهذا المقطع مناسب لحديث الشاعر عن فرسه فيصفه بالسرعة والنشاط وجودة الأداء، ويتبع جلوسه لتناول الطعام بلحظات من التأمل في جو الصحراء، وقد تتلبد السماء وتتراكم الغيوم والسحب وينتشر المطر علامة الخير والرخاء.

وبهذه المواضيع نستطيع القول أن معلقة امرئ القيس في مجملها تصور الجمال: جمال المرأة وجمال الطبيعة وجمال الصحراء وجمال الفرس، وجمال نفسه المليئة بالحياة والنشاط والحب.

ولا تختلف كثيرا عنها معلقة طرفة أو معلقة زهير وعنترة إلا في التفاصيل، فمعلقة طرفة افتتحها بالحديث عن الأطلال ورحيل الحبيبة، وهو متأثر بشدة عاجز عن مواصلة السير لولا تشجيع أصحابه له، وبطبيعة الحال لم يجد وسيلة أجدى من السفر غير الناقة التي تعودت على كثرة الأسفار والتنقل، لذلك أسهب في وصفها خاصة وأنها تعينه على مجابهة الأخطار، وهذا الوصف مهّد له ليفخر بنفسه، فتحدث عن سلوكه وأخلاقه ونظرته للموت والمال والقبيلة.

أما معلقة زهير فترجمة لفلسفته في الحياة وما خبره فيها، إذ جاءت عميقة زاخرة بالحِكم وبخلاصة تجاربه في الحياة، لكنه كعادة أصحاب المعلقات بدأ بالحديث عن الحبيبة النائية التي اكتشف ابتعادها بعد وقوفه أمام ديارها وقد صارت رسوما خالية استوطنتها الحيوانات، ولحظة وقوفه دفعته إلى تذكر موكب الارتحال فصوره متتبعا تحركاته، ويلاحظ عليه عدم بكائه أو تأثره بالرحيل فمادام المكان الجديد يريح القائمين به ما يرضيه ويمتعه، وهذا الإحساس غير بعيد عن زهير وهو الذي ينشد السلام لما له من آثار إيجابية على الفرد وعلى الجماعة، فالسلام يقي القبيلة من ويلات المعارك والصراعات ويجنبها البغض والكره والموت، لذلك خصص جزءا مهمّا من معلقته لمدح الساعين له، وقصد به الحرث بن

عوف بن أبي حارثة وهرم بن سنان بن أبي حارثة. وقد أثنى على الرجلين ثناء ملحوظا وأشاد بما قاما به من جهد ومن تضحيات بأموالهما رغبة في أن يعم الهدوء والودّ بين المتخاصمين.

وأما معلقة لبيد، فبدأت أيضا بالوقوف على الأطلال وبيان ما نالها من خراب وفراغ بعد رحيل الأحبة عنها، رحيل دفع الشاعر إلى الاستفهام عن جدوى السؤال مادام المكان صار آثارا بالية، ولم يجد سبيلا يخرجه من محنته غير ناقة سريعة نشيطة تنفذ قراراته بالرحيل والابتعاد عن كل ما يسبب له الحزن، لذلك نال وصفها حظه من المعلقة، وقد ربط الشاعر مقطع الوصف هذا بمقطع آخر وهو الفخر بنفسه، وكأنه جعله تمهيدا ليفخر بنفسه خاصة حين رام أن ناقته تعجبه لأنها تعينه على القيام بأعمال تحفظ له كرامته وتزيد قيمته في القبيلة، وهذا المعنى هو الرابط بين مقطع الوصف ومقطع الفخر الذي خصصه للإشادة بقبيلته، زعماء وأسيادا وفرسانا، وبنفسه التي لا ترضى بغير المراتب العليا، ما يجعل أفكاره متسلسلة يتداخل بعضها ببعض فلا يحس قارئها أمام تغير الموضوع.

ومعلقة عنترة بدأها بالحديث عن الديار، فوقف بها ودعا لها متمنيا أن يلتقي مرة أخرى بالركب الذي تتواجد فيه حبيبته التي كلما تذكرها ازداد تأثرا، وهذا التذكر هو الذي يمكنه فنيا من الانتقال إلى موضوع الوصف، وصف الراحلة أولا ثم الفخر الشخصي، لأن سبيل النسيان هو السفر والرحيل وولوج المعارك لإثبات النفس.

وشعور الحزن يتقاسمه شعراء المعلقات سواء ابتدأوا قصائدهم بالطلل أم بغيره، فمعلقة عمرو بن كلثوم وإن بدأها بطلب الصبوح من أجود أنواع الخمور، لم تخل من حديث عن الهموم التي يتسبب فيها تذكر الحبية كلما ابتعد بها الركب، ولكنه يقرر عدم الاستسلام لهذا الشعور حتى وإن ازداد بتهديد الملك عمرو بن هند لقومه، حيث يقرر الشاعر عدم الانهيار والاستسلام بالحماسة وبقوة العزيمة، لذلك تعد قصيدته أشهر القصائد الجاهلية وأكثرها قومية.

وهكذا تشترك قصائد هؤلاء في التمهيد الذي عادة ما يختاره الشاعر ليسبق موضوعه الأساسي، ما يجعلها تنتقل بين المعاني والأغراض انتقالا سلسا طبيعيا. كما تشترك في موضوعاتها العامة وهي: الأطلال والديار، الارتحال والحبيبة وذكرياتها، الراحلة/الناقة/ الحصان، يسيطر عليها شعور معين، فالشعور المسيطر على معلقة امرئ القيس هو حب الحياة والجمال، وعلى معلقة زهير هو حب السلام بينما سيطر شعور الطموح وحب الظهور على معلقة طرفة، وشعور الرغبة في البقاء وفي الحياة الكريمة وتحمل المسؤولية على معلقة لبيد، وشعور الاعتزاز بالبطولة والفروسية والشهامة على معلقة عنترة، أما معلقة عمرو بن كلثوم فسيطر عليها شعور حب العظمة والتفوق، بينما سيطر شعور الغضب والثورة دفاعا عن الشرف والكرامة على معلقة الحارث بن حلزة.

رابعا: الخيال والتصوير في المعلقات:

أظهر شعراء المعلقات مقدرة كبيرة على التعبير بطريقة تعرض الصور وتعبر عن الخيال والمعاني تعبيرا بديعا يوصل المعنى بطرق جمالية تدل على احترافية الجاهليين وتأصل موهبة الشعر فيهم. فامرؤ القيس في قوله:[1]

فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل

يعبر عن حالة الحب والسعادة التي يشعر بها. وقوله:[2]

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

يعبر أيضا بهدوء عن استسلام المحب لحبيبه واستلائها عليه. وقوله:[3]

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

يصف حبيبته وصفا دقيقا وجميلا في الوقت نفسه، فالكلمات كلها اختيرت لتقول أن حبيبته كانت رشيقة نشيطة قدها ممشوق لا ترهل في جسدها ولا اختلاف. وفي قوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

قدم وصفا محكما لحالته النفسية المتعبة من كثرة التنقل وآلام الفراق المتكرر، وقد اختار الليل عمدا لما له من قوة وشدة ورهبة وخطر، فالليل يحمل دائما المفاجآت المجهولة، إضافة إلى أنه يدل على انعدام الحركة وعلى السكون وكأن كل شيء فيه يموت، وتتعاظم هذه المعاني عندما قرن الليل بموج البحر وبعبارة "أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي" ليعبر عن الاختبار الصعب الذي فرضه عليه الليل، فاضطراب البحر وخطره من جهة وظلام الليل من جهة، وضعا الشاعر في حيرة بين رغبة في الهروب والتحرك وعجز عن ذلك لأنه مكبل بسدول الليل.

إن الصورة الجاهلية عموما والصورة في المعلقات خصوصا مرآة لحياة الشاعر وأحلامه وآماله، فلقد <<أودع الشاعر الجاهلي كل حياته ووجوده وأحلامه وأحزانه وجمال عالمه الصحراوي الذي أحبه في عالم الشعر هذا. كما أودع فيه روحه في الكلمات والإيقاع. فنحن حينما نقرأ شعر امرئ القيس نحس بروحه بكلماته، ونحس باختلاف هذه الروح عن روح شعر زهير أو النابغة المتلبسة كلماته>>[4].

فالشاعر حينما يشرع في التعبير عمّا يجيش في نفسه من عواطف وانفعالات يتخير أحسن الألفاظ وأفصحها، وينتقي أبلغ العبارات وأقواها ليكون تعبيره في منتهى الدقة والإتقان، وفي غاية الروعة

---

[1]– المصدر السابق، ص:19.

[2]– المصدر نفسه، ص:22.

[3]– المصدر نفسه، ص:28. **المهفهفة:** الخفيفة اللحم فلا هي رهلة ولا ضخمة البطن والمفاضة مسترخية البطن. **الترائب:** موضع القلادة من الصدر. **السجنجل:** المرآة وقيل السبيكة من الفضة وهي لفظة رومية، وقيل السجنجل الزعفران وقيل الذهب. وأراد أنها مصقولة صقلا كسبيكة السجنجل.

[4]– باسم إدريس قاسم، الشاعر الجاهلي والوجود دراسة فلسفية ظاهراتية، مجلة المستقبل العربي، جامعة الموصل، د ت، ص:63.

والجمال، بحيث يؤدي المقصود على أكمل وجه، فيرضي متلقيه ويبهره، فيستولي على عقله، ويثير مشاعره وأحاسيسه للتعمق في إدراك مدلولاته وإيحاءاته الحسية والنفسية.

خاتمة:

المعلقات الجاهلية نفائس ورّثها الشعراء القدامى لقارئ الشعر العربي ودارسه بما حملته من قضايا وترجمته من مشاعر، وبما أثير حولها من جدل حول نسبها لعصرها ولقائليها، وبما تضمنته من جمالية من حيث الأسلوب أو الصورة أو العاطفة. دون أن ننسى قيمتها التاريخية وقيمتها بالنسبة للغة العربية، لأنها نموذج حيّ عن لغة العرب قبل امتزاجها بلغات ولهجات غيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

1-أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

2- محمد بلاسي: المعلقات بين الحقيقة والخيال، عن الموقع الالكتروني: http://www.darululoomdeoband.com/arabic/magazine/tmp/1326694317fix5sub2file.htm

3- محمد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ، 2009م.

4- عبد الرحمان بدوي: دراسات حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملاين، ط1، 1979.

5- أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ .

6- ديوان امرؤ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، 1425هـ.

7- ديوان طرفة ابن العبد، شرح مهدي محمد ناصر الدين، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1423 هـ، 2002 م.

8- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له علب حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

9- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء مع تمهيد للألماني جوزيف هيل، دراسة طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م.

10- ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، تقديم حنا ناصر الحتى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1992م.

11- ديوان عنترة بن شداد، شرح الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م.

12- باسم إدريس قاسم: الشاعر الجاهلي والوجود دراسة فلسفية ظاهراتية، مجلة المستقبل العربي، جامعة الموصل.

نص التطبيق:

وفقا لما تعلمته عن المعلقات قم بتحليل القصيدة التاليتين:

قال امرؤ القيس:[1]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل **بسقط اللوى بين الدخول وحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها**لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الأرآم في عرصاتها**وقيعانها كأنه حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا** لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم***يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وإن شفائي عبرة إن سفحتها***وهل عند رسم دارس من معول
كدينك من أم الحويرث قبلها**وجارتها أم الرباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صبابة**على النحر حتى بل دمعي محملي

.....

وليل كموج البحر أرخى سدوله**علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بجوزه**وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي**بصبح وما الإصباح فيك بأمثل
وقد أغتدي والطير في وكناتها **بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا**كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه** كما زلت الصفواء بالمتنزل
مسح إذا ما السابحات على الونى**أثرن غبارا بالكديد المركل
مسح إذا ما السابحات على الونى **أثرن غبارا بالكديد المركل
على العقب جياش كأن اهتزامه **إذا جاش فيه حميه إلي مرجل
يطير الغلام الخف عن صهواته **ويلوي بأثواب العنيف المثقل

[1]– ديوان امرئ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، ص:110.

وقال زهير بن أبي سلمى:[1]

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلأْيَاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ وَرَادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ

.....

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَمِ

[1]– ديوان زهير بن أبي سلمى، تح علي حسن فاعور، ص:102.

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَهُ وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَرَّمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

وَكَاءٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك

تصميم المحاضرة:

أولا: الصعاليك لغة واصطلاحا

ثانيا: أسباب الظاهرة

ثالثا: شعر الصعاليك

رابعا: موضوعات شعر الصعاليك

خامسا: خصائص ومميزات شعر الصعاليك

أولا: الصعاليك لغة واصطلاحا:

أخذت لفظة الصعلوك معاني متعددة سواء في المعاجم، ومن معانيها: الفقر والعوز والضمور والهزال، فقد جاء في لسان العرب أن الصعلوك هو الفقير الذي لا مال له، ومنه قول حاتم طيّء:[1]

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلّا سقاناه، بكأسيهما

كما حملت معاني اللصوصية والدهاء والاحتيال والخبث والفتك[2]، قال ابن منظور: <<وذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون>>.[3]

أما الشعراء الصعاليك فهم جماعة من العرب عاشوا في القفار ومجاهل الأرض، يرافقهم الفقر والتشرد والتمرد، لذلك كانوا يغيرون على البدو والحضر بقصد النهب والتخريب ثم يمضون في الصحراء حيث مخابئهم، فلا يستطيع أحد لحاقهم لسرعة عدوهم ولمعرفتهم بطرق الصحراء. وقد اتصفوا بالشدة والصبر والاحتمال والشجاعة والقوة والكرم فكانوا يقتسمون غنائمهم ويساعدون الضعفاء والمحتاجين.

قال حنا الفاخوري معرفا الظاهرة: <<أما الصعاليك فهم جماعة من اللصوص انتشروا في الجزيرة العربية يكسبون العيش بالنهب والسلب. وقد نبذتهم قبائلهم إما لأنهم كانوا أبناء إماء، أو لأنهم أتوا

---

[1]– ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، مادة (صعلك)، م7، ص:350. محمد بن أبي بكر الرازي: معجم الصحاح، ضبط مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، ط4، 1990، باب (الذال)، ص:147، باب (الصاد)، ص:236. داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب ومراجعة داود سلوم، ط1، 2004. محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج العروس وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، م7، ص:350.

ينظر: ديوان عروة ابن الورد أمير الصعاليك، تح أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998م، ص:34 وما بعدها.

[3]– ابن منظور: لسان العرب، م 5، ص:14، 15.

بأعمال تتنافى وتقاليد تلك القبائل أو تعرضها لأخطار جسيمة. ولما كان الأمر كذلك انقطعت لأولئك الصعاليك كل صلة بالمجتمع القبلي، وبالعدالة الاجتماعية، ورأوا أنفسهم مجردين من وسائل الحياة المشروعة النبيلة في بلاد حفلت بالقسوة، وفي مسرح جغرافي لا يعرف إلا الأجواء الجافة، ورأوا من وراء فقرهم وجوعهم الثروات الطائل في أيدي التجار وسكان الحواضر فزادهم المشهد تمردا ونفورا. وراحوا يملؤون الفلوات والجبال والأودية رعبا وهولا، ويرفعون علم الصعلكة عاليا لا يبالون في سبيل غايتهم أكانت وسائلهم مشروعة أم غير مشروعة...>>.[1]

وهم كما ذكر يوسف خليف: <<المشاغبون أبناء الليل، الذين كانوا يسهرون لياليهم في الإغارة والغزو من أجل سلب الأموال ونهبها، والذين اتخذوا من هذه الأساليب الحرفة التي قامت عليها حياتهم، والأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم>>.[2]

وكانت غاراتهم تتركز في المناطق الخصبة تترصد قوافل التجارة وقوافل الحجاج القاصدة مكة المكرمة، وأما ما يحصلون عليه فكانوا يوزعونه على الأهل والأقارب المحتاجين، ويغلب عليهم الشعور بالكرامة في الحياة كما يعبر عنه قول أبي خراش الهذلي:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي

وأغتبق الماء القراح فأنتهي إذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم

أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطعم

مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

وهذا جعل الصعلكة تأخذ شكلاً إيجابياً رغم أنها قامت على السلب والنهب، لارتباطها بغرض إطعام الفقراء من أموال الأغنياء تأكيدا على حقهم في مال الغني، فالصعاليك: <<مزيج اجتماعي يحيطه سياج من الفقر والفقد والحرمان والبحث عن الذات يجمعهم نشيد واحد وصوت واحد، هو صوت الخلاص والحرية...>>[3]. وهذا عزز قناعتهم بالفعل الذي يقومون به، قال الشنفرى:[4]

لعمرك ما بالأرض ضيق عن امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقلُ

---

[1]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص:164، 165.

[2]–يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ص:21، 55، 180.

[3]– غيثاء قادرة: لغة الجسد في شعر الصعاليك، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2013، ص:31.

[4]– ديوان الشنفرى، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ، 1996م، ص:59.

حتى أنه كان يفضل أن يستف التراب على أن يتفضل عليه إنسان لأنه يملك نفساً حرة أبية تأبى الضيم كما يدل قوله:[1]

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل

و أستف ترب الأرض كي لا يرى له علي من الطول امرؤ متطول

كما أنهم أضفوا على أنفسهم صفة الكرم إلى حد الإفراط حتى أن تأبط شراً لم يبق على شيء لغده وفي ذلك يقول:[2]

يقول أهلكتَ مالاً، لو قنعتَ به من ثوب صدق ومن بزّ وإعلاق

عاذلتي إن بعض اللوم معنفة وهل متاع إن أبقيته باق

والصعاليك ثلاث فئات: فئة الخلعاء الشذاذ، وهم الذين خلعتهم قبائلهم بسبب أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها مثل حاجز الأزدي وقيس الحدادية . وفئة أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباءهم ولم يلحقوهم بأنسابهم مثل السليك بن السلكة وتأبط شراً والشنفرى. وفئة احترفت الصعلكة احترافاً وحولتها إلى ما يفوق الفروسية من خلال الأعمال الإيجابية التي كانوا يقومون بها، مثل عروة بن الورد سيد قبيلتي هذيل وفهم.

وقد انتشروا في المناطق المحيطة بمكة لوقوعها على الطريق التجاري الواصل بين اليمن والشام ليتمكنوا من الإغارة على القوافل التجارية، خاصة وأنّ انتشار الأسواق التجارية في تلك المنطقة أدى إلى انتشار تجارة الرقيق التي نقلت الكثير من الملونين المحرومين إلى البادية، والذين كانوا رافدا مهما في حركة الصعلكة. ومن أشهر الصعاليك:

عروة بن الورد: وهو من صعاليك الجاهلية وفرسانها الأجواد وأشهرهم على الإطلاق، وكان سيداً لهم يلجؤون له وقت الحاجة، وسمي عروة بن الورد لأنه كان يجمع الصعاليك ويقوم بأمرهم مما يغنيه،[3]

---

[1]– المصدر السابق، ص:62. **أديم:** من المداومة، وهي الاستمرار. **المطال:** المماطلة. **الطّول:** المن. **وامرؤ متطوّل:** منّان.

[2]– ديوان تأبط شرا وأخباره، تح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ، 1984م، ص:141. **البزّ:** الثياب والسلاح. **الأعلاق:** النفائس.

[3]– ابن منظور: لسان العرب، م7، ص:350.

قتله رجل من طُهية سنة 616م، وإضافة إلى الصعلكة، فقد كان شاعرا مجيدا[1]، يجمع في شعره بين لطافة المعنى ورقة المشاعر الإنسانية وجمال المعاني والإيقاع العذب[2]، قال عنه كرم البستاني في مقدمة تحقيقه لديوانه: <<لعل عروة ابن الورد، بين الشعراء أحب شخصية، وأكثرها جاذبية، ذلك لما اشتمل عليه هذا الشاعر الجاهلي الفطري من آداب إنسانية، وأخلاق كريمة، وجود لم يزنّ بتكلف، وروح اشتراكية تتجلى في كل ما كان يصنعه من إحسان ويبذله من عطف وجود اتجاه الصعاليك والمرضى والضعفاء، وهذا ما جعل معاوية بن أبي سفيان يقول: لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم>>.[3]

تأبط شراً: (ت بين عامي 530 م و535 م)، وهو ثابت بن جابر بن سفيان بن عَمِيْثَل بن عدي بن كعب بن حَزْن وقيل حرب، بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار، وأمه يقال لها أميمة، يقال أنه لقب بتأبط شرا لأن أمه قالت له كل إخوتك يأتونني بشيء إذا عادوا إلا أنت، فخرج فاصطاد أفاعي كثيرة وعاد بها إليها، وألقى إليها بالجراب الذي كانت فيه، ولما خرجت إلى نساء الحي سألنها: ماذا أحضر لك ثابت؟ فقالت: أتاني بأفاع في جراب. قلن: كيف حملها؟ قالت: تأبطهن. قلن: لقد تأبط شرا، وقيل لقب كذلك لأنه لقي الغول في ليلة ظلماء. عرف بالعدو حتى قيل أنه كان إذا جاع اختار أسمن الظباء وجرى خلفها حتى إذا امسكها شواها وأكل لحمها.[4]

الشنفرى الأزدي: اختلف الدارسون في اسمه فقيل أنه ثابت بن أوس الأزدي، أو أنه عمرو بن براق، أو ثابت بن جابر وأن الشنفرى لقبه ويعني الغليظ الشفتين، كما وقع الاختلاف على نسبه، فقيل أنه من سلامان وأنه هجرهم وحقد عليهم بعد اكتشافه أنه ليس منهم، وقيل أنه من الأزد ولكنه هجرهم حين أغاضوه، عرف بالعدو حتى ضرب به المثل فقيل: "أعدى من الشنفرى" (ت نحو 70 ق م/ 525 م)،[5]وقد رثاه رفيقه تأبط شرّا بقوله:[6]

على الشنفرى ساري الغمامِ فرائح غزيرُ الكُلى وصيِّبُ الماء باكِرُ

---

[1]– ديوان عروة بن الورد، تح كرم البستاني، ص:7، 8. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تح أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998م، ص:9– 14.

[2]– ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تح أسماء أبو بكر محمد، ص:13، 14.

[3]– ديوان عروة بن الورد، تح كرم البستاني، ص:7.

[4]– ديوان تأبط شرا وأخباره، ص:263 وما بعدها.

[5]– ديوان الشنفرى، ص:9 وما بعدها.

[6]– المصدر نفسه، ص:12.

من أشهر شعره اللامية التي قال عنها المستشرق جورج يعقوب أنها أصدق قصيدة جاهلية لما فيها من تصوير حي لواقع الحياة الجاهلية وللحياة القاسية بالصحراء وللحقد الذي كان يشعر به صاحبها اتجاه من ظلمه من الناس.[1]

إضافة إلى أسماء أخرى منها: السليك بن السلكة، من بني مقاعس، (ت نحو 605 م)، الحارث بن ظالم المري، (ت نحو 600 م)، قيس بن الحدادية من خزاعة، (توفي قبيل الإسلام)، حاجز بن عوف الأزدي (توفي قبيل الإسلام بفترة قصير)، أبو منازل السعدي، وهو فرعان بن الأعرف من بني تميم، (قيل توفي في خلافة عمر بن الخطاب.)، الخطيم بن نويرة، عاش في صدر الإسلام، وربما أدرك أوائل العصر الأموي، القتال الكلابي من بني عامر بن صعصعة، (ت نحو 66 هـ)، فضالة بن شريك الأسدي ، (تعام 64 هـ)، صخر الغي من هذيل، (توفي في صدر الإسلام)،الأعلم الهذلي، وهو حبيب بن عبد الله الهذلي، وهو أخو الشاعر الصعلوك صخر الغي، وقد عاش حتى عصر صدر الإسلام .

ثانيا: أسباب الظاهرة: ومما لاشك فيه أن هناك عوامل كثيرة أدت إلى بروز ظاهرة الصعلكة في الصحراء العربية إبَّان العصر الجاهلي. وهي:

جغرافيا شبه الجزيرة العربية: فمناخ الصحراء وشُحِّها بالغذاء إلى درجة الجوع الذي يهدد الإنسان بالموت، ساعد على وجود تفاوت بين أفراد القبيلة فيما يخص الاستفادة من موارد العيش في ظلّ التوزيع غير العادل لمصادره. وهذا العامل ولّد طبقتين اجتماعيتين: طبقة الأغنياء التي تستمتع بجميع موارد الرزق، وقد استأثرت لنفسها بالأموال والسلطة، وطبقة محرومة ساعد على وجودها عدم وجود سلطة مركزية عامة يخضع لها العرب جميعا، مهمتها التوزيع العادل لمصادر العيش وموارده وبالتالي التقليل من المسافات الاجتماعية والمادية بين أفراد القبيلة، <<ففي غياب الهيئة الاجتماعية التي ترعى شؤون الناس، وتنشر العدل بينهم، فيدين لها أبناء المجتمع بالولاء، وينتظمون تحت رايتها تنشأ الفوضى وتعمّ، وتبرز الفوارق الطبقية، ويسيطر القوي على الضعيف، سيطرة الغني على الفقير، وحياة هذا شأنها، وتلك ظروفها وحيثياتها، لا يستطيع تحمّلها إلا من كان قويّ الجسد، موهوب النفس>>.[2]

نظام المجتمع الجاهلي وسياسته: ويتمثل في القوانين التي وضعتها القبيلة والقائمة على العصبية ورابطة الدم. فالقبيلة قائمة بالأساس على مجموعة من الطبقات وأكثرها حرمانا هم العبيد من أبناء الحبشيات، ومجموعة كبيرة من الصعاليك ينتمون إلى هذه الطبقة أمثال الشنفرى وعمرو بن برَّاقة

[1]– ينظر: المصدر السابق، ص:19.

[2]– غيثاء قادرة: لغة الجسد في شعر الصعاليك، ص:30.

والسليك بن السلكة وعامر بن الأخنس وغيرهم. وكان يُطلق عليهم أغربة العرب أو الغِرْبان تشبيهًا لهم بالغراب لسواد بشرتهم .

ويرتبط بهذا العامل عامل آخر وهو: العامل الاقتصادي، فحياة القبيلة في العصر الجاهلي كانت تقوم على النظام الإقطاعي الذي يستأثر فيه السادة بالثروة، في حين يعيش معظم أفراد الطبقات الأخرى خدما. لهم. ونتيجة لذلك ظهر من بين الأحرار أنفسهم نفر رفضوا أن يستغل الإنسان أخاه الإنسان، وخرجوا على قبائلهم باختيارهم لينتصروا للضعفاء والمقهورين من الأقوياء المستغلين، ومن أشهر هؤلاء عُروة بن الورد الملقب بأبي الصعاليك أو عروة الصعاليك، لأنه كان يمثل الصوت الحي والشجاع للثورة على الواقع الاجتماعي، ورفض اضطهاد الطبقة الأرستقراطية المتحكمة بالرزق، فرغم أن القبيلة كانت في ذلك العصر هي القانون الذي يتولى حماية الإنسان في الصحراء القاسية المخيفة، فقد اختار هؤلاء الخروج عنها والتخلي عن حمايتها، وانطلقوا إلى الصحراء العميقة الموحشة يقومون بالثورة على طريقتهم الفردية.[1]

ثالثا: شعر الصعاليك:

هو مصطلحٌ يصف ظاهرة أدبية أوجدتها طائفة من شعراء العصر الجاهلي عكسوا بسلوكهم وشعرهم نمطًا فكريًا واجتماعيًا مختلفا عمّا هو معروف عن العصر الجاهلي. وإذا كان الأصل اللغوي لهذه الكلمة يقع في دائرة الفقر، فإن الصعلكة في الاستعمال الأدبي لا تعني الضعف بالضرورة، فهناك من الخصائص الفنية الجيدة التي تطبع شعرهم وتضعه في مرتبة الجودة لغة وموضوعات، خاصة وأنه يتميز بالصدق وبمجاراة الواقع المعاش لا واقع القبيلة كما يروّج له سادتها والأقوياء منها.

فشعر الصعاليك وجه آخر من وجوه الشعر الجاهلي يميزه ويزيده ثراء وعمقا، لكنه –مع ذلك– لم ينل من الدراسات ما يكشفه ويجلوه، قال علي ذو الفقار شاكر في مقدمة تحقيق ديوان تأبط شرا: <<إن الظاهرة الفنية التي يمثلها شعر الصعاليك في العصر الجاهلي واحدة من الظواهر الفنية العامة في تاريخ الشعر العربي التي لم تتم –بعد– دراسة جميع جوانبها وأبعادها، رغم ما تميزت به من خصائص فنية مختلفة –أو متميزة– عن الخصائص العامة الرئيسية لبقية الشعر الجاهلي>>.[2]

[1]– ينظر: ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، 1425هـ، ج1، ص:17 وما بعدها.

[2]– ديوان تأبط شرا وأخباره، ص:7.

ولعلّ سبب تميزه بالمقام الأول: صدقه وفرديته، وقد أطلق حنا الفاخوري على أصحابه مصطلح <<شعراء الانفرادية البدوية >>[1]. وأكبر مظهر من مظاهر صدقه أنه رفع صوته في وجه التّسلّط والظّلم، لذلك علينا أن نقرأه قراءة أخرى، تعتمد أساسا على النص وحده بعيدا عن الآراء التاريخية الجاهزة التي أُلصِقت بالصّعاليك.[2]

رغم أن ذلك ليس بالمسألة السهلة لما يكتنفها من غموض وصعوبة، بسبب طبيعة العصر نفسه– العصر الجاهلي– لأن تاريخ الأدب العربي في صورته الدقيقة الثابتة يبدأ من ظهور الإسلام، حيث جمع العرب بكيان متماسك، فلم تدون أخبار العرب إلا في عصور متأخرة، ومن هنا نشأت وترعرعت فكرة الشك، فيما وصل إلينا من أشعار وأخبار عن هذا العصر.

رابعا: مواضيع شعر الصعاليك:

موضوع الحرمان والجوع والمعاناة: اعتقد الجاهليون بأهمية الجسد لأنه نافذة الإحساس بالذات، لذلك ثاروا عندما فقد بعضهم لذة الإحساس بها جراء حرمانهم أبسط حقوقهم، ومعاناتهم الذل والمهانة والجوع في قبيلة تفخر بالغني وتجلّه وتزدري الضعيف وتحرمه، لذلك يكثر الحديث عن المعاناة التي سلطت عليهم في مقدمتها الجوع وما يترتب عنه من آلام وهزال وضعف وثقل في الحركات، ومن نماذجه قول الشنفرى:[3]

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلّ تهاداه التنائف أطحل

غدا طاويا يعارض الريح هافيا يخوت بأذناب الشعاب ويعسل

وقول عروة ابن الورد:[4]

إني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إناؤك واحد

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بوجهي شحوب الحقّ والحق جاهد

---

[1]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986، ص:170 وما بعدها.

[2]– محمد بَرُّونة: شعر الصعاليك. قراءة في المتن: عن الموقع الالكتروني : http://www.startimes.com/?t=16372740 1http://insaniyat.revues.org/1046 ماي 2012، بتاريخ: 6 نوفمبر 2016.

[3]– ديوان الشنفرى، ص:63، 64. **أغدو**: أذهب وقت الغداة بين شروق الشمس والظهر. **الأزل**: صفة الذئب القليل اللحم. **تهاداه**: تتناقله وتتداوله. **التنائف**: الأرضون وواحدتها تنوفة. وقيل هي المفازة في الصحراء. **الأطحل**: الذي في لونه كدرة. **طاويا**: الجائع.

[4]– ديوان عروة بن الورد، تح كرم البستاني، ص:29. ديوان عروة ابن الورد أمير الصعاليك، تح أسماء أبو بكر محمد، ص:61. **عافي إنائي شركة**: أي يوجد من يشاركني فيه. أملأ إنائي لبنا حتى إذا حضر الضيوف وجدوا ذلك مهيأ لهم. **عافي إنائك واحد**: لا يشاركك فيه أحد. **أقسم جسمي**: أي قوت جسمي. **أحسو قراح الماء**: الذي لا يخالطه لبن ولا غيره.

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء، والماء بارد

كما رسم تأبط شرا صورة فنية لجسده الضئيل بسبب الجوع في قوله:[1]

قليل ادّخار الزاد إلّا تعلّة وقد نشز الشرسوف والتصق المعيذ

وفي صورة حسية أخرى مرسومة بخطوط الجوع وآثاره على الجسد قال أبو خراش الهذلي:[2]

وما بعد أن قد هدّني الدهر هدّة تضال لها جسمي ورقّ لها عظمي

وما قد أصاب العظم منّي مخامر من الداء داء مستكن على كلم

وإن قد بدا مني لما قد أصابني من الحزن أني ساهم الوجه ذو همّ

شديد الأسى بادي الشحوب كأنني أخو جنة تعتاده الخبل في الجسم

وقال في صورة معبرة عن معاناة قاسية مع الجوع:[3]

إذا ابتلت الأقدام، والتف تحتها غثاء كأجواز المقرنة الدهم

ونعل كأشلاء السمانى نبذتها خلاف ندى من آخر الليل أو رهم

وقال حاجز الأزدي:[4]

وليلة قرّة أدلجت فيها يحرّق جلد ساقيّ الهشيم

فأصبحت الأنامل قد أبينت كأن بنانها أنمف رثيم

تراها من وثام الأرض سودا كان أصابع القدمين شيم

فقد أشارت معظم نصوصهم إلى حرمان الصعاليك أهم أساسيات العيش المادية والروحية لذلك يسمع قارئ قصائدهم أصوات الجوع والعطش والتهميش وما يترتب عنه من ألم وهزال وضعف وثقل في

---

[1]– ديوان تأبط شرا، ص:115. **التعلة** والتحلة القليل الذي تعلل به ويسد الرمق من الزاد. **الشرسوف:** واحد الشراسيف وهي طرف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن ونشوزها وظهورها علامة على الجوع والهزال.

[2]– ديوان الهذليين، تح محمود أبو الوفا، أحمد الزين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ، 1965م، ق 2، ص:151، 152.

[3]– المصدر نفسه، ص:130، 131.

[4]–يحي الجبوري: قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص:73.

الحركات، فبنفس متألمة محرومة علّل عروة سبب نحوله وهزاله للائمه وهو إيثاره غيره على نفسه وتقاسمه الطعام مع من حرموا منه، كما رسم تأبط شرا صورة فنية لجسده الهزيل بسب الجوع. وفي صورة جسدية مرسومة بالهزال والضعف والحزن بسبب الجوع قال أبو خراش الهذلي يرثي خالد بن زهير:[1]

وما بعد أن هدني الدهر هدّة تضال لها جسمي ورق لها عظمي

وما قد أصاب العظم مني مخامر من الداء داء مستكنّ على كلم

وأن قد بدا مني لما قد أصابني من الحزن أني ساهم الوجه ذو همّ

شديد الأسى بادي الشحوب كأنني أخو جنة تعتاده الخبل في الجسم

بفقد امرئ لا يجتوي الجارد قربه ولم يك يشتكى بالقطيعة والظلم

وفي تصوير بالغ قال أبو خراش الهذلي مصورا آثار الجوع على جسده:[2]

إذا ابتلّت الأقدامُ والتفّ حولها غُثاءٌ كأجوازِ المُقرنة الدُّهم

ونعلٍ كأشلاء السُّمانى نبذتها خِلافَ ندىً من آخر الليل أو رِهْمِ

الحيوان: أمر طبيعي أن يحضر الوحش بقوة في شعر الصعاليك، لأنّهم ألفوه واستأنسوه، بل وصاروا منه وارتبطوا به كما يقول الشنفرى:[3]

وَلي دونكم أَهْلون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقط زُهْلولٌ وَعَرْفاءُ جَيْأَلُ

وهذا إقرار صريح وواضح من الشاعر بالألفة التي بينه وبين الذّئب والضبع، وله مع الوحوش حكايات وأحاديث حميمة، إذ أصبحوا قومه وعشيرته الجدد؛ ومستودع أسراره كما يبدو من قوله: [4]

هُمُ الأَهلُ لا مُستَوْدَعُ السِّرِ ذائع لَدَيْهِمْ، وَلا الْجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ

---

[1]– ديوان الهذليين، ق 2، ص:151، 152.

[2]– **غثاء:** صوت الجمل. **أجواز:** أوساط. **الدهم:** الأسود. **كأشلاء السمانى:** النعل القديم المتقطع. **الرهم:** المطر الضعيف الساكن.

[3]– ديوان الشنفرى، ص:59.

[4]– المصدر نفسه، ص:48.

فأفراد عائلته الجديدة هم: ذئب قوي سريع (سيد عملّس)، ونمر مرقط (أرقط زهلول)، وضبع كثيف الشعر طويل العنق (عرفاء جيألُ)، وهذا يشكل مفهوم الثورة على الجماعات البشرية المحيطة به (القبيلة)، وهي إشارة إلى سادة القبائل الذين يستعبدون غيرهم، وبخاصة الضعفاء، ويسلبوهم حقوقهم إذْ صار الذئب والأسد معادلين موضوعيين في صورته الشعرية.

ولم يكتف الشنفرى بالقطيعة مع القبيلة والقوم، وهو حيٌّ، وإنّما فضّل أن تستمر حتى بعد موته، فلقد أوصى أنْ لا يُدفن مع بني البشر، وإنّما يُقدَّم طعامًا للضباع؛ أحد أفراد (عائلته) الجدد ويبشّرها بلحمه :[1]

لا تَقْبُرُوني، إنَّ قَبْري مُحَرّمٌ عَلَيْكُـمْ، وَلَكِنْ أَبْشري أُمَّ عامِرِ

أما تأبط شرا، الذي جاور الغول، وتصارع معها، فإنّه ألف الوحش ولم يعد يخافه لأنه ألفه واستأنسه، وهذا مما يدل على قوة تأبط شرا وثباته، وعلى استقراره ببيت الوحش، إذ سكنه رفقته، واتخذ من الوحش ومسكنه بديلا عن القبيلة والقوم، بل تحوّل صيده إلى الإنسان وما يملكه: [2]

يَبيتُ بِمَغْنى الْوَحْشِ حَتّى أَلِفْنَهُ وَيُصْبَحُ لا يَحْمي لَها الدَّهْرَ مَرْتَعا
رَأَيْنَ فَتًى لا صَيْدُ وَحْشٍ يَهُمُّه فَلَوْ صافَحَتْ إِنْسًا لَصافَحْنَهُ معا
وَلَكنَّ أَرْبابَ الْمَخاضِ يَشُفُّهمْ إذا اقْتَفَروهُ واحدًا أو مُشَيَّعَا

ومن أكثر الحيوانات ذكرا في قصائد الصعاليك الذئاب، فقد أبدعوا في رسمه في صور شتى كما في قول تأبط شرا:[3]

وواد كجوف العيْر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المُعَيَّلِ

فقلت له لمّا عوى إن ثابتا قليل الغنى إن كنت لمّا تموّل

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

---

[1]– المصدر السابق، ص:48.

[2]–ديوان تأبط شرا وأخباره، ص:115، 116. **المغنى**: منزل الحيوان. **المخاض**: النوق الحوامل. **يشفهم** : يهزلهم **اقتفروه**: تتبّعوه.

[3]– ديوان تأبط شرا وأخباره، ص:182، 183. **المعيل**: كثير لعيال. **إن شأننا قليل الغنى**: أي أنني لا أغني عنك شيئا ولا أنت. **ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل**: أي من يطلب الزاد مني ومنك لا ينال شيئا.

وقول الأحيمر السعدي:[1]

أراني وذئب القفر إلفين بعدما بدأنا كلانا يشمئز ويذعر

تألّفني لما دنا وألفته وأمكنني للرمي لو كنت أغدر

المرأة: نال هذا الموضوع حظه من اهتمام الصعاليك، وكان يرد غالبا على شكل حوار مع الزوجة، وأكثره يدل على تمسكهم بأسرهم ووفائهم لمسؤولياتهم وحنينهم للحياة العادية. ومن نماذجه قول عروة ابن الورد:[2]

قالت تماضر إذ رأت مالي خوى وجفا الأقارب فالفؤاد قريح

مالي رأيتك في الندى منكسا وصبا كأنك في الندى نطيح

وغالبا ما يأتي الحديث عن المرأة أثناء الحوار الذي يدور بين الشاعر وأحد أهله أو في حالة العتاب أو الوداع، ومثل ذلك الحديث الذي دار بين الشنفرى وزوجته قبل الخروج إلى المعركة:[3]

دعيني وقولي بعد ما شئت فإنني سيغدي بنعشي مرّة فأغيّبُ

خرجنا فلم نعهد وقلّتْ وصاتُنا ثمانية ما بعدها متَعتَّبُ

وقول عروة يخاطب زوجته غير مبال بالموت:[4]

ذريني ونفسي، أمّ حسّان إنني بها، قبل أن لا أملك البيع مشتري

أحاديثَ تبقى والفتى غير خالدٍ إذا هو أمسى هامةً فوق صَيّرِ

ذلاني أطوّفْ في البلاد لعلني أخلّيك أو أغنيك عن سوء مَحْضَري

فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكن جزوعًا، وهل عن ذاك، من متأخرٍ

---

[1]– محمد نبيل الطريفي: ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص:58.

[2]– ديوان عروة ابن الورد، ص:24. **تماضر**: اسم امرأة. **خوى**: ذهب. **الندى**: النادي. **الوصب**: المريض. **النطيح**: من نطحه الثور بقرنه.

[3]– ديوان الشنفرى، ص:27.

[4]– ديوان عروة ابن الورد، ص:35.

وقوله:[1]

ذريني للغنى أسعى فإنني رأيت الناس شرّهم الفقير

وأهونهم وأحقرهم لديهم وإن أمسى له كرم وخير

ويعصى في الندى وتزدريه حليلته وينهزه الصغير

وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جمّ ولكن الغنى ربّ غفور

الشيب: ويأتي هذا الموضوع تعبيرا مكملا لموضوع الحرمان حيث يصور الشاعر حالته المزرية، ومن نماذجه قول عروة ابن الورد متحصرا على شبابه:[2]

يدعونني كهلا وقد عشت حقبةً وهنّ، عن الأزواج نحوي نوازعُ

كأني حِصان مال عنه جلاله أغرُّ كريم، حوله العوذُ راتعُ

فما شاب رأسي من سنين تتابعت طِوالٌ، ولكن شيّبته الوقائعُ

وقول أبي كبير الهذلي:

ذهب الشباب وفات مني ما مضى ونضا زهير كريهتي وتبطّلي

التآزر والتضامن مع الغير ومع جماعة الصعاليك: يظهر ذلك في أقوال لصعاليك آثروا حياة اللصوصية خدمة للجماعة أمثال قول عروة ابن الورد وهو القائل:[3]

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنّع

أحدثه، إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

---

[1]– المصدر السابق، ص:45.

[2]–ديوان عروة ابن الورد، ص:48. **العوذ:** جمع عائذ، وهي حديثة النتاج من الظباء والإبل والخيل.

[3]– المصدر نفسه، ص:08.

والقائل:[1]

فلا أترك الإخوان ما عشت مع الردى كما أنه لا يترك الماء شاربه

خامسا: مميزات شعر الصعاليك:

1/ خالف الصعاليك المجتمع القبلي الذي تمرّدوا عليه في نمط العيش وفي الطّقوس والمعتقدات، واختلفوا مع فنّه وموضوعاته، وبنية قصيدة شعرائه من حيث وحدة الموضوع والمضمون، وكأن انقطاع الصّلة بينهم وبين قبائلهم أدّى إلى انقطاعها فنيا بحكم المحيط الذي ألفوه بطبيعته ووحشه وإنسه، وبحكم مغامراتهم، وتربصهم بالقبيلة وأملاكها، وقوافل تجارتها؛ فحضر – بشكل جليّ– الوحش الذي اختاروه أهلا بديلا لأنهم لجأوا إلى أمكنته، وسكنوا كهفه واعتصموا بأعالي الجبال. فأصبح شعرهم يعبّر عن هذه الحياة الجديدة، وأضحى " الأنا الفردي" بديلا عن ضمير القبيلة، وإن ورد ضمير "الأنا الجمعي" في شعرهم، فإنه يعبّر عن تجمع الصعاليك، وقد جمعتهم رابطة جديدة هي رابطة الحِرفة والمبدأ.

2/ لذلك لا نجد المعجم الطللي عندهم إلاّ نادراً، وإن كنّا نجد المكان في ضوء جديد، ولا يعني المكان/ الطّلل، كما لم يتميز شعر الصعاليك بالقصائد الطوال بل كان مقطوعات تعبر عن الغاية باختصار، وبوحدة الموضوع مخلفين أسلوب الجاهليين في البكاء على الأطلال والمقدمات الغزلية ووصف الناقة، وحلّوا محله الحوار مع الزوجة ووصف مغامراتهم.

3/ كما اهتموا في شعرهم بالحديث عن أماكن تواجدهم، فأشاروا إلى طبيعتها بالوصف الدّقيق، وسموها "المراقب"؛ وهي أعالي الجبال وقممها، لأنها كانت الملجأ، منها يتربصون بضحاياهم، فيخططون لرصد الهدف للإغارة، قال الشنفرى –في إحدى قصائده – متحدثا عن إحدى المراقب التي كان يلجأ إليها مترصدا متربصا:[2]

وَمَرْقَبَةٍ عَنْقاءَ يَقْصُرُ دونَها أَخو الضِّرْوَةِ الرِّجْلُ الْحَفِيُّ الْمُخَفَّفُ

نَعَيْتُ إلى أَدْنى ذُراها وَقَدْ دَنا مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الْحَديقَةِ أَسْدَفُ

وبقيت تلك المراقب، شاهدة على الشنفرى، بعد موته، إذ وقف تأبط شرا يرثيه ويتذكر انقضاضه على (فرائسه) وثأره من أعدائه كما يقف الشاعر على الطلل باكيا متذكرا :

وَمَرْقَبَةٍ شمّاءَ أَقْعَيْتَ فَوْقَهَا لِيَغْنَمَ غازٍ أَوْ لِيُدْرِكَ ثَائِر

---

[1]– المصدر السابق، ص:19.

[2]– ديوان الشنفرى، ص:53. **المرقبة** : مكان المراقبة – **العنقاء** : الطويلة – **يقصر دونَها**: يعجز عن بلوغها. **أخو الضروة** : الصياد معه كلاب ضراها للصيد. **الحفيّ** : غير المنتعلة .

فالجبال والمغارات والمراقب كانت ملجأ الصعاليك ومهربهم والمخبأ الذي يحميهم من ملاحقة الفرسان، وهذا تأبط شرا يلجأ دوما إلى الطّود جاريا في نقابه: [1]

وزِلْتُ مُسَيَّرًا أَهْدي رَعيلاً أَوُمُّ سَوادَ طَوْدٍ ذي نِقابِ

ومثله أبو خراش الهذلي لقوله:[2]

لستُ لمُرّةَ عن لم أوف مرقبةً يبدو لي الحرف منها والمقاضيبُ

في ذات ريْدٍ كذلْق الفاس مشرفةٍ طريقها سربٌ بالناس دعْبوبُ

4/ تميز شعر الصعاليك بالتعبير الصادق عن المغامرات التي كانوا يقومون بها، وخاصة منهم عروة بن الورد المحبّ الكريم الجواد، ففي شعره نظم لغزواته ولمعاركَهُ، كما في قوله:[3]

إذا ما هَبَطْنا مَنْهَلاً في مَخوفَةٍ بَعَثْنا رَبيئًا في الْمَرابِئ كَالْجِذْل
يُقَلِّبُ في الأَرْضِ الْفَضاءِ بِطَرْفِهِ وَهُنَّ مُناخاتٌ ومِرْجَلُنا يَغْلي

ومن هنا، نستنتج أنّ لجوء الصعلوك إلى الجبل، (واقعياً) و(فنيّا)، إنّما ليؤكد حريته بما تتميّز به من علوّ وسموّ، وقد ألِف قسوتها واستأنس وحشتها ووحوشها.

والصعلوك لا يقف عند مرقبة أو جبل محددين، وإنّما ينتقل بين كلّ الجبال والمراقب ويسميها؛ وفي كثير من المواقف يتفنّن في وصفه بدقة، يقول أبو كبير الهذلي:[4]

وعَلَوتُ مُرْتَبِئًا على مَرْهوبَةٍ حَصَّاء ليس رقيبُها في مَثْمِلِ
عَيْطاءَ مُعْنِقةٍ يَكونُ أَنيسُها وُرْقُ الحَمامِ جَميمُها لَمْ يُؤْكَلِ

---

[1]– ديوان تأبط شرا، ص:71.**الرعيل** : القطعة من الخيل أو المتقدمة من الخيل. **الطود** : الجبل. **النقاب** : ج نقب وهو الطريق في الجبل.

[2]– ديوان الهذليين، ق 2، ص:159. **أوف**: أشرف. **المقاضيب**: مواضع القتّ والرطبة من علف الدواب. **الريد**: حرف ناتئ من الجبل. **كذلق الفأس**: كحد الفأس. **طريقها سرب**: شائع. **دعبوب**: موطوء.

[3]–ديوان عروة بن الورد، ص:76-77.

[4]– ديوان الهذليين، ص:97. **مرهوبة** : يُرهب أن يُرقى فيها .**ليس رقيبها في مثمل** : أي ليس رقيبها في حفظ. **العيطاء** : الطويلة العنق. **والمعنقة** : الطويلة.**الجميم** : ما نهض وانتشر من النبات.

إن علاقة الشعراء الصعاليك بالمكان تكاد تكون علاقة ألفة واستئناس، دلالة على خرقه مقدسات القبيلة وطقوسها، ولذا نجد في شعر الصعاليك، – معظمه –انفصام وتميّز عن باقي الشعر الجاهلي تميزا يضعه موضع التفرد ويجعله عينا أخرى بالإمكان الوثوق فيها لمعرفة حياة العصر الجاهلي، بعيدا عن الرؤية التي جاءت بها المعلقات وسائر الشعر.

خاتمة:

لا يقل شعر الصعاليك من حيث القيمة عن باقي الشعر العربي، فهو شعر الحياة القبلية وشعر الطبقة المستضعفة أو المحتاجة، والتي لم تجد في القبيلة من يحقق آمالها فوجدته عبر الثورة وعبر النظم شعرا، ملاذها الخيال والكلمة الشعرية التي تحمل الكثير من الدلالات التي تجعل شعر الصعاليك غنيا بالتعابير والصور والأخيلة. وهو لذلك بحاجة على مزيد من التعمق والتخصص رغم ما يكتنفه من غموض وصعوبات.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ديوان عروة ابن الورد أمير الصعاليك، تح أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998م.

2-يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر.

3- غيثاء قادرة: لغة الجسد في شعر الصعاليك، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2013.

4- محمد نبيل طريفي: ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، 1425هـ.

5- ديوان تأبط شرا وأخباره، تح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1404هـ، 1984م.

6- يحي الجبوري: قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

7- ديوان الشنفرى، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ، 1996م.

8-ديوان الهذليين، تح محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، 12 ربيع الثاني 1362هـ، 30 يناير 1950م.

9- شريف، بشير أحمد: الصعلوك الشعري ورؤيوية (تأبط شرا)، مجلة جذور، جدة، النادي الأدبي الثقافي، العدد الرابع، سبتمبر 2000.

10- محمد **بَرُّونـة:** شعر الصعاليك. قراءة في المتن: عن الموقع الالكتروني : http://www.startimes.com/?t=16372740 http://insaniyat.revues.org/ بتاريخ 1 ماي 2012.

نص التطبيق:

حلل قول الشنفرى الآتي انطلاقا مما درسته عن شعر الصعاليك:[1]

1- أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

2- فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

3- وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

4- لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ سَرَى رَاغِبَاً أَوْ رَاهِبَاً وَهْوَ يَعْقِلُ

5- وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

6- هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

7- وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَرَائِدِ أَبْسَلُ

8- وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

9- وَمَا ذَاكَ إلّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

.....

22- أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ وأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

23- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

24- ولولا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

25- وَلكِنّ نَفْسَاً مُرَّةً لا تُقِيمُ بي على الذامِ إلاَّ رَيْثَما أَتَحَوَّلُ

26- وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

27- وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أَطْحَلُ

28- غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ

[1]- ديوان الشنفرى، تح إميل بديع يعقوب، ص:59.

المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات

تصميم المحاضرة:

أولا: الحياة الأدبية في صدر الإسلام

ثانيا: مفهوم شعر الفتوحات

ثالثا: أغراضه

رابعا: خصائصه

أولا: الحياة الأدبية في صدر الإسلام:

أحدث الكتاب العزيز ثورة فكرية عميقة في شبه الجزيرة العربية، إذ عمل على تهذيب الأذواق وساهم في رقيها، كما زاد لهجة قريش سيادة وأعطاها الشرعية ومكّنها من التفوق على باقي لهجات العرب خاصة لما تمّ جمع القرآن الكريم، وصار في إمكان الناس الاطلاع على ما فيه من أساليب وإعجاز، وكان لهذا أثره الواضح على الأدب والشعر خاصة، فقد مده بألفاظ جديدة ومعاني لم يكن العرب ليدركوها على غرار: الفرقان، المنافق، الإيمان، كما أعطى لبعض الألفاظ معاني ودلالات جديدة مغايرة لتلك التي كانت عليها في الجاهلية كألفاظ: المؤمن، المسلم، الكافر....[1]

قال مصطفى السيوفي: << لقد حظر عليهم الإسلام أن يلموا منه إلا بما عفّ لفظه وشرف معناه ... من أجل ذلك تحولوا عن معانيهم الشعرية التي أجادوها، وأبدعوا فيها إلى المعاني التي أقرها الدين الحنيف ويرتضيها، بل إن من شعرائهم من امتنع عن قول الشعر في الإسلام، لأن الله أبدله به خيرا>>.[2]

واستجابة لتلك الدعوة انبرت طائفة من الشعراء الجاهليين –بعد اعتناقها الإسلام– على خدمة الدين بشعرها، يتقدمهم حسان ابن ثابت الذي سخر كل طاقاته لخدمة الدين الجديد، فهجا قريشا هجاء مرّا، ومثله عباس بن مرداس، وكعب ابن مالك، والنابغة الجعدي، وغيرهم. كما سلك الصحابة في تعاملهم مع الشعر مسلك محمد صلى الله عليه وسلم، فنشأ عنهم شعر ملتزم متقيد بالصبغة الإسلامية ومتسع ليشمل مناحي الحياة بفرحها وخزنها ورضاها وسخطها معا، فكانت معانيه عتابا واستعتابا، ووصفا وحكمة[3]، هدفه الأسمى خدمة الدين وإذاعته والدفاع عنه باللسان دون تعارض مع موقف

---

[1]– مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، 2008، ط 1، ص:38،37.

[2]– المرجع نفسه، ص:77.

[3]– محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1985م، ص:63.

الإسلام من الشعر[1]. قال أدونيس: <<أقر الإسلام الشعر شريطة أن يكون أداة لخدمة الدين والنظام الذي يؤسسه. ولا تقوم الأداة بذاتها بل بوظيفتها. فهو، كوسيلة لغاية أشرف منه وأعلى، يشرف ويعلو بقدر ما يستلهم هذه الغاية، ويرتبط بها ويخدمها ويفيدها.>>[2]

وقد تجلى أثره إضافة إلى ما أدخله على لغة الشعر والنثر من تعديلات ودلالات جديدة، بما جاء به من مواضيع مميزة منها: حب الشهادة، والشوق للآخرة، والوعظ والتذكير بها وبالجزاء، تحبيب الناس في الجهاد والدعوة إليه، الاعتذار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك القصيدة التي نظمها عبد الله ابن الزبعري وهو من شعراء مكة الذين هجوا الرسول في بداية الدعوة فلما أسلم قال:[3]

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرُّواق بهيمُ

مما أتاني أنّ أحمد لامني فيه فبتّ كأني محموم

يا خير من حملت على أوصالها عيْرانةٌ سُرح اليدين رَسومُ

إني لمعتذر إليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

أيامَ تأمرني بأغوى خطة سهمٌ وتأمرني بها مخزومُ

فاغفر فدى لك والديَّ كلاهما ذنبي فإنك راحمٌ مرحوم

ناهيك عن التعديلات التي وقعت على المواضيع التقليدية من مدح وهجاء ورثاء وفخر وغيرها. فالشعر في صدر الإسلام شعر حافل بالموضوعات غني بالخصائص، لأنه مسّ جوانب الحياة الإنسانية الحافلة بالأحداث والشخصيات.[4] وأما دعوى فشله بمجيء الإسلام التي يروج لها كثير من المستشرقين وغيرهم ممن ذهب إلى أن فكرة تكريس الشعر لخدمة الدين تسببت في إضعافه، فلا أساس لها من الصحة بدليل النصوص المنتجة في حضرة الإسلام، وبدليل المواضيع والأفكار التي تناولها شعراء صدر الإسلام أو شعراء فترة الفتوحات وما ضمته من بلاغة أسلوب ورقة عبارة.

---

[1]– المرجع السابق، ص:63.

[2]– أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1994، ط7، ج 1،، ص:198.

[3]– ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، مع تمهيد للألماني جوزيف هيل، دراسة طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م، ص:94.

[4]– ينظر: محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، ص:6، 7.

ثانيا: مفهوم شعر الفتوحات:

كما يسمى شعر الجهاد، وهو الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بإقدام وشجاعة الجند أمام قسوة المعارك وضراوة القتال[1]، وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعارك والمغازي ووصف الحياة الجديدة التي آلات إليها شبه الجزيرة العربية بعد مجيء محمد صلى الله عليه وسلم مبشّرا ومنذرا، ويتميز بصدوره عن مشاعر صادقة مرتبطة بلحظات ومناسبات تاريخية مميزة، كالانتصار في غزوة ما، أو تحفيز الجيش على القتال، أو الحنين للأهل والأبناء، أو رثاء قتلى المسلمين وغيرها لذلك يعد سجلا تاريخيا مهما.

ولأنه قريب العهد من العصر الجاهلي فقد تضمن أغراض الشعر الجاهلي من فخر وهجاء ورثاء، ولكنه حاورها بما يتماشى والعقيدة الجديدة التي قننت حياة الفرد ووجهت سلوكه وتفكيره.

ونظرا لطبيعة المناسبات التي غالبا ما تلازم القصيدة في ذاك العهد، تخلى شعراء هذه الفترة عن عادة المقدمات الطللية وعن التغني بالذات تقليدا لأسلافهم الجاهليين، لذلك جاءت قصائدهم في شكل مقطعات على ألسنة شعراء غير معروفين أخرجت الأحداث مواهبهم وأنطقت ألسنتهم.

ولا شك أن الوضع والنحل قد دخل هذا الشعر، فنسبت القصائد والمقطوعات إلى غير أصحابها، لأسباب تختلف بواعثها بين دينية وسياسية واجتماعية وقبلية وتربوية.

ثالثا: أغراضه:

1/ الفخر والحماسة:

الفخر هو التمدح بالخصال، وأما الحماسة فهي الشجاعة والإقدام. جاء في العمدة: <<الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح في المدح قبح في الافتخار>>.[2]

وقد تميز على غرار الشعر في صدر الإسلام بعدد من المميزات الجوهرية أبرزها: صدوره عن ذات مدركة لدورها في كنف الجماعة بعد أن صار للفرد المسلم دور أكبر من الدور الذي كان موكلا إليه في القبيلة أيام الجاهلية، وقد عبّر الشعراء عن ذلك من خلال وصف بلائهم في المعارك وبلاء قادتهم وانتصار الجماعة التي ينتمون إليها افتخارا بالذات وبها. فالفخر في الإسلام اتجه اتجاها متشبعا بروحه، فتغنى بانتصار الإيمان على الكفر والنور على الجهل، وتخلص من نظرة العصبيات الضيقة، وعرف مواضيع جديدة كالفخر بالإسلام والمسلمين والانتصار، وهزيمة الكفر والإشادة بخصال المسلم.

كقول خالد ابن الوليد لما كلّف بشنّ غارة على بلدة العواصم بالقرب من حمص وبها الروم آنذاك:[3]

---

[1]– ينظر: النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965، ص:241.

[2]–ابن رشيق: العمدة، ج2، ص:162.

[90]– أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي: فتوح الشام، تح عبد اللطيف عبد الرحمان، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م، ج1، ص:101.

أخذتها والملك العظيم وغنني بحملها زعيم

لأنني كبش بني مخزوم وصاحب لأحمد الكريم

أسير مثل الأسد الغشوم يا رب فارزقني قتال الروم

وقوله مفتخرا بقوّته وبما فعله بالروم:[1]

ويل لجمع الروم من يوم شغب إني رأيت الحرب فيه تلتهب

وكم لقوا منا مواقع النصب وكم تركت الروم في حال العطب

ومنه الفخر الجمعي كما في قوله:[2]

إن لمن عبدوا الصليب ومن به نسطو على من عابنا بفعالنا

ولقد علونا بالمسيح وامه والحرب تعلم أنها ميراثنا

إنا خرجنا والصليب أمامنا حتى تبددكم سيوف رجالنا

وقول سعيد بن عامر:[3]

نسير بجيش من رجال أعزة على كل عجعاج من الخيل يصبر

إلى شبل جراح وصحب نبينا لننصره والله للدين ينصر

على كل كفار لعين معاند تراه على الصلبان بالله يكفر

وقول مالك بن عوف في مدح النبي صلى لاله عليه وسلم:[4]

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلّهم كمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا أُجتدي ومتى تشأ يخبرك عمّا في الغد

---

[1]– المصدر السابق، ج1، ص:144.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص:163.

[3]– المصدر نفسه، ج1، ص:170.

[4]– أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراوزي التادلي: الحماسة المغربية، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1411هـ، 1991م، ص: 74.

وإذا الكتيبة عرّدت أنيابُها بالسّمهري وضربِ كلّ مُهَنَّدِ

فكأنه ليثٌ على أشباله وسْطَ الهَباءة خادرٌ في مَرصَدِ

ومن مضامين الفخر وصف قوة العدو وعدم سهولة المعركة تبيانا لقيمة الجهاد عند المسلمين، وعدم خوفهم في سبيله وهو فرض عليهم، كما في قول عبد الله بن سبرة الحرشي يصف خصمه:

يمشي إلى مستجيب مثله بطل حتى إذا أمكنا سيفيهما انقطعا

حاسيته الموت حتى إذا استشف آخره فما استكان لما لاقى ولا جزعا

ومن مضامينه، الفخر ببلاء القبائل المشاركة في المعارك، ومنها قول خولة بنت الأزور في معركة الشام:[1]

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر

لأننا في الحرب نار تسعر اليوم تسقون العذاب الأكبر

وقول ذي الكلاع الحميري مخاطبا أبا كبر الصديق:

أتتك حمير بالأهلين والولد أهل السوابق والعالون بالرتب

أسد غطارفة شوس عمالقة يردوا الكماء غدا في الحرب بالقضب

الحرب عادتنا والضرب همّتنا وذو الكلاع دعا في الأهل والنسب

وقول قيس ابن هبيرة المرادي:

أتتك كتائب منّا سراعا ذوو التيجان أعني من مراد

فقدمنا أمامك كي ترانا نبيد القوم بالسيف النّجادي

وقول علي بن أبي طالب:[2]

ألم تر قومي إذ دعاهم أخوهم أجابوا وإن يغضب على القوم يغضبوا

بنوا الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

---

[1]– أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص:48.

[2]– ديوان علي بن أبي طالب، جمع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، رمضان 1405هـ، 20 أيار 1985م، ص:14.

ومن مضامينه الفخر بالشهادة في سبيل الإسلام كقول خالد ابن الوليد في معركة الشام وقد بلغه خبر أسر ضرار ابن الأزور وبلائه ضد الروم:[1]

اليوم فاز فيه من صدق لا أرهب الموت إذا الموت فيه طرق

لأروينّ الرمح من ذوي الحذق لأهتكن البيض هتكا والدرق

عسى أن أرى غدا مقام صدق في جنة الخلد والقى من سبق

وقول ضرار ابن الأزور في معركة الشام:[2]

الموت حق فاين لي منه المفر وجنة الفردوس خير المستقر

هذا قتالي فاشهدوا يا من حضر وكل هذا في رضا رب البشر

ويلاحظ على الفخر عند هذه الطبقة من الشعراء تغنيه بالقبيلة، ولكن بما هو مخالف لفخر الجاهلي بها، لأن قبيلة المسلم أصبحت موضوعا للفخر بسبب خدمتها للدين وحسن إسلامها وسرعة تلبيتها لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم. وليس معنى تغني الشاعر بالجماعة اختفاء ملامحه الذاتية <<وإنما الحقيقة أن الفرد كان يصدر في بعض هذا الشعر عن ذات نفسه، مع اعتبار هذه الذات جزءا من الجماعة التي تعبر تمثل ضميرها ... فهو لا يذكر شيئا ليبين تفرده به عن الجماعة، وإنما يعلن أنه صورة ومثل على جميع أفرادها>>.[3]

ومن مواضيع الفخر في هذا اللون من الشعر وصف وسائل الحرب والفخر بامتلاكها وحسن استعمالها كما يظهر من قول خالد ابن الوليد في معركة قلعة ماردين:[4]

وإنا لقوم لا تكلّ سيوفنا من الضرب في أعناق سوق الكتائب

سيوف دخرناها لقتل عدونا وإعزاز دين الله من كل خائب

وقوله في معركة قلعة رأس العين:[5]

سنحمل في جمع اللئام والكواذب ونفري رؤوسا منهم بالقواضب

ونهزم جيش الكفر منا بهمة تطول على أعلى الجبال الراسب

---

[1]– الواقدي: مرجع سابق، ج1، ص:40.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص:39.

[3]– النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية، ص:269.

[4]– الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص:111.

[5]– المصدر نفسه، ج2، ص:128.

وقول عبد الله ابن رواحة في غزوة مؤتة:[1]

جلبنا الخيل من أجَأ وفرع تُغرّ من الحشيش لها العُكومُ

حذوناها من الصُّوّان سِبتاً أزلَّ كأن صفحته أديمُ

فرحنا والجياد مُسَوَّماتٌ تنفّسُ في مناخرها السمومُ

ومنه رثاء الموتى في المعارك والعزم على أخذ الثأر لهم كقول سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

قد علم المهيمن الجبار بأن قلبي قد كوي بالنار

على الفتى القائم بالأسحار سيعلم العلج أخو الأشرار

أني منهم آخذ بالثأر

2/ الرثاء:

وهو من أكثر الأغراض الشعرية علوقا بالنفس، فغالبا ما يصدر عن نفس متألمة متوجعة، وهو كباقي الأغراض تداوله العرب منذ الجاهلية لكنه أخذ طابعا خاصا في شعر الفتوحات، حيث طرق فيه الشعراء معان معروفة لدى أسلافهم من الجاهليين كرثاء الأهل والأقارب والسادة والقادة، كما طرقوا مواضيع جديدة تعتبر تجديدا واضحا منهم كرثاء أنفسهم في البلدان الغريبة أو رثاء بعض أعضائهم، وبرز فيه معنى الأخذ بالثأر من الكفار. قال عمار ابن ياسر ينعى سليمان ابن خالد وعبد الله ابن المقداد:[2]

وحق من أعطى لنا نصره في كل واد ثم فتحٍ قريب

لنأخذن الثأر من جمعهم جهرا ونطفي من فؤاد لهيب

وقال همام بن جرير:[3]

لنأخذن الثأر يا قومنا بطعن خطى وحد حسام

3/ الوصف:

قدّم شعراء الفتوح قصائد مميزة في غرض الوصف إن لم نقل تقارير عن المعارك والأحداث التي شاركوا فيها بكل صدق وحماس، وهذا أشد ما يميز هذا اللون الشعري عن الفترة الجاهلية، فعلى خلاف الجاهليين تركزت مواهب شعراء الفتوح في نقل الأحداث والوقائع نقلا حيّا يجعل الصورة حسية ماثلة أمام قارئها، ومثال ذلك قول خالد ابن الوليد:[4]

وبالبهنسا الغرا أبيدت جيوشنا ثلاث سنين بابها ليس يفتح

ثمان آلاف عداد جيوشنا وكل همام عن ثمانين يرجح

---

[1]– ديوان عبد الله ابن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، تح وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، 1402هـ، 1982م، ط 1، ص:96.

[2]– الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص:246.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص:266.

[4]– المصدر نفسه، ج2، ص:287.

فما فتحت إلا وقد صار جيشنا ثلاثة آلاف عدادا تسحسح

إلى أن يقول:

ثلاث مرار نحن نفتح بابها وترتد للكفر الذميم وتجنح

ثلاثون ألفا قد محتها سيوفنا وأكبادنا من حرها النار تقدح

وولّت ثلاثون الألوف شواردا وعشرون ألفا منهم قد تجرحوا

فجيش المسلمين يمتلك من القوة والصلابة ما مكّنه من اختراق صفوف أعداء الإسلام، ففرّقهم وشتّت جمعهم وجعل النصر من نصيبه.

والمميز في أشعار الوصف لدى هؤلاء هو اهتمامهم بوصف معدات الحرب كالسيوف والخيول، وهذا أشد ما يميز هذا الغرض لما لها من دلالات إسلامية وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم فقد قال الله سبحانه وتعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)".[1] وبهذا ظهرت الخيل في أشعارهم في صورة غير الصورة التي رسمها لها الجاهليون، ومن أمثلة ذلك قول الزبير ابن العوام:[2]

أتيناكم على خيل عتاق شبيه الريح يوم الاستباق

عليها كل صنديد همام شديد البأس يوم الحرب راقي

ومن معاني وصف العتاد الحربي وصف السيوف كما يبدو من قول ضرار ابن الأزور في فتح البهنسا:[3]

لقد ملكت يدي سنانا وصارما أذلّ عداة السوء إذ جئت قادما

وقول الزبير بن العوام:[4]

أتينا لأهناس بكل غضنفر على كل صاهل من الخيل أجرد

إن أبرز ما يميز أغراض الفخر والوصف عند هؤلاء الشعراء هو الصورة التي يرسمها الشاعر لنفسه ولجماعته وكأنه بذلك يشد من أزره ومن أزر الجيش الذي يحارب في صفوفه، ولعله السبب في جعل هذه الصورة الخيالية عندهم تقترب من الأسطورة أحيانا، خاصة في معرض تصوير الذات المتفردة تلبية

---

[1]– سورة الأنفال الآية 60.

[2]– الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص:273.

[3]–المصدر نفسه، ج2، ص:228.

[4]المصدر نفسه، ج2، ص:236.

لأغراض نفسية عديدة، أهمها شدّ أزر الشاعر لنفسه بها، ثم بث الخوف والرعب في قلوب الأعداء، ثم تشجيع المسلمين وتجديد عزيمتهم.[1]

كما تتميز القصائد في هذا الغرض بتحديد الأماكن حيث دارت المعارك وبالسهولة والسلاسة، فمعانيها تنساب تنهمر في لغة تحمل كثيرا من وجدان الشعراء دون تكلف، تغلب عليها الواقعية والحماسة في نقل الأحداث بتلقائية، وكأن الغاية من تلك المقطعات وصف الحالة النفسية للشاعر ونقل وجدانه دونما تكلف أو تنميق، ونقل الحدث وتصوير الانفعال المرافق له.

4/ الحنين إلى الأهل والأبناء:

ويعد في طليعة المعاني التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بموضوع الفتوحات، ويأتي هذا الغرض مكمّلا لمعاني الوصف ونقل مشاعر المجاهدين وهم في ساحات المعارك بعيدا عن الأهل والأقارب والأبناء، ومن نماذجه قول أبي خراش الهذلي في حنينه لابنه خراش الذي التحق بجيش المسلمين في فتح الشام:

ألا من مبلغٌ عني خِراشٌ وقد يأتيك بالنبأ البعيدُ
وقد يأتيك بالأخبار من لا تجهّزَ بالحِذاء ولا تزيدُ
يناديه ليغبِقَهُ كُلَيْبٌ ولا يأتي، لقد سفِه الوليدُ

وقوله:

ألا فاعلمْ خراشُ بأنّ خيرَ آلِ مهاجرٍ بعد هجرتِه زهيدٌ
رأيتُك وابتغاءَ البِرِّ دوني كمخضوبِ اللَّبانِ لا يصيدُ

رابعا: خصائصه:

1/ من خصائصه الواقعية والسرد والحرص على تبيان مشاعر الصبر وتمني الموت طلبا للجنة وهي مصير الصادقين من المجاهدين.

2/ ورغم بوادر التجديد التي جاءت بها قصيدة الغزوات إلا أن بعضها ظل محافظا على الطابع العربي الفني وبالضبط تقليد الرسم أو الطلل كما تدل عليه مقدمة حسان ابن ثابت:[2]

هل رسم دارسة المقام يباب متكلم لمحاور بجواب

قفر عفا رهم السحاب رسومه وهبوب كلّ مطلة مزيان

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم بيض الوجوه ثواقب الأحساب

---

[1]– ينظر: راميا محفوض، أنس ياسين: صورة الذات المتفردة في شعر الفتوحات الإسلامية، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 28، العدد 1، 2006، ص:133.

[2]– ديوان حسان ابن ثابت، شرح عبد الرحمان البرقوقي، ص:54. 63.

فدع الديار وذكر كلّ خريدة بيضاء آسنة الحديث كعاب

وقول ذي الكلاع الحميري أمام بكر ابن أبي الصديق:[1]

أتتك حمير بالأهلين والولد أهل السوابق والعالون بالرتب

أسد غطارفة شوس عمالقة يردوا الكماة غدا في الحرب بالقضب

الحرب عادتنا والضرب همتنا وذو الكلاع دعا في الأهل والنسب

دمشق لي دون كل الناس أجمعهم وساكنيها سأهويهم إلى العطب

3/ الاضطراب الفني كونه يقال ارتجالا وانفعالا لمواقف معينة، إضافة إلى عامل آخر أسهم في ظهوره بهذه الصفة المضطربة وهو الانتحال الذي دخل هذه القصائد، فنسبت أبيات إلى غير قائليها أو لأكثر من قائل لأسباب دينية أو اجتماعية، وربما بسبب اضطراب الفترة وعدم هدوئها لكثرة المعارك والغزوات بين المسلمين والكفار.

4/ وحدة الموضوع والتخلي عن بناء القصيدة المركبة كوصف الرحلة والمقدمات الطللية، ما جعل قصائد الفتوحات تأتي في شكل مقطعات قصيرة لا يتجاوز أكثرها الخمسة عشر بيتا. قال السيوفي ملخصا ذلك: <<والذي لا ريب فيه أن مرحلة الانتقال الفني من عصر الجاهلية إلى الإسلام كانت بالغة الأهمية عظيمة التأثير، فقد بدأ الشعراء في ظل المتغيرات الجديدة يتأثرون تأثرا واضحا بفيض من المعاني الدينية الجديدة، والأساليب القرآنية، وتعاليم الدين وتشريعاته>>.[2]

5/ ولذلك حظي بمعجم شعري متنوع وغني بأساليب القرآن والحديث الشريف. فقد تحول القرآن الكريم إلى مرجعية حقيقية بالنسبة لشعراء الفتوحات، وشكل ذلك فارقا جوهريا بينه وبين الشعر الجاهلي إذ أمدّ القرآن الكريم الشعراء بمعاني مكثفة نقرأها في كل قصائدهم كما في قول حمزة بن عبد المطلب:[3]

وفينا جنود الله حين يمدنا بهم في مقام ثم مستوضح الذكر

فشد بهم جبريل تحت لوائنا لذي مأزق فيه مناياهم تجري

---

[1]– الواقدي: فتوح الشام، ص:07.

[2]– مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في صدر الإسلام، ص:84.

[3]– ابن هشام: السيرة النبوية، شرح مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3، ص:9.

موظفا عبارات: جنود الله، الذكر، جبريل.... وأما على مستوى الفكر فيتضح تأثره بآيات من الذكر الحكيم كقوله تعالى: <<إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ>>.[1]

وقول علي رضي الله عنه:[2]

ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل

بما أنزل الكفار دار مذلة فلاقوا هوانا من إسار ومن قتل

فأمسى رسول الله قد عزّ نصره وكان رسول الله أرسل بالعدل

فجاء بالقرآن من الله منزل مبيّنة آياته لذوي العقل

فآمن أقوام بذاك وأيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل

وأنكر أقوام زاغت قلوبهم فزادهم ذو العرش خبلا على خبل

فالبيت الأول اقتباس من قوله تعالى: <<وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ >>[3]. والبيت الرابع من قوله تعالى: << شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ >>[4]. وأما البيت الأخير فمن قوله تعالى: <<وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ >>[5]

---

[1]– سورة الأنفال، الآية 9.

[2]– ديوان علي بن أبي طالب، ص:152.

[3]– سورة البقرة، الآية 49.

[4]– سورة البقرة، الآية 185.

[5]– سورة النحل، الآية 113.

خاتمة:

الشعر ديوان العرب، من خلاله عبّروا عن أحاسيسهم اتجاه ما يمرّ بهم من أحداث، وليس أهم من الأحداث التي عايشها العرب على امتداد عصورهم التاريخية، من عصر صدر الإسلام والنبوة والخلفاء الراشدين وما زامنها من أحداث جسام وغزوات وصراعات نصرة للدين الجديد الذي خلخل أركان المجتمع القبلي العربي وأحل محلها قيما وأركانا دعا إليها الله تعالى، ووجّه إليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد لازم ذلك شعر مميز هو وليد العصر والمرحلة، فقد ساير الشعراء بموضوعاتهم وأساليبهم الحياة الجديدة بهجر ما يتنافى والدين الجديد، كالقسم بالأوثان والفخر بالخمر والعصبيات، وحلت محلها مضامين مشبعة بالدين، يتقدمها بشكل بارز شعر الفتوحات الذي نقل صوت الفرسان، وقعقعة السيوف وآهات الأسرى، وآلام المجروحين واليتامى وغيرهم.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

3- محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1985م.

4- أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط7، 1994.

5- النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.

6- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.

7- أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي: فتوح الشام، تح عبد اللطيف عبد الرحمان، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.

8- ديوان علي بن أبي طالب، جمع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، رمضان 1405هـ، 20 أيار 1985م.

9- ديوان عبد الله ابن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، تح وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، 1402هـ، 1982م، ط 1.

10- راميا محفوض، أنس ياسين: صورة الذات المتفردة في شعر الفتوحات الإسلامية، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 28، العدد 1، 2006.

11- ابن هشام: السيرة النبوية، شرح مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3.

12- ابن سلام الحمجي: طبقات فحول الشعراء، مع تمهيد للألماني جوزيف هيل، دراسة طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م.

نموذج التطبيق:

قدم التحليل المناسب لما يلي من شعر:

قال عبد الله ابن الزبعري:[1]

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرُّواق بهيمُ

مما أتاني أنّ أحمد لامني فيه فبتّ كاني محموم

يا خير من حملت على أوصالها عيْرانةٌ صُلْح اليدين رَسومُ

إني لمعتذر إليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

أيامَ تأمرني بأغوى خطة سهمٌ وتأمرني بها مخزومُ

فاغفر فدى لك والديَّ كلاهما ذنبي فإنك راحمٌ مرحوم

وقال خالد ابن الوليد:[2]

وبالبهنسا الغرا أبيدت جيوشنا ثلاث سنين بابها ليس يفتح

ثمان آلاف عداد جيوشنا وكل همام عن ثمانين يرجح

فما فتحت إلا وقد صار جيشنا ثلاثة آلاف عدادا تسحسح

.....

ثلاث مرار نحن نفتح بابها وترتد للكفر الذميم وتجنح

ثلاثون ألفا قد محتها سيوفنا وأكبادنا من حرها النار تقدح

وولّت ثلاثون الألوف شواردا وعشرون ألفا منهم قد تجرحوا

فمنهم قضى نحبا ومنهم بها طغى ومنهم أناس في المقابر روّحوا

وبطلوسهم ذاك النهار قتلته وقد كان مقدام الجيوش مرجح

فبادرته في الحال حتى تركته صريعا عليه الغانيات تنوح

وعاجلته في الراس مني بضربة فأضحى بها شطرين ملقى ومطرح

---

[1]– ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص:94.

[2]– الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص:287.

المحاضرة الخامسة: المراثي النبوية

تصميم المحاضرة:

أولا: الرثاء في الشعر العربي

ثانيا: المراثي النبوية

ثالثا: مضامين المراثي الإسلامية

رابعا: خصائص شعر المراثي النبوية

أولا: الرثاء في الشعر العربي:

الرثاء غرض شعري قديم تداولته العرب منذ الجاهلية، ويعني البكاء على الفقيد والتفجع لموته وندبه وإظهار الفاجعة بالحزن والدموع وتعداد مآثره وخصاله وفضائله.[1] قال ابن رشيق مشيرا إلى بعض مميزات الغرض اللفظية: <<وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل "كان" أو "عدمنا به كيت وكيت"، أو ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت. وسبيل الرثاء أن يكون ظهار التفجع بيّن الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا...[2]

وقد تكيف مع الإسلام بحيث ظهر بحلة مخالفة عن تلك التي تميز بها في الجاهلية، فقد صار يصدر عن نفس مؤمنة بقضاء الله وقدره، مفتخرة بالموت في سبيله، لذلك أقبل الشعراء المسلمون على رثاء موتاهم في السلم والحرب. وكان طابع العزاء هو المميز له خاصة وأن الإسلام دلّ الناس على عقيدة الصبر إيمانا بأن الحياة زائلة، وأن دار الآخرة هي المأوى.

ثانيا: المراثي النبوية:

هي كل <<شعر قيل في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا عليه، أو ثناء، أو ترحما، أو غير ذلك من معاني الرثاء>>.[3] لأن وفاته (صلى الله عليه وسلم) خلّفت حزنا عميقا على نفوس الصحابة والمسلمين أجمعين بعد تعودهم عليه بينهم، يوجههم ويحوطهم برعايته الشريفة، ما دفع بعدد من

---

[1]– ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 286. ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، م 5، ص: 135.

[2]– ابن رشيق: العمدة، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ص: 166.

[3]– محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ، 2013م، ص:20.

أصحابه ومن الشعراء لنظم القصائد معبّرين عن عميق الأسى الذي خيّم على شبه الجزيرة العربية، وعن الفراغ الذي وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، قال محمد الرابع الحسني الندوي: <<لقد كانت وفاة الرسول عليه السلام أعنف صدمة نفسية، وأشدها إيلاما للصحابة رضي الله عنهم فكان لها أن تؤثر وتنشئ آثارا أليمة على نفوسهم.>>[1]

ثالثا: مضامين المراثي الإسلامية: دارت مراثي المسلمين حول معاني كثيرة أبرزها:

1/ **التسليم بقضاء الله وقدره** متأثرين بقول الله تعالى: << وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) >>.[2]

2/**تعداد صفات الميت** من تقوى وإيمان وأمانة وصدق وصبر، وهي الصفات التي ذكرها حسان بن ثابت وهو يرثي محمدا صلى الله عليه وسلم:[3]

بالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل النبي رسول الرحمة الهادي

ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد أوفى بذمة جار أو بمعياد

من الذي كان نورا يستضاء به مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد

مصدقا للنبيين الألى سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجادي

والقصيدة مليئة بالاقتباسات من القرآن الكريم وهذه من أهم الخصائص التي تميز المراثي الإسلامية كقوله:[4]

نورا أضاء على البرية كلّها من يُهد للنور المبارك يهتد

3/ كما تميزت بظهور موضوع جديد وهو **رثاء الشهداء** ومثاله رثاء حسان ابن ثابت لحمزة رضي الله عنه لما استشهد في أحد:

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي أعجم وخيبر

---

[1]– محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1985م، ص:44، 45.

[2]– سورة البقرة الآية 155، 156.

[3]– ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تق عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م، ص:66.

[4]– المصدر نفسه، ص:65.

فقلت لها: إن الشهادة راحة ورضوان ربّ يا أمام غفور

فإن أباك الخير حمزة فاعلمي وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الخلق ذو العرش دعوة إلى جنة يرضى بها وسرور

فذلك ما كنا نرجى ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير

ورثاء كعب ابن مالك لقتلى مؤتة:[1]

صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

عموما، << تمثل بعض الشعراء روح الإسلام وتوجيهاته عند نزول المصائب ووقوع الرزايا، فوصلت إلينا مراث نحس فيها سماحة الإسلام وروح الرضا والصبر والطمأنينة التي أشاعها الإيمان الجديد في نفوس أتباعه>>.[2]

رابعا: خصائص شعر المراثي النبوية:

1/ الصلاة والسلام على المتوفى كما في قول حسان بن ثابت:

فصلى المليك ولي العبا د ورب البلاد على أحمد

ومن ذلك قول فاطمة رضي الله عنها:[3]

اغبرّ آفاق السماء وكُوّرتْ شمس النهار واظلم العصْران

فالأرض من بعد النبيّ كئيبة أســـفاً عليه كثيرةُ الرّجَفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ولبيكه مضرٌ وكلّ يماني

وليبكه الطود المعظَّم جوُّه والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرسل المبارك صنوه صلّى عليك منزّل القرآنِ

[1]– محمد الرابع الحسني الندوي، الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، ص:71.

[2]– سامي مكي، الإسلام والشعر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس، 1996، ص:140.

[3]– ابن رشيق: العمدة، ج2، ص: 171.

وقول حسان بن ثابت:[1]

صلّى الإله على ابن آمنة الذي جاءت به سبطَ البَنان كريما

يا أيها الراجون منه شفاعة صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وقد تحول الأمر تقليدا عن رثاء الصحابة والشهداء الأبرار من المسلمين، كما جاء في قول حسان بن ثابت في رثاء حمزة:[2]

صلى عليك الله في جنة عالية مكرمة الداخل

ورثاء كعب بن مالك لشهداء مؤتة:

صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسيل

وقوله في رثاء عبيدة بن الحارث في بدر:[3]

أيا عين جودي ولا تبخلي بدمعك حقا ولا تزري

على سيد هدّنا هلكه كريم المشاهد والعنصر

جريء المقدم شاكي السلام كريم الثنا طيّب المكسر

عبيدة أمسى ولا نرتجيه لعرف عرانا ولا منكر

وقد كان يحمي غداة القتا ل حامية الجيش بالمبتّر

2/ التعبير عن الفاجعة التي أصابت المسلمين والصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ونقرأ ذلك مثلا في مرثية أبي بكر الصديق:[4]

باتت تأوُّبُني هموم حشَّدٌ مثل الصخور، فأمست هدّت الجسد

يا ليتني حيث نبّئت الغداة به قالوا: الرسول قد أمسى ميتا فقدا

---

[1]– أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراوزي التادلي: الحماسة المغربية، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1411هـ، 1991م، ص: 60.

[2]– ديوان حسان بن ثابت، ص:195.

[3]– ديوان كعب ابن مالك، تح سامي مكي العاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط2، 1997، ص:202.

[4]– محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، ص:35.

ليت القيامة قامت بعد مهلكه ولا نرى بعده مالا ولا ولدا

ومرثية حسان بن ثابت:[1]

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى يوم القيامة يفقد

وقوله:

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدي اصبح ثاويا يا خير من وطأ الحصى لا تبعد

وقول علي بن أبي طالب:[2]

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

وقوله:[3]

لقد غشيتنا ظلمة بعد فقدكم نهارا وقد زادت على ظلمة الدجى

فيا خير من ضم الجوانح والحشا ويا خير ميت ضمه الترب والثرى

كأن أمور الناس بعدك ضُمِّنتْ سفينة موج حين في البحر قد سما

وضاق فضاء الأرض عنا برحبه لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى

3/ **التذكير بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم والثناء عليه:** ومن ذلك قول أبي بكر الصديق:[4]

كان المصفاء في الأخلاق قد علموا وفي العفاف، لم نعدل به أحدا

وقوله:[5]

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

---

[1]– المرجع السابق، ص:117.

[2]– ديوان علي بن أبي طالب، جمع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، رمضان، 1405هـ، أيار 1985م، ص:55.

[3]– المصدر نفسه، 10.

[4]– المصدر نفسه، ص:35.

[5]– المصدر نفسه، ص:38.

وقول حسان ابن ثابت:[1]

يدلّ على الرحمان من يقتدي به وينقذ من هول الخزايا ويرشد

إمام لهم يهديهم الحقّ جاهدا معلم صدق، إذ يطيعوه يسعدوا

عفوّ عن الزلات، يقبل عذرهم وإن يحسنوا الله بالخير أجود

4/ **التأكيد على حجم الفجيعة وعظمها** ويظهر ذلك في تكرار العبارات والصور التي تعبر عنها كقول كعب ابن مالك:[2]

فإن تبكه تبك خير الأنام كثير الفواضل لا يجدب

وإن تبكه تبك سهل الجنا ب، محض الضرائب، لا يؤشب

وإن تبكه تبك نور البلا د، ضخم الدسيعة لا يحسب

وقد تكررت العبارة في خمسة عشر بيتا.

5/ **التساؤل عن مصير المسلمين والحكم بعده** ملمحين إلى الصحابة من بعده بالثناء عليهم وباتصافهم بصفات محمد صلى الله عليه وسلم ونقرأ ذلك مثلا في قول عبد الله ابن أنيس:[3]

فيا ليت شعري من يقوم بأمرنا وهل لقريش يا إمام منازع؟

ثلاثة رهط من قريش هم هم أزمّة هذا الأمر والله صانع

عليّ أو الصديق أو عمر لها وليس لها بعد الثلاثة رابع

6/ أما من الناحية الفنية فقد تميز هذا النوع من الشعر لغويا باستعمال ألفاظ دالة على الحزن وخاصة عبارة البكاء التي أوردوها في صيغ شتى منها (بكت/ تبكي/ ابكي/ ابك)، وعبارة (الدموع) والتي بدورها ترسم صورا شتى فالسماء والأرض ويثرب تبكي حزنا على ما ألمّ بها.

ومن العبارات المتكررة تلك الدالة على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كالوحي، نور الأمين، المصطفى، وغيرها. إضافة إلى استخدام أساليب الشرط والاستفهام والنداء.

---

[1]– ديوان حسان بن ثابت، ص:62.

[2]– محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، ص:230، 231.

[3]– المرجع نفسه، ص:238.

خاتمة:

تميز صدر الإسلام بثورة فعلية على مستوى المعاني والموضوعات، فقد أحدث الإسلام تغييرا جذريا في الفكر العربي واللسان معا، وعليه انتقل الشعر بفضله إلى مرحلة جديدة تميزت بالثراء والتنوع، وكان من ميزات هذه المرحلة: تكيف الشعر مع معطياتها كما رأينا مع المعاني التي طبعت الشعر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما خلفته من أسى على نفوس المسلمين وتغيرا في الحياة بمكة والمدينة خصوصا.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ، 2013م.

3- محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1985م.

4- سامي مكي: الإسلام والشعر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس، 1996.

5- ديوان كعب ابن مالك، تح سامي مكي العاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط2، 1997.

6- ديوان علي بن أبي طالب، جمع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، رمضان، 1405هـ، أيار 1985م.

7- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م،

8- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

9- ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، م 5.

10- ابن رشيق: العمدة، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.

11- أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراوزي التادلي: الحماسة المغربية، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1411هـ، 1991م.

نموذج التطبيق:

حلل النموذجين الشعريين الآتيين وفق آليات المنهج التحليلي انطلاقا مما سبق تعلمه، ثم قدم موزانة بينهما.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرثي محمدا صلى الله علبه وسلم:[1]

باتت تأوُّبُني هموم حشَّدٌ مثل الصخور، فأمست هدّت الجسد

يا ليتني حيث نبّئت الغداة به قالوا: الرسول قد أمسى ميتا فقدا

ليت القيامة قامت بعد مهلكه ولا نرى بعده مالا ولا ولدا

والله آسى على شيء فجعت به من البريّة حتى أدخل اللحدا

كم لي من بعدك من همّ ينصّبني إذا تذكرت أني لا أراك أبدا كذا

فكيف الحياة بفقد الحبيب وزين المعاشر في المشهد

فليت الممات لنا كلّنا وكنا جميعا مع المهتدي

وقال حسان بن ثابت في رثاء محمد صلى الله عليه وسلم:[2]

بطيبةَ رسمٌ للرسولِ ومعهدُ منيرٌ، وقد تعفو الرسومُ وتهمدُ

ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ

ووَاضِحُ آياتٍ، وَبَاقي مَعَالِمٍ وربعٌ لهُ فيهِ مصلىً ومسجدُ

بها حجراتٌ كانَ ينزلُ وسطها مِنَ الله نورٌ يُسْتَضَاءُ، وَيُوقَدُ

معالمُ لم تطمسْ على العهدِ آيها أتَاهَا البِلَى، فالآيُ منها تَجَدَّدُ

عرفتُ بها رسمَ الرسولِ وعهدهُ وَقَبْرَاً بِهِ وَارَاهُ في التُّرْبِ مُلْحِدُ

ظللتُ بها أبكي الرسولَ، فأسعدتْ عُيون، وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسعدُ

.....

فَبُورِكتَ، يا قبرَ الرّسولِ، وبورِكتْ بِلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرّشِيدُ المُسَدَّدُ

وبورِكَ لحدٌ منكَ ضمنَ طيباً عليهِ بناءٌ من صفيحٍ، منضدُ

تهيلُ عليهِ التربَ أيدٍ وأعينٌ عليهِ، وقدْ غارتْ بذلكَ أسعدُ

---

[1]– محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، ص:35.

[2]– ديوان حسان بن ثابت، ص:60.

لقد غَيّبوا حِلْماً وعِلْماً وَرَحمةً عشيةَ علوهُ الثرى، لا يوسدُ
وَرَاحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نَبيُّهُمْ وَقَدْ وَهَنَتْ منهُمْ ظهورٌ، وأعضُدُ
يبكونَ من تبكي السمواتُ يومهُ ومن قدْ بكتهُ الأرضُ فالناس أكمدُ
وهلْ عدلتْ يوماً رزيةُ هالكٍ رزيةَ يومٍ ماتَ فيهِ محمدُ
تَقَطَّعَ فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عَنهُمُ وَقَد كان ذا نورٍ، يَغورُ ويُنْجِدُ
يَدُلُّ على الرّحمنِ مَنْ يقتَدي بِهِ وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَزَايَا ويُرْشِدُ
إمامٌ لهمْ يهديهمُ الحقَّ جاهداً معلمُ صدقٍ، إنْ يطيعوهُ يسعدوا
عَفُوٌّ عن الزّلاّتِ، يَقبلُ عُذْرَهمْ وإنْ يحسنوا، فاللهُ بالخيرِ أجودُ
وإنْ نابَ أمرٌ لم يقوموا بحمدهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدّدُ
فَبَيْنَا هُمُ في نِعْمَةِ الله بيْنَهُمْ دليلٌ به نَهْجُ الطّريقَةِ يُقْصَدُ
عزيزٌ عليْهِ أنْ يَحِيدُوا عن الهُدَى حَريصٌ على أن يَستقِيموا ويَهْتَدوا
عطوفٌ عليهمْ، لا يثني جناحهُ إلى كَنَفٍ يَحْنو عليهم وَيَمْهِدُ
فَبَيْنَا هُمُ في ذلكَ النّورِ، إذْ غَدَا إلى نُورِهِمْ سَهْمٌ من المَوْتِ مُقصِدُ
فأصبحَ محموداً إلى اللهِ راجعاً يبكيهِ جفنُ المرسلاتِ ويحمدُ
وأمستْ بِلادُ الحَرْم وَحشاً بقاعُها لِغَيْبَةِ ما كانَتْ منَ الوَحْيِ تعهدُ
قِفاراً سِوَى مَعْمورَةِ اللَّحْدِ ضَافَها فَقِيدٌ، يُبَكّيهِ بَلاطٌ وغَرْقدُ
وَمَسْجِدُهُ، فالموحِشاتُ لِفَقْدِهِ خلاءٌ لهُ فيهِ مقامٌ ومقعدُ
وبالجمرةِ الكبرى لهُ ثمّ أوحشتْ دِيارٌ، وعَرْصَاتٌ، وَرَبْعٌ، وَمَوْلِدُ

المحاضرة السادسة: شعر النقائض

تصميم المحاضرة:

أولا: تعريف النقاض

ثانيا: النشأة والتطور

ثالثا: عوامل تطور النقائض في العصر الأموي

رابعا: تدوين النقائض

خامسا: موضوعات النقائض

سادسا: أعلام النقائض

أولا: تعريف النقائض:

أصل النقائض من الفعل اللغوي (نقض)، وهو إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، والنقض ضد الإبرام. ونقض البناء والحبل والعهد، ومنه المناقضة في الكلام والشعر.[1]

وجاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: << وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92)>>.[2]وقوله عز من قائل: <<وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)>>.[3]

والنقيضة فن شعري عرفته العرب منذ العصر الجاهلي لكنه ازدهر بشكل واضح في العصر الأموي لأسباب حضارية وعقلية واجتماعية مرتبطة بالعصر. وهي فن يقوم على النقض/ الهدم، إذ يأخذ

---

[1]– ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، مادة (نقض)، م 14، ص:262. داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب داود سلوم، 2004، ط1، ص:843. محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة، ص:535. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج العروس وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، مادة (نقض)، 3/ 1110. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1991م، م 5، ص:471.

[2]– سورة النحل، الآية 92.

[3]– سورة البقرة، الآية 27.

الشاعر معاني خصمه فيقلبها بما يخدم غايته، فيمدح قومه وكانوا موضع هجاء عند خصمه، ويهجو قوم الأخير وكانوا موضع فخر ومدح محافظا على وزن وروي وقافية القصيدة الأولى، مستحضرا تاريخ القبائل موضوعا للنص وأيامها وأخبارها، لذلك تخطت النقائض حدود النص الشعري القائم على الخيال والموهبة لتكون وثيقة تاريخية ومرجعية لمعرفة الأنساب والأيام، لأن الشاعر يضع التاريخ نصب عينيه وهو يبحث عن معاني قصيدته. قال شوقي ضيف متحدثا عن ذلك: <<أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها، وكلّ منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلا دليلا، وكأننا أصبحنا بإزاء مناظرات شعرية، وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد مسرحا لها، فالشعراء يذهبون هناك، ويذهب إليهم الناس ويتحلقون من حولهم، ليروا من تكون له الغلبة على زميله أو زملائه>>.[1]

وقد برع في ذلك جرير والأخطل والفرزدق براعة شديدة، وكان جرير أشدهم هجاء والفرزدق أكثرهم فخرا بنسبه وقبيلته لما عرفوا به من مجد وسؤدد منذ الجاهلية، ومن يقرأ أشعارهم لا يمكنه فهمه بمعزل عن تاريخ القبائل في الجاهلية والإسلام، فجرير والفرزدق –كما قال شوقي ضيف– درسا تاريخ القبائل العربية في الجاهلية والإسلام دراسة عميقة واستلهما هذا التاريخ في نقائضهما، بحيث تعد وثائق تاريخية طريفة.[2]

وهذا يؤكد أهمية النقيضة على الصعيد المعرفي –رغم ما يوجه لها من ملاحظات فيما يخص معاني الشتم المبتذلة، وخاصة ما تناول منها أعراض النساء والأمهات كما سيأتي بيانه– ويؤكد أيضا أن عملها لم يكن هيّنا، لأن ناظمها يقوم بعملية بحث في تاريخ القبائل سواء التي أراد مدحها أم هجاءها ويقوم بتكييف المعلومة حسب غايته.

ثانيا: النشأة والتطور:

النقائض فن قديم قدم الشعر العربي عرفت منذ الجاهلية، إذ سايرت أيام العرب ومعاركهم والعصبيات القبلية، فلما جاء الإسلام وجدت تربة خصبة لها، فازدهرت وسط الحرب الكلامية التي اندلعت بين أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم وكفار قريش، ثم عرفت ازدهارا لا مثيل له في العصر الأموي وسط الصراع الذي اندلع بين الشيعة والخوارج والأمويين، إذ استغلته الدولة استغلالا ظاهرا بتشجيع الناس عليه مبدعين ومتلقين[3]، خاصة بعد اتساع شقة الخلاف بين قبيلتي قيس

---

[1]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 7، 1963، ص:242.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص:245.

[3]– أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط4، ص:2. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص:241 وما بعدها.

وتغلب[1]، وظهر من الشعراء جرير والأخطل والفرزدق الذين تزعموا راية الفن واستحقوا لقب فحول النقائض الأموية، وشهد لهم المؤرخون والدارسون بالتقدم والشهرة والتفضيل خاصة بين الفرزدق وجرير.[2]

قال شوقي ضيف:<<ولم تكن نقائض جرير والفرزدق إلا هذا الفن الجديد الذي وجدت فيه البصرة كل ما تريد من لهو وتسلية وقطع وقت أو فراغ. فهي اللعبة التي يعجب بها القوم والتي كانوا يخرجون للفرجة عليها في هذا المسرح الكبير، مسرح المربد الكبير الذي كانت تختلف إليه القبائل والجماهير>>.[3]

ثالثا: عوامل تطور النقائض في العصر الأموي: تسببت عوامل كثيرة في تطور هذا الفن بشكل لافت في هذا العهد وهي:

1/ **العامل السياسي** ويتمثل في نشوء صراع بين الشيعة والخوارج والأمويين إضافة إلى الصراع بين قبيلتي قيس وتغلب.

2/ **العامل النفسي** ويرتبط بنفسية أصحاب النقائض من حيث استمتاعهم بالرد على بعضهم البعض وإثارة نفوسهم للتهاجي والانفعال معها.

3/ **العامل الاجتماعي** ويعود إلى العصبيات القبلية التي عادت للظهور من جديد في هذا العهد في شكل مفاخرات بالأنساب والأولاد والأشعار والمبالغة فيها.[4]

رابعا: تدوين النقائض:

اهتم النقاد والمؤرخون بالنقائض كل حسب غايته، فجمعها ودوّنها أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش مولى قريش. وهي موثوقة لصحة روايتها وهي –أيضا– دليل على شعوبية جامعها، لأنه توقف بنماذجه أمام كل الأمثلة التي تجسد انحطاط أخلاق مصنفيها، دون مراعاة لجانب دين أو أخلاق أو عادات. كما تتميز بتركيز صاحبها على جرير والفرزدق، أما منهجه في الجمع والتصنيف فيتركز على الآتي:

1/ الاهتمام بالشروح اللغوية: ومرد ذلك لغة النقيضة في حد ذاتها، فالشاعر منهم يسعى لإبراز وإرباك خصمه بما يحفظ من لغة بدوية وصورة إثباتا لتفوقه، وهذا بدوره مهد الطريق لأبي عبيدة ليثبت مقدرته

---

[1]– شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط5، ص:166، 167.

[2]– ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص:111.

[3]– المرجع نفسه، ص:182، 183.

[4]– عبد الله عطية عبد الله الزهراني: أثر الإسلام في نقض جرير شعر الأخطل، رسالة ماجستير في الأدب العربي، إشراف الدكتور حسن محمد باجودة، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، العام الدراسي، 1427هـ، ص:4– 7.

على تتبع الألفاظ بالشرح وتقصي المناسبات لمعرفته بأيام وتاريخ العرب، لذلك جاء كتابه كما ذكرت مي خليف: <<جامعا بين أيام العرب محكية بتفاصيلها من وجهة نظره، إلى جانب أرصدة النقائض التي احتواها ... بل ربما زاد الامتداد لديه إلى الاستشهاد بالشعر على معاني المفردات، مهما بدت المفردة منها واضحة...>>.[1]

2/ كما<<بدا كثير الانشغال بالبحث والتقصي خاصة عن معطيات القصص التاريخي سواء ما رأيناه منه حول المفردة الواحدة، أو حتى حول المكان، أو غير ذلك من ملابسات قصصية ... >>.[2]

ووضع الشاعر أبي تمام كتابا حول الموضوع نفسه بعنوان (نقائض جرير والأخطل تأليف الإمام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام). ومنذ البداية يعلن أبا تمام ولعه بالقصص التاريخي الذي غلب على مؤلفه، خاصة في جانب ربط النقيضة بأيام العرب والمعارك والحروب التي دارت بين قيس وتغلب، ربما باعتبار أن الأيام مقوم أساسي من مقومات النقائض.

كما تميزت بحرصه على الإسناد أثناء التعليق والتحليل والشرح، ووقوفه أمام الشعر السياسي وحرصه على الاستشهاد بالشعر الجاهلي في سياق تعليقه على مفردة ما أو معنى معيّن.

خامسا: موضوعات النقائض:

تناولت النقائض موضوعات عديدة لم تخرج في عمومها عن كل ما يحيط بالشاعر موضوع الخصام وخاصة منها القبيلة والنساء، ويعدّ الموضوع الأخير نقطة سوداء في تاريخ النقائض، إذ أصبحت المرأة–في هذا الغرض– عارية من القيم، معرّضة لأنياب الشعراء وأظافرهم، ينالون منها دون حياء بعد أن كفلت الحضارة الجديدة لهم الحرية والأموال التي جعلت الناس يقبلون على مصادر التسلية، وإن كانت مغايرة لقيم العربي وأخلاقه التي تحرص على التعفف وعدم النيل من أعراض الناس، قالت فاطمة تجور<<وتبدو المرأة مادة أساسية في النقائض، يوظفها الشعراء في موضوعي النقيضة الأساسيين "الفخر والهجاء" ولكن هذا المكان المهم الذي تخصصه النقيضة للمرأة يختلف اختلافا كبيرا عن مكانها في موضوعات الشعر الأخرى، لأنه مرتبط بأسلوب خاص بالنقائض هو أسلوب الفحش في القول أثناء تناول أعراض الأمهات والزوجات والأخوات، حتى أحسست أن النقيضة التي لا تتناول هذه المعاني يمكن أن تكون أدرجت خطأ في باب النقائض>>.[3]

---

[1]– مي يوسف خليف: مصادر تراثية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص:188.

[2]– المرجع نفسه، ص:186.

[3]– فاطمة تجور: المرأة في الشعر الأموي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص:415.

من ذلك قول الفرزدق في والدة جرير:[1]

وابن المراغة يدعي من دارم والعبد غير أبيه قد يتنحل

وقوله من القصيدة نفسها:[2]

أزرى بجريك أن أمك لم تكن إلا اللئيم من الفحولة تُفحَل

قبّح الإله مقرّةً في بطنها منها خرجت وفيها كنت تحمل

فرد عليه جرير بقوله:[3]

ولقد أرى بك والجديد إلى بلى موت الهوى وشفاء عين المجتلى

نظرت إليك بمثل عيني مُغْزِلٍ قطعت حَبَالتَها بأعلى يَلْيَلِ

وإذا التمست نوالها بخلت به وإذا عرضت بودّها لم تبخل

وقول الفرزدق:[4]

نساء بالمضايق ما يواري مخازيهن منتقب الخمار

وما أبكارهن بثيّبات ولدن من البعول ولا عذاري

وقوله:[5]

يا ابن المَراغة والهجاء إذا التقت أعناقُه وتماحكَ الخصمان

ما ضرّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران

يا ابن المراغة، إن تغلبَ وائلٍ رفعوا عِناني فوق كلّ عنان

---

[1]– ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م، ص:494.

[2]– المصدر نفسه، ص:495.

[3]– ديوان جرير، تح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م، ص:356. **يليل**: موضع.

[4]– ديوان الفرزدق، ص:305.

[5]– المصدر نفسه، ص:639. **العنان**: القياد.

وقول جرير في أم الأخطل:[1]

تسوف التغلبية وهي سكرى قفا خنزير تحسبه غزالا

تظل الخمر تخدج أخدعيها وتشكو في قوائمها امذلالا

أتحسب فلس أمك كان مجدا وجَذَّكمْ عن النقد الجُفَالا

ومن المواضيع المتداولة بكثرة في النقائض موضوع القبيلة، وعادة ما يأتي الحديث عنها أثناء المدح أو الهجاء، ومنها قول جرير في قبيلته ونسبه يهجو الراعي النميري:[2]

وما وجد الملوك أعزَّ منا وأسرعَ من فوارسنا استلابا

ونحن الحاكمون على قُلاخٍ كفينا ذا الجَريرة والمُصابا

لنا تحت المحامل سابغات كنسج الريح تطَّرِدُ الحَبابا

وقول الفرزدق يفخر بقومه:[3]

ومنا الذي أحيا الوئيد ولم يزلْ أبيّاً على الأعداء أن يتهضّما

وجارٍ منعناه ولولا حبالُنا لأصبح غِبّ الحرب شاءوا مُقسَّمَا

رفعنا له حتى جرى النجم دونه وحلّ على ركن المجرّة سُلّما

وقوله معرّضا بنسب جرير والبعيث:

فإن كنتما قد هجتماني عليكما فلا تجزعا واستسمعا للمُراجم

لمِرْدى حروبٍ من لدُنْ شدّ أزرَهُ محامٍ عن الأحساب صعب المَظالم

إلى أن يقول:[4]

رأتنا مَعدٌّ يوم شالتْ قُرومُها قياما على اقتار إحدى العظائمِ

رأونا احقَّ ابني نِزارٍ وغيرهم بإصلاح صدْعٍ بينهم متفاقمِ

---

[1]– ديوان جرير، ص:330. **تخدج:** تحرك. **أخدعيها:** عرقان بعنقها. **النقد:** الصوف. **الجفال:** الصوف.

[2]– المصدر نفسه، ص:59. **القلاخ:** موضع. **الجريرة:** الجريمة.

[3]– ديوان الفرزدق، ص:621.

[4]– المصدر نفسه، ص:620. **المراجم:** المهاجي. **شالت:** تفرقت كلمتها. **الأقتار:** النواحي. **غاري معدّ:** جيشاها القويان.

حقنّا دماء المسلمين فأصبحت لنا نعمةٌ يُثنى بها في المواسم

عشيّةَ أعكتنا عُمانُ أمورَها وقدنا مَعدٌّ عُنوةَ بالخزائم

ومنا الذي أعطى يديه رهينةً لغارضيْ مَعدٍّ يوم ضرب الجماجم

ويرتبط بهذا الموضوع موضوع آخر وهو التعيير بالنسب وبتاريخ القبيلة ومبادئها ومقدساتها، وقد أصاب ذلك الأخطل كثيرا، فقد وجه له جرير نقدا لاذعا بسبب عدم إسلامه ومن أمثلة ذلك قوله فيه:[1]

إن الذي حرم المكارم تغلبا جعل النبوة والخلافة فينا

هل تملكون من المشاعر مَشعرا أو تشهدون مع الآذان أَذِينا

مضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يا خزرَ تغلب أب كأبينا

لذلك يلاحظ اقتران الهجاء الذي نظم في الأخطل بالخمر وبأكل لحم الخنزير كقوله:[2]

تمنت خنازير الجزيرة حربنا وقد حجرت من زأر ليث كلابها

وقوله: [3]

تعذّرْتَ يا خنزير تغلب بعدما علقتَ بحبْلَي ذي مُعاسرةٍ شَغْبِ

وقوله في قومه:[4]

وتغلب لا يصاهرهم كريم ولا أخوال من ولدوا كِرامُ

إذا اجتمعوا على سَكَرٍ بفَلْسٍ فنصْوٌ عند ذلك والتطامُ

سادسا: أعلام النقائض:

جرير 33هـ- 653م/ 113هـ- 732م: هو جرير بن عطية الخطفي، نشأ في اليمامة في أسرة متواضعة المال والنسب. عرف -على فحشه وبذاءة بعض شعره- بالعفة. اتصل بالأمويين ومدحهم بعد

---

[1]- ديوان جرير، ص:467، 477.

[2]- المصدر نفسه، ص:50.

[3]- المصدر نفسه، ص:54.

[4]- المصدر نفسه، ص:418.

استقرار الأمور بأيديهم. ولعل القيمة الحقيقية لشعره أنه وثيقة تاريخية وسياسية لما حدث في عصره بين القبائل والأحزاب وولاة الأمور.[1]

له في الفرزدق والأخطل هجاء كثير منه قوله:[2]

خزي الفرزدق والأخيطل قبله والبارقي وراكب القصواء

وقوله يهجو الأخطل:[3]

لقد علم الحي المصبح أننا متى ما يُقَلْ يا للفوارس نركبِ

أكلفت خنزيريك حومة زاخر بعيد سواقي السيل ليس بمذنبِ

قرنتم بني ذات الصليب بفالج قَطوع لأعناق القرائن مِشْغَبِ

وقوله يهجوه:[4]

تمنت خنازير الجزيرة حربنا وقد حجرت من زأر ليث كلابها

عجبت لفخر التغلبي وتغلب تؤدي جزى النيروز خضْعًا رقابُها

أيفخر عبد أمه تغلبية قد اخضرّ من أكل الخنانيص أنيابها

وفي هجاء الفرزدق قال:[5]

إن الفرزدق أخزته مثالبه عبْد النهار وزاني الليل دبّابُ

لا تهج قيساً ولكن لو شكَرْتَهم إن اللئيم لأهل السرو عيّابُ

الأخطل 19هـ/ 90هـ: هو غياث ابن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن سيحان بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط، كنيته أبو مالك، وغلب عليه اسم الأخطل. وكان يسمى دوبلا وذو العباية وذو الصليب. نشأ على

---

[1]– ديوان جرير، ص:4– 7.

[2]– المصدر نفسه، ص:16.

[3]– المصدر نفسه، ص:24.

[4]– المصدر نفسه، ص:50.

[5]– المصدر نفسه، ص:43.

المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق. لكن لقب الأخطل غلب عليه بسب ما اتصف به من رعونة وبذاءة وسلاطة لسان. مات في خلافة عبد الملك بن مروان.[1]

ومن شعره في هجاء جرير قوله (من الكامل):[2]

أذكرت عهدك، فاعترتك صبابة وذكرت منزلة لآل كنود

أَقْوت وغيّر آيها نسج الصَّبا وسِجال كل مُجَلجل محمود

ولقد شددتَ على المَراغةِ سرجَها حتى نزعتَ، وأنت غير مَجيدِ

ومما قاله في جرير وقومه:[3]

ما زال فينا رباط الخيل مُعْلَمة وفي كليب رِباط الذل والعار

النازلين بدار الذل إن نزلوا وتستبيح كليب حرمة الجار

إلى أن يقول:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

ويقول: [4]

لا يثأرون بقتلاهم، إذا قتلوا ولا يكُرُّون يوما، عند إحجار

ولا يزالون شتى في بيوتهم يسعون من بين ملهوف وفرّار

الفرزدق: 20 هـ/ -114هـ/ 733م: ولد بالبصرة سنة 20 هـ/ 641م وبها نشأ، عاش في البادية فأخذ عن أهلها القوة والتعالي والفخر بالمجد والنسب، فأبوه غالب سيد بادية بني تميم، وأمه ليلى بنت حابس أخت الصحابي الأقرع بن حابس، وجده صعصعة ذائع الصيت محي الوئيدة، فقد اشترى ثلاثمائة وستين بنتا كل واحدة بناقتين وجمل، وفيه قال الفرزدق:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم توأد

---

[1]- ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م، ص:3- 17.

[2]- المصدر نفسه، ص:94. **أقوت:** تغير. **الآي:** الصورة. **السجال:** المطر. **المجلجل:** صوت الرعد. **غير مجيد:** لا تمتلك جوادا.

[3]- المصدر نفسه، ص:166.

[4]- **إحجار:** الشدة والضرورة.

تزوج ابنة عمه النوار، وعرف بحب النساء فتزوج أكثر من مرة، ولما طلق نوار قال ندما:

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

تشيع لآل البيت تشيعا واضحا، ولكن ذلك لم يمنعه من الاتصال بالأمويين فمدحهم ونال جوائزهم. وقد عاش حياته لاهيا غير آبه بمرور السنين، مات سنة (114هـ/ 733م)، فلما بلغ جرير خبر وفاته قال حزنا عليه: [1]

هلك الفرزدق بعدما جدّعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فالفرزدق – كما جاء على لسان محقق ديوان– <<واحد من ثلاثة قام على مناكبهم صرح الشعر العربي في عصر بني أمية. فهو لم يدع بابا إلا طرقه، ولا فنا إلا ونظم فيه، فنال إعجاب الناس وتقدير أهل اللغة والنحو فراحوا يقولون: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة، ولضاع نصف أخبار الناس".

أما شعره الذي قيل فيه الكثير فيمتاز بفخامة العبارة، وجزالة اللفظ، وكثرة الغريب... وهو من أفخر شعراء العرب لأن مواد الفخر اكتملت لديه همة ونسبا.>>[2]

أكثر هجائه جاء في جرير وقومه ومما قاله فيه على وزن الطويل:[3]

تغنى جرير بن المراغة ظالما لتيم، فلاقى التيم مرّا عقابها

وتيم، مكان النجم لا يستطيعها، إذا زخرت يوما إليها رَبابُها

وفيها بنو الحرب التي يُتقى بها وغاها إذا ما الحرب جاشت شعابها

وقال فيه من البسيط:[4]

نكفي الأعنّةَ يومَ الحربُ مشعلةٌ وابن المَراغة خلف العيرِ مضروبُ

منا فروع اللواتي لا يوازنها فخرٌ، وحظك في تلك، العراقيبُ

يا ابن المراغة إن الله أنزلني حيث التقت في الذرى البيضُ المناجيبُ

---

[1]– ديوان الفرزدق، ص:5– 8.

[2]– المصدر نفسه، ص:8.

[3]– المصدر نفسه، ص:53.

[4]– المصدر نفسه، ص:66.

خاتمة:

1/ سجلت النقائض حضورا مميزا لفت لها الأنظار في عصر بني أمية لأسباب سياسية واجتماعية، وكان للعصبية ولتغير نظام الحكم إلى الملكي، وما تبعه من صراع بين بني أمية وأعدائهم دور كبير في ازدهارها وسيطرتها على باقي أغراض الشعر العربي، ما جعل هذا العصر بحق عصر النقائض رغم ظهورها في العصور السابقة خاصة العصر صدر الإسلام بين أنصار محمد صلى الله عليه وسلم وأنصار الكفر.

2/ تتميز النقائض بجملة من الخصائص الفنية والموضوعاتية والأسلوبية أفردتها عن باقي أغراض الشعر العربي.

3/ على الرغم من نبوغ شعراء كثر في هذا الغرض إلا أن شهرة جرير والأخطل والفرزدق فيها غير خافية.

4/ تعد النقائض مصدرا من مصادر المعرفة بأيام العرب منذ الجاهلية وبالعصر الأموي، لأنها سجلت جانبا مهما من تاريخ الصراع بين القبائل وبين أنصار علي بن أبي طالب وأنصار الحزب الأموي، كما سجلت نظام الحياة الذي ميز القبائل آنذاك وصراع الطبقات الاجتماعية التي ظهرت في العصر.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

2-داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب ومراجعة داود سلوم، 2004، ط1.

3-محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة.

إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج العروس وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

4- أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط4.

5- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط5.

6- عبد الله عطية عبد الله الزهراني: أثر الإسلام في نقض جرير شعر الأخطل، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور حسن محمد باجودة، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، العام الدراسي، 1427هـ.

7- مي يوسف خليف: مصادر تراثية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.

8- فاطمة تجور: المرأة في الشعر الأموي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

9- ديوان جرير، تح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.

10- ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م.

11- ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م.

نموذج للتطبيق:

قم بتحليل النماذج الآتية من النقائض اعتمادا على ما تم تقديمه في المحاضرة. قال الفرزدق:[1]

فإن كنتما قد هجتماني عليكما فلا تجزعا واستسمعا للمُراجم

لمِرْدى حروبٍ من لدُنْ شدّ أزرَهُ محامٍ عن الأحساب صعب المَظالم

غموسٍ إلى الغايات يُلْفى عزيمُه إذا سئمتِ أقرانُه غيرُ سائمِ

تسورُ به عند المكارم دارِمٌ إلى غاية المُستصْعَبات الشَّداقِمِ

رأتنا مَعدٌّ يوم شالتْ قُرومُها قياما على اقتار إحدى العظائمِ

رأونا احقَّ ابني نِزارٍ وغيرهم بإصلاح صدْعٍ بينهم متفاقمِ

حقنّا دماء المسلمين فأصبحت لنا نعمةٌ يُثنى بها في المواسم

عشيّةَ أعكتنا عُمانُ أمورَها وقدنا مَعدٌّ عُنوةَ بالخزائم

ومنا الذي أعطى يديه رهينةً لغارضيْ مَعدٍّ يوم ضرب الجماجم

كفى كلّ أم ما تخاف على ابنها وهنّ قيامٌ رافعاتُ المَعاصِمِ

عشيةَ سال المِرْبَدان كلاهما عجاجَةَ موتٍ بالسيوف الصّوارِمِ

هنالك لو تبغي كليبًا وجدتَها بمنزلة القردان تحت المَناسِمِ

وما تجعل الظربى القِصار أنوفُها إلى الطِّمِّ من موج البحار الخضارم

لِهاميم، لا يسطيع أحمالَ مثلَهم أنوحٌ ولا جادٍ قصيرُ القوائم

يقول كرام الناس إذا جدّ جدنا وبيّن عن أحسابنا كلُّ عالمِ

علام تغنى يا جرير، ولم تجد كليب لها عاديةٌ في المكارم

[1]– ديوان الفرزدق، ص:620.

فأجابه جرير بقوله:[1]

بنت لي يربوعٌ على الشرف العلى دعائمَ زادت فوق ذَرْع الدعائم

فمن يستجرْنا لا يخف بعد عقدنا ومن لا يصالحْنا يبتْ غيرَ نائمِ

بني القيْنِ إنا لن يفوت عدوّنا بوِترٍ ولا نعطيهم بالخزائم

وإني من القوم الذين تعدهم تميم حماة المأزق المتلاحم

ترى الصيد حولي من عبيد وجعفرٍ بناةً لعاديٍّ رفيعِ الدعائم

تشَمَّسُ يربوعٌ ورائيَ بالقَنا وتُلقى جبالي عُرضةً للمُراجِم

إذا خطرت حولي رياح تضمنت بفوز المعالي والثأي المتفاقم

.....

ونحن اعتصبنا الحضرميَّ بنَ عامر ومروانُ من أَنفالِنا في المَقاسِمِ

ونحن تداركنا بَحيرًا ورهطَهُ ونح منعنا السبي يوم الأراقِم

ونحن صدعنا هامةَ ابن خُويْلِدٍ على حيث تستسقيه أم الجواثِمِ

ونحن تداركنا المحبةَ بعدما تجاهدَ جرءيُ المُقرَبَات الصّلادم

.....

وكنتم لنا الأتباعَ في كلّ مُعظَمِ وريشُ الذُّنابَى تابعٌ للقَوادِمِ

وهل يستوي أبناء قين مجاشع وأبناءُ سرّ الغانيات العواذم

وما زادني بعد المدى نقض مِرّةٍ وما رقّ عظمي للضُروسِ العواجِمِ

تراني إذا ما الناس عدّوا قديمهم وفضلَ المَساعي مسفِرا غيرَ واجِمِ

وإن عُدّت الأيام أخزيتَ دارماً وتُخزيك يا ابن القين أيامُ دارم

فخرتُ بأيام الفوارس فافخروا بأيام قينِكم جُبيرٍ وداسِمِ

---

[1]– ديوان جرير، ص:455– 457.

المحاضرة السابعة: الشعر العذري والشعر العمري

تصميم المحاضرة:

أولا: الغزل لغة واصطلاحا

ثانيا: الغزل في الشعر العربي

ثالثا: الغزل في العصر الأموي

رابعا: الغزل العمري واللذة الحسية

خامسا: خصائص شعر عمر بن أبي ربيعة

سادسا: الغزل العذري

سابعا: خصائص الغزل العذري

ثامنا: جميل ابن معمر واللذة الروحية

أولا: الغزل لغة واصطلاحا:

أصل كلمة (غزل) من غزلت المرأة تغزلا وغزلا بالمغزل. والغزل وهو حديث الفتيان مع الجواري. ومغازلة النساء: محادثتهن ومراودتهن. كما يعني حديث الفتيان والسيدات. والتغزل: تكلف ذاك.[1]

وجاء في كتاب العمدة لابن رشيق: <<والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد. وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن، وليس مما ذكرته في شيء، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر.>>[2]

---

[1]–داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب داود سلوم، 2004، ط1. ص:608. محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة، ص:372. ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، مج 10، ص:65.

4–إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج العروس وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

[2]– ابن رشيق: العمدة، ج2، ص: 137.

والغزل فن شعري عرفته العرب منذ العصر الجاهلي لارتباطه بطبيعة الحياة البشرية القائمة على ثنائية العلاقة بين الرجل والمرأة، لذلك تميز عبر عصوره بالعاطفة والغنائية لصدوره عن أحاسيس إنسانية مرهفة، إلا فيما ندر من النماذج التي جعلت الغرض جافا من كل عاطفة خال من قوة الصدق.

ثانيا: الغزل في الشعر العربي:

إذا كان الغزل ينبع من عاطفة الحب، وهي عاطفة إنسانية، فقد وصلتنا عن شعراء العرب –على اختلاف عصورهم– نماذج شعرية عالية الفنية، وتجلياته في العصر الجاهلي واضحة في مقدمات القصائد التي تمتلئ بالبكاء على رحيل الأحبة، وما يرافقها من تذكر وألم جراء انقضاء الزمن الجميل الذي كان يوفر للشاعر لحظات الحب والاستئناس، حتى وإن كانت مقرونة بالخوف من المجهول، لذلك ارتبط الغزل عندهم بموضوع الأطلال وبالرسوم كما نقرأه في أشعار امرئ القيس كقوله:[1]

لمن طلل أبصرته فشاجني كخطّ زبور في العسيب اليماني

ديار لهند والرباب وفرتنا لياليا بالنعْف من بَدَلان

ويلاحظ في مقدمات الجاهليين وما لازمها من غزل وتشبيب سيطرة موضوع الهجران كما في قول علقمة:[2]

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقّا كلّ هذا التجنب

وقول زهير:[3]

إن الخليط أجدّ البين فأنقرا وعلق القلب من أسماء ما علقا

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع، وأمسى الرهن قد غلقا

---

[1]– ديوان امرئ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، ص:165. **الطلل:** ما شخص من آثار الديار. **شجاني:** هاج بي الحزن والهم. **الزبور:** الكتاب المزبور أي المكتوب بالمزبر، وهو القلم. **بالعسيب اليماني:** بسعف النخل. **هند والرباب وفرتنا:** أسماء فتيات كان يشبب بهن. **النعف:** المكان المرتفع. **بدلان:** موضع.

[2]– ديوان علقمة، شرح الأعلم الشنتمري، تح لطفي الصقال درية الخطيب، راجعه فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي، حلب، سوريا، ط1، 1389هـ، 1969م، ص:79.

[3]– ديوان زهير بن أبي سلمى، تح علي حسن فاعور، ص:72.

ويرتبط بالهجران موضوع آخر وهو طول الليل وما يتبعه من سهر ووجد وقلق لقلة النوم وكثرة التفكير، كما يدل عليه قول زهير:[1]

تطالعنا خيالات لسلمى كما يتطلع الدين الغريم

وقول عنترة:[2]

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وبطول الليل تهيج ذكريات الشعراء ويتوالى الحديث عنها في قصائدهم كما في معلقة امرئ القيس:[3]

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بلّ دمعي محملي

فلما جاء الإسلام تعفف الشعراء في الغزل إلا ما وقع عادة واستهلالا، وبمرور الزمن، عاد هذا لغرض يضرب بسهمه من جديد في الشعرية العربية، ففي القرن الثاني الهجري ظهرت موضوعات شعرية نتيجة ظهور تيارات واتجاهات ثقافية ودينية وسياسية جديدة، أغنت تجارب الشعراء بسبب فسح المجال للشعوب غير العربية للتعبير عن أهوائها وميولها، وأمام ذلك ظهرت قصيدة الغزل في أثواب عدة منها:

الغزل الفاحش: يشيد هذا النوع من الغزل بالمتعة التي تتحقق بلقاء المرأة، وإن كان امتدادا للغزل الجاهلي الفاحش، فقد عرف أنواعا جديدة كالغزل بالمذكر الذي تغذى بالمجون خاصة بعد ازدهار تجارة الرقيق.[4]

ويدل هذا النوع من الشعر على درجة من الترف والفراغ والخلاعة، التي شاعت بين فئات معينة من طبقات المجتمع العباسي، ومن أخطر أنواعه الغزل بالمذكر، ويوصف عادة بالغزل الشاذ، ومهما حاول

---

[1]– المصدر السابق، ص:119.

[2]– ديوان عنترة بن شداد، شرح الخطيب التبريزي، تق مجيد طراد، ص:214. قاتلها الله: ما أجلبها للحزن. وأبعثها للشوق.

[3]– ديوان امرئ القيس، ص:111. **كدأبك:** كعادتك بمأسل: اسم ماء بعينه. **تضوع المسك منهما:** فاح وانتشرت رائحته.

[4]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص:ص:56.

بعض الدارسين تبريره بتعليلات نفسية، لأن هذا النوع من المعاني قائم –كما ذهب محمد مصطفى هدارة– على مغالطة صريحة ولا يمثل إلا قمة الفساد المادي والسقوط والانحدار.[1]

وقد شاع هذا الغرض مرتبطا بأبي نواس وله فيه شعر كثير قوله:[2]

من كان تعجبه الأنثى ويعجبها من الرجال فإني شفني ذكرُ

فوق الخماسي لما طرّ شاربه رخص البنان خلا من خدّه الشعر

لم يجف من كِبر عما يراد به من الأمور ولا أزرى به صغرُ

قال عبد الحميد جيرة: << هذا الغزل بالمذكر لم يضف إلى قصيدة الغزل العربية عاطفة جديدة أو رؤيا جمالية جديدة، إنه شعر يجتر الصور التقليدية القديمة في وصف المرأة والذي يقرأ هذا الشعر في المذكر لا يحس إلا بالعاطفة تجاه المرأة تنساب في هذه الأوصاف >>[3]

ولم يعش هذا النوع من الغزل كثيرا فسرعان ما خرس شيطان الشعراء لأنه لم يجد مريدين يشجعون عليه ويقبلون على تذوقه.

الغزل في الغلاميات: ويقصد به الغزل بمن تشبهن بالغلمان في زيهن وقد ظهر أيام المأمون.[4]

من نماذجه قول أبي نواس:[5]

غلام وإلا فالغلام شبيهها وريحان دنيا لذة للمعانق

الغزل بالجواري والقيان: شغل هذا الموضوع حيزا كبيرا عند شعراء الغزل في القرن الثاني لتوفر كثير منهن على جانب من الجمال والعلم ما شجع على التعلق بهن.

---

[1]– ينظر: محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربي، ص:519.

[2]– ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تح بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1431هـ، 2010م، ص:525.

[3]– عبد الحميد جيرة: مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م، ص:180.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص:181.

[5]– ديوان أبي نواس، ص:620.

وقد ظهر الغزل الذي ارتبط بالجواري بطابعيه العفيف والماجن، ومن أمثلته قول بشار في جارية واسمها عبدة:[1]

أعددت لي عتبًا بحبكم يا عبد طال بحبكم عتبي

وقوله:[2]

ما كنت أول مشغوف بجارية يلقى بلقيانها روحا وريحانا

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والعين تعشق قبل العين أحيانا

ثالثا: الغزل الأموي:

أعاد العصر الأموي إحياء هذا الغرض من جديد لعدة أسباب مرتبطة بالعصر في حد ذاته كالحرية التي شاعت فيه، وأبرز ما ميز القصيدة الغزلية فيه هو ارتباطها بتجربة صاحبها، إذ لم تعد تقليدا كأن تأتي في مقدمة القصيدة على عادة الجاهليين. كما اتخذت مسلكين، أحدهما روحي عفيف مثله العذريون، والآخر ماجن حسي مثله عمر بن أبي ربيعة. وأما شعراؤه فكثر أشهرهم: نصيب، قيس الرقيات، جميل بن معمر، قيس ابن الملوح، كثيّر وغيرهم.

رابعا: الغزل العمري واللذة الحسية:

طرح عمر بن أبي ربيعة معاني غزلية لم تكن في متناول الشعراء الذين سبقوه أو عاصروه، فقد كان جريئا على المعاني وعلى النساء وعلى المتلقي العربي الذي اعتاد إخفاء تجاربه مع النساء وعواطفه، مخترقا قيم المجتمع المدني والمكي خصوصا والعربي عموما، مع ملاحظة أن ذلك لم يعرضه لسجن أو عقوبة، وقد يكون السبب في ذلك عدم قيامه بأي ممّا ادعاه شعرا، أو لعدم اشتغاله بالسياسة وبالتالي لم يشكل تهديدا على العرش الأموي.

---

[1]– ديوان بشار بن برد، شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ج 3، 1386هـ، 1966م، ص:10.

[2]– ديوان بشار بن برد، ج4، ص:206، 207.

وقد شكّل شعره موضوعا لدراسات كثيرة، اتفق بعضها على أنه امتداد لشعر امرئ القيس في استهتاره ومجونه، قال أدونيس: << يؤسس شعر عمر بن أبي ربيعة ما يمكن تسميته بالنزعة الشهوية أو الإباحية في الشعر العربي، وهو في ذلك يتابع ما بدأه امرؤ القيس>>.[1]

وقد حظي شعر عمر بن أبي ربيعة باهتمام شديد لدى الدارسين والمتتبعين لخط سير الشعر العربي بوصفه ظاهرة جديدة في الشعر، لأنه وخلافا لما عرف عند شعراء الغزل الذين سبقوه أو عاصروه جعل نفسه محور القصيدة الغزلية ومطلب النساء ومعشوقا لا عاشقا. فهو كما ذهب الدكتور شوقي ضيف <<حوّل الغزل من الرجل إلى المرأة>>.[2]

ففي غزله تفرد غير مسبوق بعد أن حول المرأة من مطلوبة معشوقة إلى طالبة عاشقة، وجعل موضوع الحب وأحاديثه مشتركة بينه وبين النساء بعد أن كانت الشكوى وآلام الحب والوجد من معاناة الرجل/ الشاعر وحده، تقوده عاطفته التي شذت به عن المعتاد وجعلته يصور النساء هن اللائي يطلبنه وصور نفسه في حالة تدلل عليهن.

ومن شعره الذي يصور الحب على أنه عاطفة مشتركة بينه وبين النساء قوله من المتقارب:[3]

بنفسي من أشتكي حبه ومن إن شكا الحبّ لم يكذب

ومن إذا سخط أعتبته وإن يرني ساخطا يعتب

ومن لا أبالي رضى غيره إذا هو سرّ ولم يغضب

ومن لا يطيع بنا أهله ومن قد عصيت له اقربي

ومن لو نهاني من حبه عن الماء، عطشان، لم أشرب

ومن لا سلاح له يتقى وإن هو نوزل، لم يُغلبِ

وقوله:[4]

بنفسي من شفني حبّه ومن حبّه باطن ظاهر

---

[1]– أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط7، 1994، ج 1، ص:269.

[2]– شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص:350.

[3]– ديوان عمر بن أبي ربيعة، تقديم فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1416هـ، 1996م، ط2، ص:74، 75.

[4]–المصدر نفسه، ص:137.

ومن لست أصبر عن ذكره ولا هو عن ذكرنا صابر

ومن إذ ذكرنا جرى دمعه ودمعي لذكر له مائر

وهذه الأشعار وضعت عمر في خانة خاصة، فلا هو كشعر العذريين ولا هو كالشعر الماجن الذي يكتفي بتصوير الحس، لأنه لم يكن ساعيا وراء موضوع المجون، بقدر ما كان تعبيرا عن الحرية التي كان يتمتع بها وعن نظرته للمرأة على أنها مكمّلة للرجل، لذلك استقل بطريقته في الغزل، وتفوق على زملائه كما صرح الرافعي:<< هو الذي استقلت له هذه الطريقة وكان أول من شهر بها، فبرع نظراءه بسهولة الشعر وشدة الأسر وحسن الوصف وإرسال شعره قصصا غزلية حتى كأنه إنما يدون فيه تأريخ قلبه، ولذلك فتن به الناس...>>.[1]

خامسا: خصائص شعر عمر:

الجمع بين الحداثة والتقليد: عمر بن أبي ربيعة وإن جهر بحبه للنساء وتجرأ على الشريفات من المسلمات وجعلهن موضوعا لغزله، بقي وفيا في كثير من قصائده للقصيدة الغزلية العربية كما هو الحال في قوله من الطويل:[2]

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجّر

لحاجة نفس لم تقل في صوابها فتبلغ عذرا والمقالة تعذر

أهيم إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الخيل موصول ولا القلب مقصر

ولا قرب نعم –إن دنت– لك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

فملامح الغزل الجاهلي واضحة في هذا المقطع، لكن فيما تبع من أبيات يلحظ عودة الشاعر لروح العصر المتحرر من القيود التي كبلت المتغزلين من رقابة ووشاية ونأي وهجر، فيبدأ جانب التجديد كما يدل عليه قوله:[3]

إذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة لها كلّما لاقيتها يتنمر

عزيز عليه أن ألمّ ببيتها يسرّ لي الشحناء والبغض يظهر

---

[1]– مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج2، ص:104.

[2]– ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص:122.

[3]– المصدر نفسه، ص:123.

ألكني إليها بالسلام فإنه يشهّر إلمامي بها وينكّر

بآية ما قالت يوم لقيتها بمدفع أكنان: أهذا المشهّر

قفي فانظري أسماء هل تعرفينه أهذا المغيريّ الذي كان يذكر

أهذا الذي أطربت نعتا فلم أكن وعيشك أنساه إلى يوم أقبر

فقالت نعم لا شكّ غيّر لونه سرى الليل يحي نصّه والتهجر

فالشاعر لم يتخل عن وصف المرأة متعلقة بحبال هواه تقتفي آثاره أينما ذهب.

1/ الطابع القصصي: تبدو قصائد عمر بن أبي ربيعة وكأنها ملخص لحادثة معينة أو واقعة حقيقية أو تجربة مرّ بها مع إحداثهن، فمن خلال هذه الخاصية يتضح لقارئ عمر أن المغامرة والحب شعور مشترك بينه وبين المرأة موضوع القصيدة كما في قوله:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكّر غداة غد أم رائح فمهجر

وفيها سرد عددا من الأحداث المتسلسلة في قالب قصصي ميزته التشويق فقال:

وليلة ذي دوران جشّمتني السرى وقد يجشم الهول المحبّ المغرّر

فبتّ رقيبا على الرفاق على شفا أحاذر منهن من يطوف وأنظر

إليهم متى يستكمن النوم منهم ولي مجلس لولا اللبانة أوعر

وباتت قلوصي بالعراء ورحلها لطارق ليل أو لمن جاء معور

وبتّ أناجي النفس أين خباؤها وكيف لما آتي من الأمر مصدر

2/ **سهولة لغته واستخدام العبارات والصور والأصوات والأوزان التي تتلاءم والغناء** كأورزان السريع والخفيف والوافر والرمل والمتقارب، كما بنى شعره على المجزوءات حتى يتسنى للمغنين إنشادها وتطبيق الألحان عليها.[1]

3/ الحوار: وهو أسلوب يتماشى وأسلوب القص الذي ميز طريقته في عرض المعاني، فكثيرا من مقاطع عمر الشعرية تأتي على شكل حوار بينه وبين إحدى النساء أو مجموعة من النسوة، وهذا له دلالات كثيرة، فمن جهة تعبّر هذه الطريقة في النظم على أن الغزل عنده ليس بغاية التشبب بالنساء

[1]– شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص:60.

بقدر إظهار علاقته بهن، علاقة محبات لمحبوب، ومن جهة أخرى يدل ذلك على أن عمر يعيش وخلافا لشعراء الغزل العذري حالة زهو وفرح كلما وجد نفسه أمام علاقة إن لم نقل مغامرة كما يتضح من قوله الذي يمتزج فيه الحوار بالقص:[1]

فدلّ عليها القلب ريّا عرفتها لها وهوى النفس الذي كان يظهر

إلى أن يقول:

فلما تقضى الليل إلا أقله وكادت توالي نجمة تتغور

أشارت بأن الحيّ قد حان منهم هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني إلا مناد ترحّلوا وقد لاح معروف من الصبح اشقر

فلما رأت من قد تنبّه منهم وإيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فإما أفوتهم وغما ينال السيف ثأرا فيثأر

ويدخل في حوار مع حبيبته عساه يتفق معها على حلّ لما ألمّ بهما دون أن يفتضح أمرهما فقال:

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فإن كان لابدّ منه فغيره من الأمر أولى للخفاء وأستر

إلى أن وقع الاتفاق كما يدل عليه المقطع الحواري اللاحق:

فقالت لأختيها أعينا على فتى أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فقامت إليها حرّتان عليهما كساءان من خزّ دمقس وأخضر

وهكذا خرج عمر من المأزق وسار بأمان ليختم قصته/ قصيدته بقوله:

وقمت إلى عنس تخوّن نيّها سرى الليل حتى لحمها متحسّر

وقد أجمل يوسف عطا الطريفي مميزات شعر عمر فقال: << وكان يختار الألفاظ الفصيحة العذبة وكان يعبر عن المعنى الذي يريده بالمعاني القريبة، وبهذا فقد خالف مألوف عصره وكانت تراكيبه متينة نقية من العجمة، وفي شعره شيء من الصناعة اللفظية ولكنه كان صادق التعبير، عذب الشعر، ويمتاز

[1]– ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص:125.

شعره بالروح القصصية والحوار وموافق للغناء، وكان يكني بشعره كثيرا. والمتميز في شعر عمر أن كل قصيدة من قصائده كانت موضوعا تامّا سواء أكانت أبياتا قليلة أو أبياتا كثارا >>.[1]

وهكذا أغلب قصائد عمر، فقد انشغلت عن الوصف المادي الماجن بوصف حالة الشاعر ولهفته للقاء من يحب وحالة العاشقة المحبة وخوفهما معا من الفراق بلغة حوارية.

سادسا: الغزل العذري:

الغزل العذري هو غزل يبتعد عن الفجور والغرور والألفاظ الفاحشة والتصريح الفاضح، منهجه العفة والطهارة والحلم والصدق والسلوك السوي، وهذا اللون من الشعر أوجدته ظروف وعوامل كالتي أوجدت المجون، وتتمثل في رقي وترف الحياة العربية وامتزاجها بباقي الثقافات الأجنبية وظهور طبقة من الناس مالت إلى الزهد والتعفف والحياء. جاء في كتاب مقدمة لقصيدة الغزل العربية أنه: << ذلك التغزل الذي لا يشرّح جسد المرأة، كما لا يقصّ علينا القصص المحرمة أخلاقيا، كما كان يقص علينا شعر امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة>>.[2]

فالغزل العذري <<تشع منه حرارة العاطفة، وشدة الأشواق ويصور خلجات النفس، وفرحة اللقاء وألم الفراق والرحيل، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي، بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظراتها، وقوة أسرها ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طوال حياته أو مدة طويلة من حياته>>[3]

وينتسب هذا اللون الشعري إلى قبيلة عذرة، وقد وصلت الكثير من الأخبار التي تحدث بقصصهم في الحب، واصفة تعففهم وتعلقهم بمن يحبون روحيا لا يتصل بالحس ولا يروقه ذلك، ومنها ما روي عن امرأة عذرية سئلت عن معاناتها: ما بال العشق يقتلكم معشر عذرة من بين أحياء العرب؟ فقالت: فينا جمال وتعفف، والجمال يحملنا على العفاف، والعفاف يورثنا رقة القلوب والعشق يفني آجالنا، وإنا نرى عيونا لا ترونها>>.[4]

إن قصيدة الغزل العفيف في العصر القرن الثاني تمثل الشعر النقي في مقابل الشعر الماجن، لأن شعراءه مجبولون على الوفاء. متشبعون بالروح الإسلامية التي تتخذ من الحياء سبيلا للحياة، لذلك نقرأ

---

[1]– يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب، العصر الأموي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص:369.

[2]– عبد الحميد جيرة: مقدمة لقصيدة الغزل العربية، ص:187.

[3]– حافظ محمد عباس الشمري، عبد علي هبيد الشمري: اتجاهات الغزل العذري وسماته الفنية في العصر الأموي، الكلية التربوية المفتوحة، ص:4.

[4]– عمر رضا كحالة: الحب، مؤسسة الرسالة، سورية، بيروت، ط1، 1968هـ، 1978م، ص:229.

في أشعار العذريين ما يدل على تأصل الثقافة الإسلامية كما في قول جميل وقد شبه حبيبته بالبدر في ليلة القدر:[1]

هي البدر حسنا والنساء كواكب وشتان ما بين الكواكب والبدر

لقد فضلت على الناس حسنا مثلما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

وقول مجنون ليلى:[2]

تداويت من ليلى بليلى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ألا زعمت ليلى بأن لا أحبها بلى والليال العشر والشفع والوتر

وللغزل العذري أبعاد حضارية كونه << تجربة إنسانية فاعلة رائعة، كانت من أهم نتائجها أن خلقت قيما جديدة، ولغة شعرية يمكن أن تتحقق في كل مكان وزمان لأنها لا ترتبط باستعدادات نفسية وروحية، وأن الحب العذري استمرار للروح العذرية التي ازدادت عمقا وانتشارا بعد ظهور الإسلام وهو مظهر من مظاهر الأصالة العربي>>.[3]

وقد حفلت عصور الشعر العربي بهذا النوع من المعاني، وجعلت العاطفة تتركز فيها وتتجه نحو المرأة باحترام شديد للعلاقات والعادات الاجتماعية.

سابعا: خصائص الشعري العذري:

أغلب الشعر العذري عبارة عن مقطوعات تنساب معها العواطف انسيابا رقيقا، وتتدفق وفقها المشاعر فتنبعث منها المعاني سيلا جارفا، يحمل النفس التي تقرأه بعيدا كما لو أنه جاء طوالا.

ويتم ذلك ببساطة العبارة ووضوح المعنى الناجمين عن بساطة التجربة ووضوحها، وتكشف حالة العشق ما جعل لغتهم الشعرية أكثر تميزا عن لغات باقي الأغراض وحتى عن الغزل الماجن، بل جعلها لغة يسيرة تتغنى بنقاء وصفاء النفس في تعلقها الروحي.

---

[1]– ديوان جميل بن معمر، دار صادر، بيروت، ص:58.

[2]– ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دراسة يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1460هـ، 1999م، ط1، ص:70.

[3]– حافظ محمد عباس الشمري، عبد علي هبيد الشمري: اتجاهات الغزل العذري وسماته الفنية في العصر الأموي، ص:13، 14.

ثامنا: جميل ابن معمر واللذة الروحية:

الشاعر العذري كما يقول عبد الحميد جيرة: << طفل كبير يتفانى في ما يرغب ويشتهي ويريده، ويظل يبكي حتى ينال مراده أو يموت في سبيله، إنه لا يفكر ولا يتمهل ولا يسمع نداء غير نداء قلبه>>.[1]وبالنسبة لجميل بن معمر فحبه لبثينة واضح من شعره الذي يعد في مقدمة الشعر العذري ومنه قوله:[2]

يقولون، مهلا يا جميل، وإنني لأقسم مالي عن بثينة من مهل

أحلما؟ فقبل اليوم كان أوانه أم أخشى؟ فقبل اليوم أوعدت بالقتل

وقوله:

فيا ويح نفسي، حسبت نفسي الذي بهخا ويا ويح أهلي ما أصيب به أهلي

أراني لا ألقى بثينة مرّة من الدهر إلا خائفا أو على رحل

أبيت مع الهلّاك ضيعا لأهلها وأهلي قريب موسعون ذوو فضل

خليليّ، فيما عشتما، هلا رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

فإن وجدت نعل بأرض مضلة من الأرض يوما فاعلمي أنها نعلي

والحب عند جميل قديم دائم كما في قوله:[3]

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنّا نطافا وفي المهد

وقوله:

ولكنه باق على كل حالة وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

---

[1]– عبد الحميد جيرة: مقدمة لقصيدة الغزل العربية، ص:135.

[2]– ديوان جميل بن معمر، ص:98.

[3]– المصدر نفسه، ص:42.

خاتمة:

عموما، لقد تجاذب قصيدة الغزل العربية تياران، أحدهما ماجن ولع بالمتعة الحسية فتفانى في التصوير المؤدي لذلك بحرية تامة، والآخر عفيف يتميز بمجموعة من الخصائص أولها الحشمة والوفاء. كما يتميز بالاقتباس من القرآن الكريم، وبسهولة اللفظ وبساطته لصدق العاطفة كونها وليدة انفعالات صادقة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب ومراجعة داود سلوم، ط1، 2004.

2- محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة.

3-ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م. مج 10.

4- عبد الحميد جيرة: مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م.

5- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، ديسمبر 1966.

6- مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر في القرن الثاني، دار المعارف، مصر، 1971.

7- يوسف حسين بكار: اتجاهات الغزل في القرن الثاني، دار الأندلس، ط2.

8-أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1994، ط7، ج 1.

9- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تق فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1416هـ، 1996م.

10-مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ربيع الآخر 1359هـ، ط2، ماي 1940م، ج2.

11- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط5.

12- يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب، العصر الأموي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

13- ديوان جميل بن معمر، دار صادر، بيروت.

14- ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دراسة يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1460،1هـ، 1999م.

15- ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تح بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1431هـ، 2010م

16- ديوان بشار بن برد، شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ج 3، 1386هـ، 1966م.

17- ابن رشيق: العمدة، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.

نص التطبيق:

على ضوء ما قدم لك عن الغزل العذري والغزل الفاحش، قدم التحليل المناسب لكل من القصيدتين الآتيتين:

قال عمر بن أبي ربيعة:[1]

فدلّ عليها القلب ريّا عرفتها لها وهوى النفس الذي كان يظهر

فلمّا فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبّت بالعشاء وأنور

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه وروّح رعيان ونوّم سمّر

وخفض عنّي الصوت أقبلت مشية الــ حباب وشخصي الحيّ أزور

فحيّيت إذ ما فاجأتها فتولّهت وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وقد عضت بالبنان فضحتني وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

فلما تقضى الليل إلا أقله وكادت توالي نجمة تتغور

أشارت بأن الحيّ قد حان منهم هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني إلا مناد ترحّلوا وقد لاح معروف من الصبح اشقر

فلما رأت من قد تنبّه منهم وإيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فإما أفوتهم وغما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فإن كان لابدّ منه فغيره من الأمر أولى للخفاء وأستر

فقالت لأختيها أعينا على فتى أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فقامت إليها حرّتان عليهما كساءان من خزّ دمقس وأخضر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا أقليّ عليك اللوم فالخطب أيسر

[1]– ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص:125.

فقالت لها الصغرى: سأعطيه مطرفي ودرعي وهدا البرد إن كان يحذر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا فلا بسرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجنيّ دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقمت إلى عنس تخوّن نيّها سرى الليل حتى لحمها متحسّر

وقال جميل بن معمر:[1]

أَلا لَيتَ رَيعانَ الشَبابِ جَديدُ وَدَهراً تَوَلّى يا بُثَينَ يَعودُ

فَنَبقى كَما كُنّا نَكونُ وَأَنتُمُ قَريبٌ وَإِذ ما تَبذُلينَ زَهيدُ

وَما أَنسَ مِنَ الأَشياءِ لا أَنسَ قَولَها وَقَد قُرِّبَت نَضوي أَمِصرَ تُريدُ

وَلا قَولَها لَولا العُيونُ الَّتي تَرى لَزُرتُكَ فَاِعذُرني فَدَتكَ جُدود

خَليلَيَّ ما أَلقى مِنَ الوَجدِ باطِنٌ وَدَمعي بِما أُخفي الغَداةَ شَهيدُ

أَلا قَد أَرى وَاللَهِ أَن رُبَّ عُبرَةٍ إِذا الدار شَطَّت بَينَنا سَتَزيد

إِذا قُلتُ ما بي يا بُثَينَةُ قاتِلي مِنَ الحُبِّ قالَت ثابِتٌ وَيَزيدُ

وَإِن قُلتُ رُدّي بَعضَ عَقلي أَعِش بِهِ تَوَلَّت وَقالَت ذاكَ مِنكَ بَعيد

فَلا أَنا مَردودٌ بِما جِئتُ طالِباً وَلا حُبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ

جَزَتكَ الجَوازي يا بُثَينَ سَلامَةً إِذا ما خَليلٌ بانَ وَهُوَ حَميد

وَقِلتُ لَها بَيني وَبَينَكِ فَاِعلَمي مِنَ اللَهِ ميثاقٌ لَهُ وَعُهود

وَقَد كانَ حُبّيكُم طَريفاً وَتالِداً وَما الحُبُّ إِلّا طارِفٌ وَتَليدُ

.....

[1]– ديوان جميل بن معمر، ص:38.

المحاضرة الثامنة: شعر الزهد والتصوف:

تصميم المحاضرة:

شعر الزهد

أولا: مفهوم شعر الزهد

ثانيا: نماذج وأعلام من شعر الزهد

ثالثا: خصائص شعر الزهد

رابعا: محاور شعر الزهد

شعر التصوف

أولا: مفهوم التصوف

ثانيا: نماذج وأعلام من شعر التصوف

ثالثا: التصوف والشعر

شعر الزهد:

أولا: مفهوم الزهد لغة واصطلاحا:

الزهد لغة: هو القلة، وهو الشيء الزهيد والقليل، وقليل الطعام والرغبة عن الشيء. وزهد فيه وعنه زهدا وزهادة أي: رغب عنه وأعرض وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه أو لقلته. والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الترغيب فيه. والزهيد: القليل. وهو مزُهد: قليل المال، ورجل زهيد العين: يقنعه القليل. [1]

[1]– داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب داود سلوم، ط1، 2004، ص:340. ابن منظور: لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، 6، ص:97. محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة، 372. ص:220. أحمد ابن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 19991م، باب الزاي والهاء والحرف المعتل، م3، ص:30. جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2010، م 1، ص:427.

اصطلاحا: لا يبعد المعنى الاصطلاحي للكلمة عن معناها اللغوي من حيث الدلالة على الإعراض عن الدنيا وعدم الرغبة فيها واحتقارها والتقليل من شأنها. كما يعني الابتعاد عن الخطيئة، والاستغناء عن الكماليات، وتجنب كل ما من شأنه أن يبعد عن الخالق.[1]

والزهد سلوك دعا إليه الدين الإسلامي طلبا للآخرة فقد جاء في قول الله تعالى: << وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)>>.[2] وقوله تعالى مشيرا إلى أولئك الذين يسعون خلف الحياة الدنيا غافلين عن زوالها: << اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)>>.[3]وقول الرسول صلى الله عيه وسلم: <<أفضل الناس مؤمن مزهد>>، ومنه قالت العرب: <<خذ زهد ما يكفيك>>.[4]

وقد نشأ شعر الزهد كردة فعل لموجة الترف واللهو والمجون التي ظهرت في العصر العباسي، كحركة إصلاحية غايتها إعادة الأمور من جديد إلى ما كانت عليه من الاستقامة بزعامة مجموعة من الوعاظ والزهاد.

وليس الزهد من الأغراض الطارئة التي ظهرت في العصر العباسي، لأن جذوره تعود إلى صدر الإسلام حيث تعلم الناس مبدأ إيثار الآخرة على الدنيا والتعفف عن ملذاتها طلبا للآخرة، متأثرين بتعاليم الدين وبسنة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: نماذج وأعلام من شعر الزهد:

أبو العتاهية: واسمه إسماعيل بن سويد بن كيسان، وكنيته أبو إسحاق، وأما لقب أبو العتاهية فقيل لأنه كان يحب التعته. وهو من قبيلة عنزة، أمه بنت زياد المحاربي من موالي بني زهرة. ولد عام 130 هجرية، بالقرب من الكوفة ببلدة عين التمر من أسرة فقيرة، وتوفي يوم الإثنين لثمان أو ثلاث خلون من جمادى الثانية سنة 213 وقيل 211 هجرية ببغداد.

نشأ أبو العتاهية كما ينشأ العامة من الناس فعاش حياة متواضعة يميزها الشعر الذي برع فيه وتميز به، فكان من شعراء العباسيين المشهورين. وكان للأسرة التي نشأ فيها سبب في توجهه نحو المجون

---

[1]– محمود لطفي نايف عبد الله: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، دراسة موازنة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، إشراف أ. د/ وائل أبو صالح، 19/ 01/ 2009، ص:5.

[2]– سورة يوسف الآية 20.

[3]– سورة الرعد الآية 26.

[4]– محمد بن أبي بكر الرازي: معجم الصحاح، ضبط مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، باب (الزهد)، ص:182.

والشرب، فعرف بكثرة الغزل إلى أن أعلن التوبة وأناب إلى الله، وقال الزهد واتخذه مذهبا له في الشعر وفي الحياة تاركا المنادمة واللهو.[1]

وأما أسباب زهده في الحياة والفن فيرجح الدارسون ذلك إلى أنه أحب فتاة اسمها (عتبة)، وكانت جارية الرشيد، لكنها رفضت الزواج منه فزهد وكره الدنيا، فلابد أن الرجل وقف متأملا حياته فوجدها عابثة خالية من الصرامة والجدية، ووجد ما قام به لا يدعو إلى فخر، <<فتكشفت له الدنيا عن عبث مطلق وتفاهة ففكر في تلك العزلة المنشودة يغني فيها أحلى ما تاق إليه من معاني الزهد والاعتبار فتهدأ تلك النفس اللهيفة.>>[2]

ونماذج زهده كثيرة ومعانيها متشعبة منها قوله في الدعوة إلى ترك الدنيا الزائلة:[3]

من تراب خلقت لا شك فيه وغدا أنت سائر للتراب

كيف تلهو وأنت في حمأة الطيـ ـن، وتمشي وأنت ذو إعجاب

تسأل الله زلفة واعتصابا وخلاصا من مؤلمات العذاب

فخف الله واترك الزهو واذكر موقف الخاطئ في يوم الحساب

ومنه ما جاء في التذكير بالموت كقوله:[4]

اذكر معادك أفضل الذكر لا تنس يوم صبيحة الحشر

يوم الكرامة للألى صبروا والخير عند عواقب الصبر

.....

أخي ما الدنيا بواسعة لمنى تلتاج منك بالصدور

ترتاح من عبر إلى سعة وتفرّ من فقر إلى فقر

---

[1]– ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م، ص:5 وما بعدها.

[2]– زهرا سعيدي: دراسة حول حقيقة زهديات أبي العتاهية، مجلة التراث الأدبي، السنة 2، العدد 8، ص:60.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص:55.

[4]– المصدر نفسه، ص:197.

ومن شعره في التذكير بفناء الإنسان ومصير الإنسان قوله:[1]

يا عجبا للناس لو فكروا أو حاسبوا أنفسهم أبصروا

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر

والخير ما ليس بخاف هو الـ المعروف والشر هو المنكر

ليعلمنّ الناس أن التقى والبرّ كانا خير ما يذخر

ومن زهده الداعي إلى فضيلة التطابق بين الفعل والقول قوله:[2]

من ذا الذي يقرأ في كتبه ما أمر الله ولا يعمل

قد بيّن الرحمان مقت الذي يأمر بالحق ولا يفعل

من كان لا تشبع أفعاله أقواله فصمته أجمل

وفي الشعر العربي نماذج كثيرة من الزهد ذكر الجاحظ عددا منها كقول محمود الورّاق النحاس:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويعديهم داء الفساد إذا فسد

يعظّم في الدنيا بفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

وقول الحسن بن هانئ:[3]

لله درّ الشيب من واعظ وناصح لو حظي الناصح

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح

فاسم بعينك إلى نسوة مهورهن العمل الصالح

وذكر الجاحظ من الزهاد: عمرو بن عتبة وهمّام بن الحارث والربيع بن خُثيم وأُويْس القرني.

وقد قال في الزهد الشعراء كما الرجاز ومما جاء فيه رجزا قول أحدهم:

من عاش دهرا فسيأتيه الأجل والمرء توّاق إلى ما لم ينل

---

[1]– المصدر السابق، ص:178.

[2]– المصدر نفسه، ص:328.

[3]– الجاحظ: البيان والتبيين، ج3، ص:198، 199.

وآخر:

كلّنا يأمل مدّا في الأجل والمنايا هي آفات الأمل

وقول المسعودي:[1]

إن الكرام مُناهبو ك المجد كلّهم فناهبْ

أخلف وأتلف، كل شي ء زعزعته الريح ذاهبْ

إذا كانت السبعون سنّك لم يكن لدأبك إلا أن تموت طبيب

وإنّ امرأ قد سار سبعين حجّة إلى منهل من ورده لقريب

إذا ما مضى القرن الذي كنت فيهم وخُلّفت في قرن فأنت غربي

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل: عليّ رقيب

ثالثا: خصائص شعر الزهد:

كل شعر الزهد لا يخلو من حديث عن الموت والتذكير بها، وبالجزاء والعقاب وبمصير الناس وبعبثية الدنيا وفنائها.

يسيطر المعجم القرآني على شعر الزهد سيطرة واضحة لأنه يتغذى بالأساس على ما جاء في القرآن الكريم من حديث عن الدنيا وعن الآخرة.

شعر الزهد شعر العامة يدعوهم لترك المعاصي وتتبع الصالح من الأعمال، لذلك تجد لغته سهلة قريبة المأخذ لا يوجد فيها تلميح ولا رمز يرهق القارئ أو يبعد عنه المعنى.

يغلب على قصائد الزهد الأسلوب الإنشائي من خلال توظيف الاستفهام والأمر والنهي والنداء والتعجب.

[1]–المصدر السابق، ص:195.

رابعا: محاور شعر الزهد:

1/ الحث على ترك الدنيا والزهد فيها لغرورها وزوالها كما في قول أبي نواس:[1]

ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا أما والله ذهبوا لتبقى

وما للنفس عندك من مقام إذا ما استكملت أجلا ورزقا

وما أحد بزادك منك أحظى ولا أحد بذنبك منك اشقى

ولا لك غير الله تقوى زاد إذا جعلت إلى اللهوات ترقى

وقول محمد ابن يسير:[2]

من طال في الدنيا به عمره وعاش فالموت قصاراه

2/ التذكير بالآخرة والإقبال عليها وبالعقاب والجزاء ومنه ما جاء في قول أبي العتاهية:[3]

والموت لا يبقي على أحد ولكل جمع منه مصرعه

وجميع ما للمرء من عمل فالمرء يحصده ويزرعه

عجبا لذي عيش تيقن أن الـ موت حق، كيف ينفعه

وقوله:

غدا ينادي من القبور إلى هول حساب عليه يجتمع

3/ إعلان التوبة والإنابة إلى الله عز وجلّ، وفي ذلك قال لقيط بن بكير المحاربي:[4]

عزفت عن الغواية والملاهي وأخلصت المتاب إلهي

وغرّتني ليال كنت فيها مطيعا للشباب به أباهي

---

[1]– عبد الله بن حامد الحامد: شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، كلية اللغة العربية بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1391هـ، 1971م، ص:90.

[2]– المرجع نفسه، ص:93.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص:271.

[4]– عبد الله عبد الرحمان الجعيثن: شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول، بحث مقدم لنيل الدرجة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض، إشراف الدكتور عبد الرحمان رأفت الباشا، كلية اللغة العربية بالرياض، المملكة العربية السعودية، ج3، ص:30.

أجاري الغيّ في ميدان لهوي وقلبي عن طريق الرشد لاهي

شعر التصوف:

أولا: مفهوم التصوف:

اختلفت الآراء في تعريف التصوف ومصدره وتحديد مناهجه لاختلاف طرق مريديه باختلاف الشعوب وأهدافهم وعصورهم ودياناتهم، لأن التصوف موجود في باقي الأديان كالمسيحية مثلا، وأما ما يعنينا فالتصوف الإسلامي والشعر فيه على وجه الخصوص.

ويتصل معنى التصوف بالاتباع والحب، حب النبي صلى الله عليه وسلم، واتباع منهجه التشريعي والعقائدي والخلقي.

وقد ظهرت طائفتان من المتصوفة، طائفة استجابت لله تعالى، فطلبت الآخرة دون أن تتصرف عن الدنيا أو تنقطع عنها، وطائفة على عكسها زهدت في الدنيا وتعففت وانصرفت للذكر المتبوع بالحركات. وقد اندست معهم طائفة ثالثة مزيفة تظهر غير ما تبطن وهي سبب ما يوجه للتصوف من انتقادات وتوجيهات نظرا للبدع التي استحدثوها.

كما عرف التصوف تطورات وتحولات عبر الزمن، حيث بدأ سلوكا وانتهى علما ومنهجا وفلسفة في الحياة على أيدي كبار التصوف أمثال ابن عربي، فصار علما للأخلاق الدينية، يهدف إلى رقي النفس الإنسانية حتى تبلغ كمالها ولتفنى في الحقيقة المطلقة، أول درجاته مجاهدة النفس والتدرج في مراحل الأحوال والمقامات، وآخرها المعرفة بالله، وهي غاية السالك ومن ثمة الإيمان بوحدة الله.

وأما فيما يخص اشتقاق الكلمة واصطلاحها، فقد اختلفت آراء الدارسين حولها فقيل أن التصوف كلمة مشتقة من أهل الصفة الذين عزفوا عن الدنيا وآثروا العيش مع القرآن الكريم، وهم المقيمون العاكفون بالمسجد لزهدهم في الحياة والناس. وقيل: أنها كلمة مشتقة من (الصوف) الذي كانوا يلبسونه لخشونته مجاهدة للنفس وعزوفا عن متع الحياة.[1]

ورأى الطوسي أن الصوفية تنسب إلى لباس الصوف كما ينسب الزهد إلى الزهاد، وهو دأب الأولياء والصالحين والأصفياء والأنبياء والصديقين والمساكين والمتنسكين.[2]

---

[1]– ينظر: إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1406هـ، 1986م، ص:19 وما بعدها.

[2]– السراج الطوسي: اللمع في التصوف، تح عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1380هـ، 1960م، ص:40، 41.

التصوف اصطلاحا:

التصوف علم من العلوم الإسلامية، وهو تصفية القلب وتطهيره ليخلص لعبادة الله عز وجلّ، وتحرير للجسد من عبودية الدنيا ليتأمل في حقيقة الله تعالى. ورغم ما أصابه من ظلم ونقد وتزييف تسبب فيه المتطفلون عليه من المشعوذين والمنحرفين، فأصبح مظهرا من مظاهر الانحلال والسحر والخرافة، والضعف والاستسلام والبطالة، فإن رجاله الحقيقيين ردوا له اعتباره بدفاعهم عنه سلوكا ومنهجا وعلما.

والتصوف طريقة وحالة نفسية ورياضة، فالطريقة هي رياضة النفس ومجاهدتها وقمع لذّاتها ومحاسبتها، فأما الحالة النفسية، فهي التي يسميها أهل التصوف: حالة الجذب أو الإشراق، وأما الغاية، فهي الحق أي الله تعالى، ومن يسعى إليها يسمى سائحا أو مسافرا، والحياة الروحية عندهم سفر، تبدأ بعدم الاقتناع بالإيمان التقليدي والمتوارث بالتعلم والتلقين، وتنتهي بالرغبة في معرفة الخالق معرفة ذوقية لا عقلية ولا نقلية، وتحصل بعد مراحل تسمى المقامات وهي –كما حددها الطوسي–: التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل، الوعظ.[1]

ثانيا: التصوف والشعر:

وجد المتصوفة في الشعر الوسيلة الأولى للإفصاح عن أسرارهم وتقديمها في إطار شعري، لاسيما عند التعبير عن حبهم لله تعالى، متخذين في سبيل ذلك لغة خاصة قوامها الرمز حتى تستعصي معانيهم على غيرهم. قال إبراهيم محمد منصور : <<ولقد خلّف الصوفية المسلمون تراثا عظيما تميز بثراء الخيال والرمز، وتنوع الموضوعات بين تصوير للتجربة في الطريق الصوفي وتعبير عن الحب الإلهي، وشرح للفلسفة الصوفية بعامة>>.[2]

وقد اشتهر الشعر الصوفي بنزعته الغزلية والخمرية، والسبب في ذلك هو كتمان أمورهم عن عامة الناس وعن الفقهاء، لذلك جاءت مواضيعهم في أسلوب رمزي عبّر عن رياضتهم الصوفية، فجاءت لغتهم لغة المجاز والرمز.

وقد صنف الشعر الصوفي إلى ثلاثة أبواب هي: الحنين إلى الديار، شعر المرأة، وشعر الخمر.

---

[1]– المصدر السابق، ص:70، 71.

[2]– إبراهيم محمد منصور: الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، سبتمبر 1996، ص:27.

1/ الخمر الصوفي:

وممن أكثروا من نعت الخمر الصوفي ابن الفارض، ويعتبر موجد الرمزية في الشعر الصوفي ومن قوله فيه:[1]

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن تخلق الكرم

لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال ولم يبدو وإذا طلعت نجم

ولولا شذاها ما اهتديت لجانها ولولا سناها تصورها الوهم

يقولون لي: صفها فأنت بوصفها خبير، أجل عندي بأوصافها علم

صفاء ولا ماء، ولطف ولا هواء ونور ولا نار، وروح ولا جسم

2/ الحب الإلهي:

ويعدّ هذا الموضوع رئيسيا في الشعر الصوفي، فالمحبة عند الصوفية هي العلاقة الكبرى في الطريق إلى الله، وهي <<تفريغ القلب من التعلق بشيء سوى محبة الخالق عز وجل، والقيام بواجب محبته من عبادة وزهد وتقرب بفضائل الأعمال، والشوق إلى لقاء الله والوحشة من الدنيا>>.[2]

ولا يكاد يخلو من هذا الموضوع شعر المتصوفة، فقد تغنت به رابعة العدوية، وذو النون المصري (ت245هـ)، ويحي بن معاذ الرازي (ت258هـ)، وابن الفارض وجلال الدين ابن الرومي، ولكن ما يوجه من انتقادات لهذا الموضوع هو مغالاة بعضهم عند تناول الموضوع بحيث لا يجد القارئ لأشعارهم مبررا لما فيها من حسية واضحة، فصحيح أن الحب مكون أساسي في الخطاب الصوفي لأن أصحابه لجأوا إلى قناع المرأة قاصدين بها الذات الإلهية أو الحقيقة المحمدية، حيث تنزاح الدلالة من شكلها الظاهري لتفتح مجال القراءة والتأويل، لكن المغالاة في التعبير جعلت هذا اللون من المعاني عندهم متهم.

ومن المواضيع المرتبطة به موضوع الحنين، قال ابن الفارض:[3]

عيون الحيا جودي لتربة يثرب بدمع هتون ودقه متصوّب

عودي بطيب من سلامي طيبه نسيم الصبا النجدي يا خير طيّبِ

---

[1]– ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، ص:142.

[2]– ديوان عفيف الدين التلمساني، تح يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2008، ج 1، ص:37.

[3]– ديوان ابن الفارض، ص:111.

بلاد بها للوحي مرْباً ومربع ومنتجع الغفران عن كلّ مذنب

وقال عفيف الدين التلمساني:[1]

غرامي فيكم ما ألذّ وأطيبا وفي حبكم أهلا بسقمي ومرحبا

وقال:[2]

على حبكم أنفقت حاصل أدمعي وغير ولاكم عبدكم ما تكسبا

وحاشاكم أن تُبعِدوا عن جنابكم حليف هوىً بالروح فيكم تقرّبا

وأن تهجروا من واصل السهد جفنه وهذّب فيكم عشقه فتهذّبا

ثالثا: نماذج وأعلام من شعر التصوف:

رابعة العدوية: هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية القيسية، ولدت بالبصرة، وتوفيت سنة (185هـ)، أقبلت على الزهد والعبادة وكتب عنها مؤرخون كثر في الشرق والغرب.[3] **ومن** أشهر ما قالت في موضوع الحب الإلهي:[4]

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك الحجب لي حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

قولها:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

---

[1]– ديوان عفيف الدين التلمساني، ص:119.

[2]– المصدر نفسه، ص:120.

[3]– ينظر: عبد المنعم الحفني: رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ، 1991م، ط2، 1416هـ، 1996م، ص:13 وما بعدها.

[4]– محمد عبد المنعم خفاجي: التصوف في الإسلام وأعلامه، درا الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص:24.

وقولها:[1]

راحي يا إخوتي في خلوتي وحبيب دائما في حضرتي

حيثما كنت أشاهد حسنه فهو محرابي إليه قبلتي

يا طبيب القلب يا كلّ المنى نشأتي منك وأيضا نشوتي

قد هجرت الخلق جمعا أرتجي منك وصلا فهو أقصى منيتي

عموما، شاع في شعرها معاني الخوف والشوق والحزن والتواضع

ابن الفارض: هو أبو حفص عمر بن علي المعروف بابن الفارض، أصل آبائه من حماه، ولد بالقاهرة سنة (579هـ)، تفقه في الدين واللغة والأدب، قصد مكة المكرمة وبها مكث زمنا طويلا، ثم رجع إلى مصر وبها توفي سنة (632هـ)، ودفن بالمقطم.[2]

كان جميل الهيئة حسن المظهر شديد الورع ظاهر التدين. موضوع ديوانه الغزل، وله فيه حديث عن الخمر الذي وظفه لرموز دينية صوفية على عادة أهل التصوف. ومن شعره في الحب الإلهي قوله:[3]

لا تلم صبوتي فمن حبّ يصبو إنما يرحم المحبّ المحبّ

كيف لا يوقد النسيم غرامي وله في خيام ليلى مهبّ

ما اعتذاري إذا خبت لي نار وحبيبي أنواره ليس تخبو

هذه الحلة التي حلّ فيها عقد صبري وحلّها لي حبّ

ابن عربي: هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي محي الدين بن عربي من مواليد الأندلس، ولد في عام (560هـ/ 1165م) في يوم الأثنين السابع عشر من شهر رمضان بمرسية في أسرة نبيلة غنية وافرة الحظ، تلقى تربيته الدينية والأدبية بإشبيلية التي سافر إليها وهو ابن الثماني سنوات، وحصل بفضل اجتهاده على درجة كاتب في حكومة إشبيلية. دخل الحياة السياسية سنة (580هـ/ 1184م)، وكان لوفاة والده، وهو في الحادية والعشرين من العمر، أثر كبير على نفسه وزهده، إذ زهد زهدا شديدا، فكان يسلك من الرياضات أصعبها وأشدها على الجسم والنفس،

---

[1]– المرجع السابق، ص:23.

[2]– ديوان ابن الفارض، ص:5 وما بعدها.

[3]– المرجع نفسه، ص:83.

ويكثر من السياحات ما انعكس على صحته، كما عرف بكثرة التأليف وقد صرح هو نفسه أنه كتب نحو (289) كتابا ورسالة في مذكرة وضعها عن نفسه عام (632هـ).

قرأ التصوف على أيدي علماء أجلاّء منهم: موسى بن عمران الميرتلي، ويوسف الكومي، وأبو عبد الله بن المجاهد، وأبو عبد الله بن فيسوم. اعتزل وخلا إلى المقابر وتنقل بين المشرق والمغرب، فحقق بذلك <<شهرة عريضة في الأندلس وشمالي إفريقيا حيث قضى شطرا كبيرا من حياته متنقلا في مقابلات متواصلة مع المتصوفة ومناظرات مع مختلف الجماعات والمذاهب والنحل. وقصده الكثير من التلامذة والشيوخ بقصد الاتصال به، والإفادة من أفكاره>>[1]. توفي بدمشق في ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شعر ربيع الآخر عام (638هـ) الموافق لـ: السادس عشر نوفمبر عام (1240م). وله من الآثار الكثير منها[2]:

الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية: وفيه وصف للظواهر الخارقة التي عاناها في حياته مفسرا إياها على أنها من آثار الاتحاد الصوفي، وهو كتاب ضخم شامل لكل مؤلفاته، كتبه وهو بمكة المكرمة.

فصوص الحكم: عرض فيه أغرب نظرياته في وحدة الوجود على هيئة إلهامات، ذكر أنه ألفه بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم لما تراءى له بالمنام.

ديوان ترجمان الأشواق: ذو طابع غزلي، وفيه يحدثنا أنه ولع بحب فتاة حجازية هي ابنة الشيخ مكين الدين أبي شجاع زاهر الأصفهاني، وهي في الرابعة عشرة من العمر وكانت آية في الجمال وتكنى بعين الشمس، ومن خلالها عرف جمال الخالق لذلك تحدث عن الحب الإلهي.

وله أيضا عدد مشهور من التلامذة منهم: صدر الدين القونوي (ت 673 هـ)، شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي مؤلف كتاب (عوارف العوارف) (ت 632 هـ)، أبو العباس الحرار، أبو عبد الله زكريا بن محمود القاضي المعروف بـ: القزويني صاحب كتاب (عجائب المخلوقات)، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي الجوزي الحافظ ...إلخ.

---

[1]– ابن عربي: رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، شرح قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998، ص:14.

[2]– ابن عربي: الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، لبنان، ج2، ص:559. رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، ص: 13 وما بعدها.

من شعره الصوفي قوله (من الطويل):[1]

أيا مهجتي قلبي بذكراك يثمل ونفسي بأنفاس المحبين تجزل

ولي سكرة من خمرة الموصل تعزل ولاة تقاة النفس حين تعطلوا

لكل رقيب منك في القلب منزل وكل جميل منك حال منزّل

وأنت بقلبي دائما كيف ترحل ولو سرت من قلبي فقل أين تنزل

خاتمة:

تمكن كل من شعر الزهد وشعر التصوف من تصوير جانب آخر من جوانب الحياة العربية في الع منذ العصر العباسي بحيث ظهرا كردة فعل عن الحياة الصاخبة التي تحررت من كل قيد فظهر تيار المجون في الحياة وفي الشعر، لذلك يمكن عدهما من الشعر الملتزم.

[1]– رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، ص:343، 344.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب داود سلوم، ط1، 2004.

3-ابن منظور: لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، م 6.

4- محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة.

5- أحمد ابن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 19991م.

6- جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2010، م 1.

7- محمود لطفي نايف عبد الله: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، دراسة موازنة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، إشراف أ. د/ وائل ابو صالح، 19/ 01/ 2009.

8- محمد بن أبي بكر الرازي: معجم الصحاح، ضبط مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

9- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.

10- زهرا سعيدي: دراسة حول حقيقة زهديات أبي العتاهية، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد الثامن.

11- الجاحظ: البيان والتبيين، ج3.

12- عبد الله بن حامد الحامد: شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، كلية اللغة العربية بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1391هـ، 1971م.

13- عبد الله عبد الرحمان الجعيثن: شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول، بحث مقدم لنيل الدرجة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض، إشراف الدكتور عبد الرحمان رأفت الباشا، كلية اللغة العربية بالرياض، المملكة العربية السعودية، ج.3

14- إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1406هـ، 1986م، ص: 19 وما بعدها.

15- السراج الطوسي: اللمع في التصوف، تح عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1380هـ، 1960م.

16- إبراهيم محمد منصور: الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، سبتمبر 1996.

17-ديوان عفيف الدين التلمساني، تح يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2008، ج 1.

18- عبد المنعم الحفني: رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ، 1991م، ط2، 1416هـ، 1996م.

19- محمد عبد المنعم خفاجي: التصوف في الإسلام وأعلامه، درا الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.

20- ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، لبنان.

21- ابن عربي: رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، شرح قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998 .

22- ابن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، لبنان، ج2.

نموذج للتطبيق:

حلل قول ابن عربي الآتي مستنطقا ما به من علامات شعر التصوف:[1]

أيا مهجتي قلبي بذكراك يثمل ونفسي بأنفاس المحبين تجزل

ولي سكرة من خمرة الموصل تعزل ولاة تقاة النفس حين تعطلوا

لكل رقيب منك في القلب منزل وكل جميل منك حال منزّل

وأنت بقلبي دائما كيف ترحل ولو سرت من قلبي فقل أين تنزل

مكانك قلبي حيث أنت تنزل وكونك في قلبي مكان ممثل

فلا منك لي حدّ ولا منك مبدل ولا لك غيري قابل وهو مقبل

فلا منك لي حد ولا بك مبدل ولا لك غيري قابل وهو مقبل

رحلت بقلبي وهو حال محول وخولته ملك القبول ليقبل

فيقبل قلبي منك ما ليس يقبل وتقبل منه ما الذي كنت تفعل

لأي حساب قلبي منك يُفصل وهل هو فيما ليس تعمل يعمل

له زجل في الذكر والذكر يزجل بما فيه من حسن القبول ويعجل

وأرض الهوى من ماء ذكرك تحفل وتمتد في أطرافها ثم تخجل

وبدر الدجى من نور وجهك يخجل وعبدك من إشراق نورك يخطل

وسر سماء المحو بالسر يهطل على الخلق بالحق الذي هو يشمل

فاين المحبون الذين تجملوا شمائل أنفاس الحبيب ويعقلوا

برود خمود والجمود المُحمَل وجود نفود والسجود المبجل

[1]– رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، ص:343، 344.

المحاضرة التاسعة: شعر الحماسة

مخطط المحاضرة:

أولا: مفهوم شعر الحماسة

ثانيا: معاني وموضوعات شعر الحماسة

ثالثا: تدوين وجمع شعر الحماسة

أولا: مفهوم شعر الحماسة:

الحماسة لغة:

جاء في المعاجم: رجل أحمس شجاع، والأحمس: الشديد الصلب في الدين والقتال. وعام أحمس وسنة حمساء أي شديدة. ونجدة حمساء: شجاعة. والحماسة: المنع والمحاربة. والتحمس: التشدد. ويقال لقريش: حمس لشجاعتهم.[1] وفي الشعر تعني التغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال، ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدد وسلاح ودماء وجرحى وقتلى.

شعر الحماسة:

موضوع الحماسة من الموضوعات الواصفة لحياة القبائل العربية وأيامها ومعاركها، وما يتبعها أو يسبقها من أحداث وهي مدار معانيهم. ونظرا لطابع الحياة العربية في شبه الجزيرة، فقد كانت في طليعة الفنون الشعرية التي انتشرت بين الجاهليين وأقربها إلى نفوسهم، فلا تكاد تخلو منها قصيدة لهم وخاصة المعلقات وشعر الصعاليك والشعر الذي نظم أيام المعارك الجاهلية. فللعرب فيها أمثلة كثيرة واهتمام شديد لاتصال حياتهم بالحروب والنزاعات في الجاهلية، كما عرفت في العصر الأموي بسبب الصراع الذي نشأ بين معاوية وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال يحي الجبوري: <<وحين قامت الحرب بين علي ومعاوية، كان الشعر من أسلحة الحرب، تهاجى به الفريقان المتقاتلان، وأثار الشعراء همم الجنود، وجادلوا فيه خصومهم، وإن القبائل المتحاربة كانت تجد في إحياء تراثها من الشعر الجاهلي

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ترتيب عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، 1424هـ، باب الحاء، ص:356. ابن منظور: لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، مج 3، ص:323– 324. محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة، ص:118.

ترويه وتذيعه، لأن فيه محامد القبيلة وأمجاد آبائها، كما أنها كانت تقف على مثالب خصومها وما قيل فيهم من هجاء في الجاهلية والإسلام.>>[1]

ومن أنواع شعر الحماسة لون يسمى: المنصفات، وهو مجمل القصائد التي يذكر فيها الشاعر بإنصاف شجاعة الخصم وقوته وصبره وبلائه، لذلك عرف هذا الشعر بشعر الإنصاف، جاء في الخزانة قول صاحبها: <<وللعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء وفيما وصفوه من أحوالهم في أمحاض الإخاء قد سموها المنصفات>>.[2]

وذكر الجاحظ أن رواية أشعار هؤلاء كانت من شروط الرواية الصحيحة قائلا: <<وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين، ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب، والأرجاز الأعرابية القصار، وأشعار اللهو، والأشعار المنصفة، فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة.>>[3]

وممن عرف بذلك من الجاهليين: عنترة ابن شداد، وطفيل الغنوي، والمفضل البكري، وعبد الشارق بن عبد العزي، وخداش بن زهير العامري.[4]

وقد جمعها عبد المعين الملوحي في كتاب أسماه (شعر الإنصاف) طبع بدمشق سنة 1967. وكنموذج عن هذا اللون من الحماسة قول عبد الشارق بن عبد العزي الجهني:[5]

فأرسلنا أبا عمرو رئيبا فقال ألا انعموا بالقوم عينا

ودسوا فارسا منهم عيشاء فلم نغدر بفارسهم لدينا

فجاءوا عارضا بردا وجئنا كمثل السيف نركب وازعينا

إلى أن يقول:

فلما لم ندع قوسا وسهما مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تلألؤ مزنة برقت لأخرى إذا حجلوا بأسياف ردينا

---

[1]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص:142.

[2]– عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1418ه، 1997م، م 3، ص:517.

[3]– الجاحظ: البيان والتبيين، م 4، ص:23.

[4]– يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص:307.

[5]– المرجع نفسه، ص:307، 308.

شددنا شدة فقتلت منهم ثلاثة فتية وقتلت قينا

وشدوا شدة أخرى فجروا بأرجل مثلهم ورموا جُويْنا

والقصيدة وصف لمعركة قوية بين خصمين على درجة واحدة من القوة والشجاعة والشاعر قدم ذلك من غير انحياز.

أما دواعيها عند العربي فأبرزها: رغبة العربي في التأكيد على قوته وشجاعته حتى يصرف أنظار الأعداء عنه خاصة في العصر الجاهلي، فالتغني بالشجاعة يجعله وقبيلته بعيدين عن أنظار الطامعين فيحقق لنفسه ولقبيلته الهدوء والاستقرار.

ولمّا جاء الإسلام، ترسّم العرب مثلا عليا مختلفة في التشريع، وتوجهوا إلى سبل مغايرة في الحياة، ومعاني جديدة للبطولة، إذ صارت لها بواعث غير بواعث السلب والنهب والإغارة، وإنما في سبيل نشر الدين كما تشهد عليه أشعار المجاهدين في المعارك، <<فالحماسة الإسلامية هادفة تريد خدمة الدين الحنيف الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ومن هنا ترى أن الإسلام صحح مسيرة الحماسة وجعلها في سبيل الله>>.[1]

وبحلول العصر العباسي صار للحماسة حضور قوي إذ اقترنت بأسماء شاعرين من كبار شعراء العرب: أبو تمام والمتنبي الذين عاصرا فترة الصراع العربي الروماني، والمعارك التي قادها سيف الدولة الحمداني. ومن نماذجه قول المتنبي مفتخرا بما حققه بطله من انتصار مذكرا بشجاعته:[2]

وقفت وما في الموت شكّ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب وصار إلى اللبات والنصر قادم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

[1]– السيد عبد الحليم محمد حسين: الفخر والحماسة في الشعر العربي، 27/ 02/ 2012 م– 4/ 4/ 1433 هـ، عن شبكة الألوكة www.alukah.netK، تاريخ الزيارة وزمنها: يوم: 8/ 8/ 2017، 47. 16 سا.

[2]– ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م، ص:387.

وقول أبي تمام في فتح عمورية:[1]

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى يشله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها، أو كأن الشمس لم تغب

ثانيا: معاني وموضوعات شعر الحماسة: من المعاني التي تتردد فيها:

1/ سبي النساء: حيث يقوم الشاعر بالفخر بسبي نساء العدو أو بتحرير نسائهم من السبي لمكانة المرأة في المجتمع العربي ومن ذلك قول طفيل الغنوي:[2]

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير مؤتلي

رددنا السبايا من نفيل وجعفر وهنّ حبالى من مخفّ ومثقل

كما قد يأتي الحديث عن المرأة كطرف في المعركة إذ تشارك فيها مشجعة أو محرضة كقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي متحدثا عن نساء قومه:[3]

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدّا
وبدت لمس كأنها بدر السماء إذا تبدّى
وبدت محاسنها التي تخفي وكان الأمر جدّا
نازلت كبشهم ولم أر من ينازل الكبش بدّا

الفخر: ويعد من أكثر المواضيع قربا من الحماسة، ومنه قول عمرو بن كلثوم:[4]

نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسمر من قنى الخط لُدْن ذوابل أو ببيض يعتلينا
نشقّ بها رؤوس العدو شقّا ونخْليها الراقب فيختلينا

---

[1]– ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص:35، 36.

[2]– ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تح حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص:92.

[3]– يحي الجبوري: المرجع نفسه، ص:297.

[4]– أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح المعلقات العشر، ص:229. **غشينا:** أي دنا بعضنا من بعض. **السمر** من الرماح أجودها. **لدن:** لينة. **ذوابل:** فيها بعض اليبس.

ويتم الفخر بوصف المعارك والجيوش، فيكثر الشاعر من ذلك تأكيدا على شجاعته أو شجاعة الجماعة التي ينتمي إليها، ودليل ذلك كثير في معلقات الجاهليين خاصة معلقة عنترة، ومثال ذلك قوله:[1]

ومدجَّجٍ كره الكُماة نزالَه لا ممعن هربًا ولا مستسلم

جادت يداي له بعاجل طعنة بمثقّف صدق الكُعوب مقوّم

فشككت بالرمح الأصمّ ثيابَه ليس الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

وغيرها من النماذج التي نجدها في شعر الصعاليك، وشعر الفتوحات الإسلامية وأبي تمام والمتنبي ...إلخ.

ثالثا: تدوين وجمع شعر الحماسة:

لقد اهتم بجمع أشعار الحماسة في مؤلفات نقاد وشعراء ومما ألف فيها:

1/ حماسة أبي تمام: صاحبها من أشهر شعراء العرب في العصر العباسي، وهو حبيب بن أوس الطائي، عرف برواية الأدب وبملازمة العلماء، فتعددت جوانب ثقافته بين عربية ويونانية وفارسية، وقد انعكس ذلك على حماسته.[2] وأغلب الظن أنه سار على عادة العرب في تسمية الكل بالجزء، فالحماسة جزء من مؤلفه وباب من أبوابه.

وقد تميز جمعه بما يلي:

1/ اعتماده على الذوق في الاختيار، فقلما يثبت قصيدة كاملة، بل يختار معظمها أو اقلها محتكما فب ذلك إلى ذوقه الشخصي.

2/ أباح لنفسه التصرف أحيانا في الشعر، كأن يستبدل لفظا بآخر، أو عبارة بأخرى.

3/ والمميز في حماسة أبي تمام جمعه المختارات الشعرية في عشرة أبواب هي: باب الحماسة، باب المراثي، الأدب، النسيب، الهجاء، الأضياف والمديح، الصفات، السير والنعاس، الملح، مذمة النساء.

---

[1]– المصدر السابق، ص:201، 220. **المدجج:** الذي توارى بالسلاح. جادت يداي: أي سبقته بالطعن. **المثقف:** المصلح المقوم. **الكعوب:** عقد الأنابيب **الصدق:** الصلب. **شككته:** شققته.

[2]– أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح الخطيب التبريزي، كتب حواشيه وفهارسه غريد الشيخ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1461هـ، 2000م، ج1، ص: 3 وما بعدها. عبد الرحيم عسيلان: حماسة أبي تمام وشروحها، دار إحياء الكتب العلمية، ص: 8 وما بعدها.

ويدعم هذا التقسيم ذوق أبي تمام فكان <<أقرب إلى حال الشعر العربي، ولا غرو في ذلك فأبو تمام شاعر في طليعة شعراء المعاني، وقد غدا في كتابه رائد من ألفوا وصنفوا في المختارات على حسب المعاني الشعرية>>.[1]

ويبلغ مجموع هذه الحماسات ثمان مئة وواحد وثمانون حماسة.[2]

وقد لاقى عمله استحسانا كبيرا يظهر في الشروحات والمؤلفات التي دارت عليها منها ما كتبه كل من التبريزي والعسكري وأبو بكر الصولي والأعلم الشنتمري وابن سيدة والمعري والآمدي والمرزوقي.[3]

ولأبي تمام كتاب آخر أسماه (الحماسة الصغرى) وهي مجموعة شعرية أسماها صاحبها بـ (الوحشيات)، تجتمع على ما لم يعرف عند العامة خاصة من شعر المقلين أو المغمورين من الشعراء.[4]أما تبويبها فيكاد لا يختلف عن تبويب الحماسة الكبرى ما عدا أنه وضع بابا أسماه باب المشيب عوض باب (السير والنعاس).[5]

ومن نماذج حماسته في باب الحماسة قول الشاعر:[6]

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبح إبلي بنو اللّقيطة من ذُهْل بْن شَيْبانا

إذًا لقام بنصري معشرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إن ذو لُوثةٍ لانا

قوم إذا الشرّ أبدى ناجذَيْه لهم طاروا إليه زَرافاتٍ ووُحْدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال بُرهانا

2/ حماسة البحتري: ألفها أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، وتعد <<مصدرا مهما من مصادر التراث الأدبي عند العرب، بما اشتملت عليه من مادة شعرية نادرة لم تتوفر إلا فيها، وما حشد فيها من

---

[1]– عمر الدقاق: مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، منشورات كلية الآداب، جامعة حلب، ط5، 1977، ص:54.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص:55.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص:56.

[4]– المرجع نفسه، ص:56.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، ص:60.

[6]– أبو تمام، ديوان الحماسة، ص : 15– 19.

أسماء شعراء لم نعرف كثيرا منهم إلا من خلالها، وبالمنهج الذي اتبعه البحتري في الاختيار والتبويب الذي انفرد به بين أصحاب الاختيارات الشعرية.>>[1]

وهي من الكتب التي صنفت على أساس معاني الشعر فوصل عدد أبوابه مائة وأربعة وسبعين بابا، وتعدّ دليل تأثر صاحبه بحماسة أبي تمام وشهرتها واستحسانها.

وقد اقتصر فيها على الشعر القديم ماعدا مقطوعات لشعراء محدثين أمثال بشار ابن برد ومطيع بن إياس، وصالح بن عبد القدوس، ممن أدركوا العصر العباسي.[2] وتتميز بالتفصيل الشديد، غذ لم يكتف بذكر الأغراض العامة للمختارات بل ضمنها معاني تفصيلية مثل باب: فيما قيل في حمل النفس على المكروه، باب فيما قيل في الفتك، باب في ركوب الموت خشية العار، باب في ذم الفرار والتعيير به، باب في نبو السيف، باب في إغاثة الملهوف.[3] وهذا مثال من أمثلتها الكثيرة وهو قول منظور بن ربيع العامري في الفتك:[4]

ألم تعلموا أني إذا رمت فَتكةً بحسرتي لم أنظرْ به أن يباديا

وأقدم إقدام السِّنان ويُتَّقى بي الأَشْوَسُ الصّنديدُ إن كان عادياَ

وقول ضابئ بن الحارث البُرجُميُّ:[5]

هممتُ ولم أفعل وكدت وليتني فعلتُ فكان المُعْوِلاتِ حَلائلُهْ

وما القتلُ ما شاورتَ فيه ولا الذي تخَبّرُ من لاقيتَ أنك فاعلُهْ

3/ حماسة ابن الشجري: هو الشريف ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة ينتهي نسبه لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه. ولد سنة 450 للهجرة، وتوفي سنة 542 للهجرة. عرف بالنحو واللغة والأدب[6].

---

[1]– أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري: الحماسة، تح محمد إبراهيم حُوِّر أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، 1428هـ، 2007م، ص: 5.

[2]– المصدر نفسه، ص : 7.

[3]– عمر الدقاق: مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ص:62– 64.

[4]– البحتري : الحماسة، ص: 45.

[5]– المصدر نفسه، ص : 46.

[6]– ابن الشجري هبة الله بن علي بن حمزة العلوي: الحماسة الشجرية، تح عبد المعين الملوحي أسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص: أ وما بعدها.

لا تختلف حماسته عن حماسات غيره من حيث اعتماده في تبويبها على الأغراض الشعرية من حماسة ومراثي وهجاء ومديح ونسيب، فكانت أبوابه كالآتي: باب الشدة والشجاعة، باب اللوم والعتاب، باب المراثي، باب المديح، باب الهجاء، باب الأدب، باب النسيب، باب الصفات والتشبيهات، باب المدح. ولكنها تختلف عنها في اعتماد مؤلفها على معاني الشعر وموضوعاته: الطيف والخيال ووصف النار والليل والنجوم والشيب. كما تتميز باحتفال صاحبها بالشعر المحدث وبشعر المولدين أمثال: بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام والبحتري وابن الرومي ودعبل وابن المعتز وأبي دلامة ودبك الجن وعلي ابن الجهم والصنوبري، وأفرد لهم باب أسماه (مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين).

من نماذجها قول محرز بن المكعبر الضبي من ولد بكر بن ربيعة بن كعب:[1]

ألا أيها المُهديّ إليّ وعيدَه أفق فاقلّ الحرب ضُرّاً وعيدُها

وإنّا لتصطاد الكُماةَ رماحثنا إذا سابقاتُ الخيلِ زلّتْ لُبودُها

إذا جئتَ سعدًا والرِّبابَ وجدتني تَتَمَّرُ حولي في المحلّ أسودُها

وإنْ تلتمِسْني في فَزارَةَ تلقني عزيزاً إذا ما الحربُ شُبَّ وقودُها

4/ الحماسة البصرية: ظهرت هذه الحماسة حوالي منتصف القرن السابع الهجري، صنفها صدر الدين ابن أبي الفرج البصري، مصادره هي حماسات أبي تمام والبحتري والخالديين وابن الشجري وجمع فيها بين القديم والحديث صنفها على حسب الأغراض منها باب الحماسة وهو أول أبوابها ثم المديح والتقريظ والتأبين والزهد وتضم نحو ستة آلاف بيت لحوالي خمس مئة شاعر قدم لها بمقدمة موجزة.[2]

5/ الحماسة المغربية: مؤلفها أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراويّ التّادليّ وعنوانها "مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب"، وهو شاعر أديب من أهل عدوة المغرب، توفي سنة 609هـ، نسبة إلى جرّاوة من قبائل زناتة اشتهر بالأندلس وبالضبط بإشبيلية حيث كانت وفاته، امتلك المقدرة على النفاذ في الحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية. وضع كتابه تلبية لطلب من الموحدي أبي يوسف يعقوب. وقد أظهر فيه قدرته على الحفظ والتدقيق، فقد انتقى الكثير من قصائد الشعراء بعناية فائقة كأنها قطعة

[1]– المصدر السابق، ص : 4.

[2]– ينظر: عمر الدقاق: مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ص:70، 71.

جديدة أو قصيدة مستقلة، إضافة إلى تنوع مادتها وهذا سبب إعجاب الدارسين والمؤرخين بها رغم ما ألف في الحماسة قبلها.[1]

يعد الكتاب من جملة كتب الاختيارات الشعرية التي نهضت بمهمة الحفاظ على الموروث الشعري، وأبوابه هي: المدح، وهو في قسمين قسم منه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني: سائر المدح. الفخر، المراثي، النسيب، الأوصاف، الأمثال والحكم، المُلَح، ذم النقائض، والزهد والموعظ.

استقر الكاتب على أن يلتزم الترتيب الزمني في اختيارات أبوابه، وأن يبدأها بشعراء المشرق ثم شعراء المغرب والأندلس. ومما جاء فيه من أشعار قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:[2]

ألم تر أنّ الله ابلى رسوله بلاء عزيز ذي اقتدارٍ وذي فضلِ

بما أنزل الكفّار دار مذلة فلاقوا هوانا من إسارٍ ومن قتْلِ

فأمسى رسول الله قد عزّ نصره وكان رسول الله أرسل بالعدل

وأمكن منهم يوم بدر رسوله وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل

وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الرسول صلى الله عليه وسلم:[3]

ألم تر أن الله اظهر دينه على كلّ دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكّةَ بعدما تداعوا إلى أمرٍ من الغيّ فاسدِ

غداة أجال الخيلَ في عرصاتها مسوَّمةً بين الزبير وخالد

فأمسى رسولُ الله قد عزّ نصرُه وأمسى عِداه: من قتيلٍ وشاردِ

وقول يوسف بن هارون الرَّمادي من وشاحي الأندلس:[4]

وقد أغتدي والصبح في توريسه تقضي العيون له بوجه عليلِ

---

[1]– أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراوزي التادلي: الحماسة المغربية، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1411هـ، 1991م، ص : 7 وما بعدها.

[2]– المصدر نفسه، ص : 41.

[3]– المصدر نفسه، ص : 42.

[4]– المصدر نفسه، ص : 1152، 1153.

بأقبَّ لون الآبنوس مفضَّضِ في غُرّةٍ منه وفي تحجيلِ

يُزهى بتجلية اللّجام كما زها ملكٌ مُحَلّى الرّاس بالإكليل

مستغرقٌ لصفات زيد الخيل والـــ ـــغَنويّ والمُزَنيّ والضَّليل

يعلو ويخفض في الصّهيل كانما هو مُفرَدٌ لَحناً لكلّ صهيلِ

خاتمة:

يتضح أن شعر الحماسة –كغيره من أغراض الشعر العربي– لا يبخل بالمعلومات التي تقدم صورة واضحة عن الحياة في شبه الجزيرة العربية بكل صراعاتها ونشاطها، ففيه نقرأ جزءا لا يستهان به من تاريخ العرب بفضل ما جاء فيه من أخبار عن معارك وأيام وحروب دار رحاها بين العرب وبين العرب وغيرهم لذلك كان محط اهتمام عندهم إبداعا وتدوينا ورواية ونقدا.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ترتيب عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، 1424هـ، باب الحاء، ص: 356.

2- ابن منظور: لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

3- محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح للغة،

4- يحي الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه.

5- عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1418هـ، 1997م.

6- الجاحظ: البيان والتبيين، م 4.

7- السيد عبد الحليم محمد حسين: الفخر والحماسة في الشعر العربي، 27/ 02/ 2012 م- 4/ 4/ 1433 هـ، عن شبكة الألوكة www.alukah.netK، تاريخ الزيارة وزمنها: يوم: 8/ 8/ 2017، 47. 16 سا.

8- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م.

9- ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

10- ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تح حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

11- عمر الدقاق: مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، منشورات كلية الآداب، جامعة حلب، ط5، 1977.

12- أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراوزي التادلي: الحماسة المغربية، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1411هـ، 1991م.

13- أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري: الحماسة، تح محمد إبراهيم حُوِّر أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، 1428هـ، 2007م.

14- حماسة أبي تمام وشروحها، عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار إحياء الكتب العلمية.

15- أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح الخطيب التبريزي، ، كتب حواشيه وفهارسه غريد الشيخ أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م، ج1.

نص التطبيق:

قدم قراءة تحليلية للنص الآتي من شعر الحماسة قال أبو تمام في فتح عمورية:[1]

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حدهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصَّفائحِ لاَ سودُ الصَّحائفِ في مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّك والريَبِ

والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَة بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

أَيْنَ الروايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ

تخرُّصاً وأحاديثاً ملفَّقة لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولاغَرَبِ

عجائباً زعموا الأَيَّامَ مُجْفلة عَنْهُنَّ في صَفَرِ الأَصْفَار أَوْ رَجَبِ

وخَوَّفُوا الناسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَة إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذَّنبِ

وصيَّروا الأبرجَ العُلْيا مُرتَّبة مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غيْرَ مُنْقَلِبِ

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ما دار في فلك منها وفي قُطُبِ

لو بيَّنت قطّ أمراً قبل موقعه لم تُخْفِ ماحلَّ بالأوثان والصلُبِ

فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ نَظْمٌ مِن الشعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السَّماءِ لهُ وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّوريَّةَ انْصَرَفَتْ منكَ المُنى حُفَّلاً معسولة الحلبِ

أبقيْتَ جدَّ بني الإسلامِ في صعدٍ والمُشْرِكينَ ودَارَ الشرْكِ في صَبَبِ

[1]– ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ج1، ص:35، 36.

المحاضرة العاشرة: الشعر السياسي في المشرق والمغرب:

مخطط المحاضرة:

أولا: الشعر السياسي في المشرق

ثانيا: شعر السجون

ثالثا: الشعر السياسي في المغرب والأندلس

رابعا: مميزات الغرض الموضوعية والفنية:

أولا: الشعر السياسي في المشرق:

دفعت هذا اللون الشعري للظهور أسباب كثيرة أبرزها النشاط الحزبي الملحوظ الذي حركته الأحزاب والجدل الذي لازمها وكذا ظهور مجموعة من الفرق والطوائف التي تنوعت بين دينية ومذهبية وسياسية وعرقية، وبين هذا وذاك وقف الشعراء مناصرين مشجعين أوهاجين منكرين، إذ كان لابد للشعر أن يعبر عن هذه الوضعية من الحياة وانعكاساتها على المجتمع، كما كان الساسة بحاجة للشعراء كي ينصروهم ويجمعوا حولهم الأنصار ويدعوا إليهم شعرا، علما أن الغرض ظهر في الشعر قبل أن يكون تشجيعا من الحكام بوصفه ردّة فعل من الشعراء على الأوضاع، وترجمة لمواقفهم من كل تغير أو اضطراب يظهر على الساحة السياسية، من ذلك الأشعار التي ظهرت زمن الصحابة رضي الله عنهم مصاحبة لما ظهر من انشقاق بين المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، كالفتنة التي ظهرت زمن الخليفة أبي بكر الصديق عند اختياره خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم، ومما قيل فيها شعر للنعمان بن العجلان الأنصاري مشيدا بأخلاق الخليفة الصديق وبمكانته عند الرسول صلى الله عليه وسلم:[1]

وقلتم حرام نصْبُ سعد ونصْبُكم عتيق بني عثمان حِلّ أبي بكر

وكان هوانا في عليّ وإنه لأهل لها من حيث ندري ولا ندري

نجيّ رسول الله في الغار وحده وصاحبه الصديق في سالف الأمر

فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها ولكن لهذا الخير أجمعُ للصبر

ولم نرض إلا بالرضا ولربما ضربنا بأيدينا لأسفل القدر

[1]– عبد الله بن حامد الحامد: شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، إشراف الدكتور عبد الرحمان رأفت الباشا، موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، 1391 هـ، 1971 م، ج 1، ص:474.

ولما قتل عثمان بن عفان قال الشاعر أيمن بن خزيم الأسدي:[1]

تفقد الذابحون عثمان ضاحية أيّ قتيلٍ حرامٍ ذُبِّحوا ذبَحوا

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ولم يخشوا على مطمح الكف الذي طمحوا

ماذا أرادوا ضلّ الله سعيهم من سفك دم ذاك الزاكي الذي سفحوا؟

إن الذين تولّوا قتله سَفَهًا لاقوا أثامًا وخسرانًا فما ربحوا

وقد بدأ نشاط هذا اللون الشعري في العصر الأموي يتعاظم في ظل الصراعات التي صاحبت قيام دولتهم وانشقاق الناس بين مشجع على قيام دولة ملكية عاصمتها دمشق وبين مشجع لعودة الخلافة إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق علي بن أبي طالب وأولاده بعده، منكرا على الأمويين التسبب في قتلهم. وما لازم ذلك من فرق كالشيعة والخوارج والزبيريين.[2]، <<فالنشاط السياسي في العصر الأموي كان مقترنا بقسط وافر من الشعر السياسي، والأصل العام لهذا النشاط أن الشيعة يسعون لاسترداد الخلافة من الأمويين، والأمويون يرصدونهم هم وغيرهم من زبيريين وخوارج سرا وعلانية، وينكلون بهم أشد تنكيل وكأن الأمويين يرون في ثورة المعارضة خروجا عن نظام مستقر وحكومة شرعية، فلا يستحق الثوار إلا القمع والتنكيل حفاظا على كيان الدولة وإقرارا للأمن والنظام.>>[3]

وما أن بسط الأمويون نفوذهم على شبه الجزيرة العربية وبدأوا العمل على توريث الحكم بالقضاء على المناوئين وقادة الثورات الرافضة لهم، حتى بدأوا –من جهة موازية– في تشجيع الشعراء على مدحهم لإشاعة خصالهم بين الناس وترغيبهم فيهم، لذلك عرف المدح في عصرهم انتشارا واسعا، وكان أكثر الأغراض ارتباطا بالسلطة، فقد التف الشعراء حول الخلفاء بعد أن أشاعوا بينهم مبدأ التكسب، وجعلوهم يطمعون في الجوائز، فلم يعد همّ الشاعر الانتصار فعلا لمذهب الأمويين بقدر انتصاره للجائزة التي تضمن له التفوق على أقرانه من الشعراء أيضا، لذلك اقترن هذا اللون الشعري بالنقائض التي عرفت انتشارا غير مسبوق في هذا العصر.

---

[1]– المرجع السابق، ج 1، ص:468.

[2]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، ديسمبر 1966، ص:190.

[3]– علي خليل محمود الطل: التقية في الشعر الأموي، إشراف الدكتور عبد المؤمن حافظ الرجبي، مذكرة ماجستير، جامعة الخليل، شعبان 1426هـ، أيلول 2005م، ص:8.

ومن المواضيع التي لفتت انتباه الشعراء في دفاعهم عن أحقية البيت الأموي في الخلافة موضوع النسب، فقد تنبه الشعراء إلى هذا الموضوع إرضاء للخلفاء كما ورد في قول جرير لسليمان بن عبد الملك مذكرا بقرابتهم من النبي صلى الله عليه وسلم وبأصلهم القرشي:[1]

علوتم كل رابية وفرع وغيركم المذانب والهجول

لكم فرع تفرع كل فرع بفضل لا تعادله الفضول

تزول الراسيات بكل أفق ومجدك لا يهد ولا يزول

وقول الفرزدق في السياق ذاته:[2]

وأنت امرؤ عوّدت للمجد عادة وهل فاعل إلا بما يتعوّد

إذا ما عُدّ قوم مجدهم وبيوتهم فضلتم إذا ما أكرم الناس عددوا

يقول جميل بدوي حمد الزهيري متحدثا عن معاني الشعر السياسي: <<استعمل الشعراء الحسب والنسب كخطاب ثقافي انبثقت منه صور وأنساق ثقافية تلبست منه الشعر العربي، ويأتي ارتباط المجد مع السلطة ليقدم منظومة نسقية مكثفة عمل عليها الشعراء وهذا الخطاب يحتوي على أنساق عديدة مثل التفضيل الطبقي الذي جعله الشعراء خاصا ببني أمية، وأن لهم الشرف الرفيع والمجد التليد...>>.[3]

لكن فترة ازدهار الدولة الأموية لم تستمر رغم قضائها على المناوئين من أعدائها المطالبين بالإمامة، وبظهور أولى علامات الانقسام والأفول، بدأ الشعراء يسجلون نظما مرحلة الثورة العباسية التي توسعت إلى أن قوضت حكم الأمويين وأخرجت عاصمة الخلافة الإسلامية من الشام إلى العراق. ومن الشعراء الذين تمكنوا من تصوير حالة الفزع والاضطراب والصراع التي ميزت المجتمع العربي آنذاك، الحارث بن عبد الله الجعدي في قوله:[4]

أبيت أرعى النجوم مرتفقا إذا استقلت تجري أوائلها

من فتنة أصبحت مجلِلة قد عمّ أهل الصلاة شاملها

---

[1]– ديوان جرير، تح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م، ص:347.

[2]– ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م، ص:163.

[3]– جميل بدوي حمد الزهيري: المحمولات الثقافية في قصيدة المديح السياسية في العصر الأموي، مجلة كلية التربية، قسم اللغة العربية، واسط، العراق، العدد 13، نيسان 2013، ص:32.

[4]– فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، تر إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1934، ص:122.

من بخراسان والعراق ومن بالشام كلّ شجاه شاغلها

فالناس منهم في لون مظلمة دهماء ملتجّة غياطلها

يمسي السفيه الذي يعنّف بالــ الجهل سواء فيها وعاقلها

والشاعر عباس بن الوليد في قوله مشيرا إلى قنوط الأمويين ويأس الرعية منهم ومن استمرار حكمهم:[1]

إني أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى أو تندفع

إن البرية قد ملّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لا تلحمنّ ذئاب الناس أنفسكم غن الذئاب غذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرنّ بأيديكم بطونكم فثمّ لا حسرة تُغني ولا جزع

وبانتهاء فترة الحكم الأموي وحلول العصر الجديد، أي العصر العباسي، توسع نطاق الشعر السياسي إلى مدح الولاة والوزراء والحكام والقادة والقضاة، وتبارى الشعراء في اختيار المعاني التي تناسب كل طبقة، فتنوعت بذلك المعاني وانتعشت الأفكار كالمدح بالجود والشجاعة والنجدة والبطش والعدل والإنصاف والمساواة ولين الجانب، وعموما كلها كانت قائمة على <<مدح كل إنسان بالفضل في صناعته، والمعرفة بطريقته التي هو فيها...>>.[2]

وقد التف الشعراء في هذا العصر حول الملوك والساسة أكثر من أي عصر مضى، ومن هؤلاء بشار ابن برد وأبو دلامة وأبي العتاهية وله في مدح المهدي قوله:

فتى ما استفاد المال إلا أفاده سواه كأن الملك في كفه حلم

إذا ابتسم المهدي نادت يمينه: ألا من أتانا زائرا فله الحكم

وقد علق عليه ابن رشيق أنه افضل ما فيل في مدح الملوك.[3]

---

[1]– المرجع السابق، ص:123.

[2]– ابن رشيق: العمدة، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ج2، ص: 153.

[3]– المصدر نفسه، ص : ج2، 152.

وكانت فترة حكم هارون الرشيد أخصبها وأكثرها ازدهارا، وممن مدحه: أبو الشيص وسلم الخاسر وأبو نواس وأبو العتاهية ومسلم ابن الوليد وأشجع السلمي والسيد الحميري.[1] ومن نماذج مدحه قول منصور النميري فيه:[2]

إن المكارم والمعروف اودية أحلّك الله منها حيث تجتمع

غذا رفعت امرا فالله رافعه ومن وضعت من الأقوام متّضع

من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ومن أشهر الشعراء مدحا لحكام هذا العصر–أيضا–: أبو دلامة، وهو زند ابن الجون كوفي اسود، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. اتصل بالسفاح، ومن مدائحه للعباسيين وقد كانوا يتخذونه نديما لهم ومما قاله في المنصور:[3]

أبا مجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد

أفي دولة المهدي حاولت غدرة ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

وقوله:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا إلى السماء فأنتم سادة الناس

ومن جميل قوله في العباسيين قصيدة قالها في رثاء المنصور وتهنئة ابنه المهدي بالحكم:[4]

عينان: واحدة ترى مسرورة بإمامها جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك مرة ويسوؤها ما أبصرت ويسرها ما تعرف

وممن حمل راية التشيع للعباسيين من الشعراء مروان بن أبي حفصة: وله في مدح حكمهم:[5]

يا ابن الذي ورث النبي محمدا دون الأقارب من ذوي الأرحام

---

[1]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص:192 وما بعدها.

[2]– ابن رشيق : العمدة، ج2، ص: 156.

[3]– شوقي ضيف: المرجع نفسه، ص:296.

[4]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص:297.

[5]– المرجع نفسه، ص:300.

الحي بين بني البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام

ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الأنعام

والشاعر سلم الخاسر، وهومن موالي عشيرة أبي بكر الصديق، ولد بالبصرة وبها نشأ، ومن شعره قوله:[1]

ومهدي أمتنا والذي حماها وأدرك أوتارها

له شيمة عند بذل العطا ء لا يعرف الناس مقدارها

ومن شعراء الدعوة العباسية علي بن الجهم وله في مدح المعتصم بالله:[2]

وأنت خليفة الله المعلى على الخلفاء بالنعم العظام

وليت فلم تدع للدين ثأرا سيوفُك والمثَقَّفةُ الدوامي

ولم يقتصر الشعر السياسي على شعراء المدح وحسب طلبا للمال، ولكن كان للفرق والمذاهب نصيب منه يتقدمها الشيعة، ومن شعرائهم: دعبل، والقاسم بن يوسف وله شعر في مدح الهاشميين وفي بيان فضائل علي بن أبي طالب ورثاء الحسين، ومحمد بن وهيب، ومن شعره:[3]

أغدو إلى عصبة صُمّتْ مسامعهم عن الهدى بين زنديق ومأفون

لا يذكرون عليّا في مشاهدهم ولا بنيه بني البيض الميامين

لو يستطيعون من ذكرى أبا الحسن وفضله قطعوني بالسكاكين

ولست أترك تفضيلي له أبدا حتى الممات على رغم الملاعين

ومن شعراء الشيعة السيد الحميري ومن شعره مهنئا بني العباس بالخلافة طاعنا في الحكم الأموي مستبشرا بحكم الهاشميين:[4]

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من عهدها الدارسا

قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطبا ولا يابسا

---

[1]– المرجع السابق، ص:302.

[2]– ديوان علي ابن الجهم، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ص:9.

[3]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص:308، 309.

[4]– المرجع نفسه، ص:310.

ولست من أن تملكوها إلى مهبط عيسى فيكم آيسا

ومن شعره:[1]

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء

عليّ والثلاثة من بنيه هم أسباطه والأوصياء

فسبط سبط إيمان وحلم وسبط غيّبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

ثانيا: شعر السجون:

الكتابة في موضوع السجون معروفة منذ القدم عربيا وعالميا، ويمكن الاستدلال على ذلك بمجموعة من الأسماء والمصنفات التي وضعت في موضوع السجون.[2]

وإذا كان السجن لا يخرج في دلالته عن معاني سلب الحرية والاحتقار وتعطيل الحركة والتقييد،[3] فإن الشعر هو الآخر دار حول هذه المعاني التي ترددت في قصائد من تعرض للمحنة من الشعراء على غرار ما نظمه الحطيئة وأبو فراس الحمداني وابن زيدون وابن الخطيب والمعتمد بن عباد وغيرهم. ومنهم من ساعده السجن على التأليف، فقد وضع عبد الملك بن غصن الحجازي كتابا بعنوان: (صفة السجن والمسجون والحزين والمحزون) أودعها ألف بيت في الاستعطاف، ووضع ابن الأبار أيام نفيه إلى بجاية كتابا بعنوان: (أعتاب الكتّاب) ضمّنه شعرا لبعض المساجين وما نالهم من محن.[4]

أما ما يميز هذا اللون الشعري بالمقام الأول فهو التصوير الصادق لمحنة صاحبه، إذ يعبّر عن ضيق حال المسجونين وحزنهم لمصابهم خاصة ممن سجن منهم بعد عزّ، من ذلك قول الحطيئة لما سجنه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعد هجائه الزبرقان بن بدر بأبياته التي منها:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

---

[1]– المرجع السابق، ص:311.

[2]– جميل السلحون: أدب السجون، الموقع الالكتروني: www.m.ahewar.org بتاريخ: 16/ 11/ 2012، تاريخ الزيارة: 08/ 07/ 2017، زمنها: 21. 11.

[3]– ينظر: رضوان السائحي: شعر السجون القصيدة كمعبر للحرية المعتمد بن عباد أنموذجا، عن الموقع الالكتروني: www.alakhbar.press.ma

[4]– ينظر: صلاح الشهاوي: شعر السجون، عن الموقع الالكتروني: www.adawaanews.net بتاريخ: 3/ 4/2014 .محرك البحث: Google. تاريخ الزيارة: 1/ 6/ 2016.

إذ قال الحطيئة مستعطفا الخليفة من البسيط:[1]

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فعفا عنه واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم.[2]

وقول المعتمد بن عباد في سجنه بالمغرب لما أسره يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين معبّرا عن يأسه وتأسّفه على حال أبنائه:[3]

دعا لي بالبقاء، وكيف يهوى أسير أن يطول به البقاء

أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقيّ بها الشقاء

فمن يك من هواه لقاءُ حِبٍّ فإن هواي من حتفي اللقاء

أأرغب أن أعيش أرى بناتي عواري، قد أضرّ بها الحفاءُ

وقوله:[4]

أصبحت صفرا يديّ ممّا تجود به ما أعجب الحادث المقدور في رجب

ذلّ وفقر أزلال عزة وغنى نُعمى الليالي من البلوى على كَثَبِ

ومن قوله مصورا الآلام والجروح التي تسببت فيها القيود:[5]

تبدّلتُ من عزّ ظلِّ البنودِ بذُلّ الحديد، وثقْلِ القيودِ

وكان حديدي سؤنانًا ذَليقاً عضْبًا رقيقاً صقيلَ الحديد

---

[1]– ديوان الحطيئة شرح ابن السكيت، دراسة مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1413 هـ، 1993 م، ص:107، 108.

[2]– المصدر نفسه، ص:11.

[3]– ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، تح حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، راجعه طه حسين، ط 2، 1421 هـ، 2000م، ص:90.

[4]– المصدر نفسه، ص:92.

[5]– المصدر نفسه، ص:94.

فقد صار ذاك وذا أدهما يعضّ بساقي عضّ الأُسودِ

كما تغلب على شعر السجون عاطفة الحزن ما يجعل المفردات الدالة عليه كثيرة منها الدموع والبكاء والحنين، فخلف الشعراء قصائد وأبيات رقيقة حساسة تبلغ القلب بيسر كقول أبي فراس الحمداني من السريع:[1]

يا ليل ما أغفل عمّا بي، حبائبي فيك وأحبابي

يا ليل، نام الناس عن موضعٍ ناءٍ، على مضجعه نابي

هبّت له ريحٌ شآمية متّت إلى القلب بأسباب

أدت رسالات حبيبٍ لنا فهمتها من بين أصحابي

وعن أملهم في الحرية والعفو بعاطفة حزينة، لذلك تغلب عليها المفردات الدالة على الحزن كالدموع والبكاء والحنين.

وشعر السجن لا يخلو من تصوير نفسية الأسير مكسورة حزينة متعجبة من تقلب الزمن والدهر مشتاقة للفرج ولعهدها السالف، ومن النماذج الدالة على ذلك قول أبي فراس الحمداني:[2]

إن في الأسر لصَبًّا دمعه في الخدّ صبُّ

هو في الروم مقيمٌ وله في الشام قلبُ

مستجدٌّ لم يصادفْ عِوَضًا عمّن يحبّ

وقوله في العيد وهو مأسور:[3]

يا عيد، ما عدت بمحبوب على مُعَنّى القلب، مكروبِ

يا عيد قد عدتَ على ناظرٍ، عن كلّ حسْنٍ فيك، محجوبِ

يا وحشة الدار التي ربّها أصبح في أثوابِ مربوبِ

قد طلع العيد على أهله بوجه لا حُسْنٍ ولا طِيبِ

---

[1]– ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص:57.

[2]– المصدر نفسه، ص:48.

[3]– المصدر نفسه، ص:54، 55.

ما لي وللدهر وأحداثه لقد رماني بالأعاجيبِ

ثالثا: الشعر السياسي بالمغرب والأندلس:

للظروف السياسية التي عاشها المغرب الإسلامي دور كبير في ازدهار هذا اللون الشعري الذي أخذ قسطا وافرا في دواوين الشعراء، فظهر في قصائد المدح والرثاء والغربة والحنين. على أنه تجب الإشارة إلى أن الأندلسيين كانوا أكثر شهرة في الغرض بسبب العامل التاريخي المتعلق بسقوط مدنها بأيدي النصارى، وما صاحبه من رثاء للمدن والمماليك وطلب للنجدة واستصراخ للمغاربة خاصة قصد التدخل لإعادتها إلى سابق عهدها.

والملاحظ أن هذا الغرض وإن عرفه المغاربة والأندلسيين منذ بدايات الفتح الإسلامي، فإنه عرف ازدهارا محسوسا في عصور معينة.

وقد سجل شعراء هذا اللون الشعري الحياة السياسية التي عاصروها تسجيلا دقيقا سواء كانوا على اتفاق مع الساسة أو على اختلاف، فقد عايش الأندلسيون مراحل تاريخية كثيرة، وعرفوا مسؤولين كثر تنوعت توجهاتهم وسياساتهم: عربا ومغاربة بربر وملوك طوائف.

ويأتي عصرا المرابطين والموحدين في مقدمة العصور التي حركت أقلام الشعراء للنظم في هذا الغرض، حيث بلغ الصراع بين المسلمين والنصارى أوجه في الأندلس، وبدأ النفوذ المغربي يأخذ حيزا بها بعد تدخلهم لحمايتها وما لحقه من قبول ورفض، قال الدكتور فوزي عيسى متحدثا عن تجاوب الشعراء الأندلسيين مع الموحدين: <<كان هذا العصر مسرحا لأحداث سياسية كثيرة، فقد اتسعت رقعة الدولة الموحدية، وبسط الموحدون قبضتهم على إفريقية والمغرب والأندلس وبذلوا جهودا مضنية للدفاع عن تلك المملكة المترامية الأطراف، فخاضوا حروب جهاد ضارية ضد النصارى، وواجهوا فتنا داخلية أجهضت قوتهم وعجلت بالقضاء عليهم. وما يهمنا هنا هو أن الشعر الأندلسي لم يكن بمعزل عن هذه الأحداث بل عاش معها وغدا ظلا لها، وعبر عنها في كل صورة من صورها فمثّل الدولة الموحدية في صراعها مع الأعداء، كما مثلها في صراعها الداخلي، وواكبها في انتصاراتها وفتوحاتها واحتفالاتها.>>[1]

وأما الشعراء الذين ساهموا في ذلك فكثر منهم: أبو بكر بن مجبر، ابن حربون، أبو المنخل الشلبي، أبو الوليد الشواش، أبو العباس الجراوي، عبد الله بن حبوس الفاسي. ومن النساء: أسماء العامرية، وحفصة الركونية.[2]

---

[1]–فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007م، ص:78.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص:78– 81.

من نماذج هذا الشعر قول السميسر معترضا على سياسات الحكام بالأندلس:[1]

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم

أسلمتم الإسلام في أسر العدا وقعدتم

وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم

لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتم

وإن كان الأندلسيون قد برعوا في غرض رثاء المدن والمماليك الزائلة، فإن تراثهم الشعري حافل بنماذج كثيرة غيرها في الشعر السياسي. ومن القصائد السياسية قصيدة لأبي إسحاق الألبيري في مدح الصنهاجيين من حكام غرناطة ونسبهم البربري وذم أميرهم باديس بن حبوس الذي اتخذ من اليهودي يوسف بن صمويل وزيرا له:[2]

ألا قل لصنهاجة أجمعين بدور الندى وأسد العرين

لقد زلّ سيدكم زلة تقرّ بها أعين الشامتين

تخير كاتبه كافرا ولو شاء كان من المسلمين

فعزّ اليهود به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الأرذلين

ونالوا مناهم وجازوا المدى فخان الهلاك وما يشعرون

فكم مسلم فاضل قانت لأرذل قرد من المشركين

وما كان ذاك من سعيهم ولكنّ منّا يقوم المعين

ثم قال موجها خطابه لباديس معاتبا موجها طالبا منه إعادة النظر في قرار اختيار وزيره محذرا في الوقت نفسه من سوء اختياره وردة فعل الرعية خاصة وان اليهود في غير غرناطة منبوذون مهانون:[3]

أباديس أنت امرؤ حاذق تصيب بحذقك نفس اليقين

وأن لك السبق من بين الورى كما أنت من جِلّة السابقين

---

[1]– طاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1987، ص:65، 66.

[2]– المرجع نفسه، ص:70، 71.

[3]– المرجع نفسه، ص:71، 72.

فكيف اختفت عنك أعيانهم وفي الأرض تضرب منها القرون

وقد حققت القصيدة مبتغاها إذ ثار الناس على اليهودي يوسف وقتلوه في قصر غرناطة ثم خرجوا إلى شوارع غرناطة يتعقبون اليهود فقتلوا عددا كبيرا منهم ولم تقم لليهود بعدها قائمة بها.[1]

كما كان الصراع بين المسلمين والصليبين عاملا من عوامل ازدهار الغرض وخاصة في عصر المرابطين والموحدين حيث اشتدت ضربات الصليبين لمسلمي الأندلس مخلفة آثارا عميقة على النفوس والعمران والحضارة الإسلامية بها. وكان للشعر مع ذلك دور في تسجيل الأحداث وتشجيع الحكّام على الجهاد، وممّا قيل في الموضوع أبيات للشاعر ابن سيّد الإشبيلي منوّها بالموحدي عبد المومن لمّا اجتاز البحر لحرب الكفار:[2]

لا أين يا آل الصليب وحزبه حتى يعمّ القتل كلّ مصلّب

ويوّرث التوحيد عرض بلادكم من بعد بحث عنكم وتنقّب

حتى تقرّ عيوننا في أرضنا وتقرّ عين نبينا في يثرب

وقال أبو بكر بن المنخّل الشلبي منوها بشجاعته:[3]

يلوذون في الهيجا بأروع ماجد إذا دارت الهيجاء كان لها قطبا

وإن عصفت ريح الوغى أحدقوا به فكانوا له جسما، وكان لهم قلبا

رابعا: مميزات الغرض الموضوعية والفنية:

1/ الرصد الدقيق للأحداث وتسجيلها، إذ غالبا ما يرتبط بمناسبة سياسية كتقليد بالحكم أو وفاة حاكم أو عزل أو انتصار أو ثورة وغيرها. ومن أمثلتها قول علي بن حزمون أمام المنصور بن أبي عامر بمناسبة معركة (الأرك) وهي أعظم ما حققه الموحدون من انتصارات:[4]

حيتك معطرة النفس نفحات الفتح بأندلس

2/ الإكثار من وصف المعارك والحروب.

---

[1]– المرجع السابق، ص:74، 75.

[2]– شفيق محمد عبد الرحمان الرقب: شعر الجهاد في عصر الموحدين، ص:54.

[3]– المرجع نفسه، ص:85.

[4]– فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص:84.

3/ تصوير الفتن الداخلية على غرار ما قام بين المرابطين والموحدين بالمغرب، وبين القادة وولاة الأمور ضمن ما يعرف بصراع السلطة.

4/ افتقار أغلبه للعاطفة فكثير منه ينظم بطلب من الحاكم أو رغبة في استرضائه، فهو أقرب إلى الوثائق التاريخية منه إلى القصائد الشعرية التي تحركها العاطفة وتغذي خيالها.

5/ ارتباطه بالمديح بالدرجة الأولى، فقد وجد الشعراء فيه وسيلة مثلى للاتصال بالسلطة خاصة في العصر الأموي حيث فتحت قصور الخلفاء أثناءه للشعراء فتوافدوا عليهم مناصرة وتشجيعا.

خاتمة:

حفل تاريخ الشعر العربي بنماذج كثيرة عن الشعر السياسي الذي واكب الحياة السياسية العربية في الشرق والغرب، ويصل متتبعه إلى أنه عرف ازدهارا ملحوظا في أزمنة معينة، لعل أهمها فترة الصراع العربي الصليبي في الأندلس حيث قام الشعر بترجمة الأوضاع السياسية والاجتماعية للناس بها ترجمة واضحة، ورصد آهات وأحزان الناس بعد سقوط الفردوس بأيدي النصارى.

قائمة المصادر والمراجع:

1- عبد الله بن حامد الحامد: شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، إشراف الدكتور عبد الرحمان رأفت الباشا، موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، 1391 هـ، 1971 م..

2- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، ديسمبر 1966.

3- علي خليل محمود الطل: التقية في الشعر الأموي، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور عبد المؤمن حافظ الرجبي،جامعة الخليل، شعبان 1426هـ، أيلول 2005م.

4- ديوان جرير، تح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.

5- ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م.

6- جميل بدوي حمد الزهيري: المحمولات الثقافية في قصيدة المديح السياسية في العصر الأموي، مجلة كلية التربية، قسم اللغة العربية، واسط، العراق، العدد 13، نيسان 2013.

7- فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، تر إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1934.

8- ديوان علي ابن الجهم، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية.

9- جميل السلحون: أدب السجون، الموقع الالكتروني: www.m.ahewar.org بتاريخ: 16/ 11/ 2012، تاريخ الزيارة: 08/ 07/ 2017، زمنها: 21. 11.

10- رضوان السائحي: شعر السجون القصيدة كمعبر للحرية المعتمد بن عباد أنموذجا، عن الموقع الالكتروني: www.alakhbar.press.ma

11- صلاح الشهاوي: شعر السجون، عن الموقع الالكتروني: www.adawaanews.net بتاريخ: 3/ 2014/4 . محرك البحث: Google. تاريخ الزيارة: 1/ 6/ 2016.

12- ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، دراسة مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1413 هـ، 1993 م.

13- ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، تح حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، راجعه طه حسين، ط 2، 1421 هـ، 2000م.

14- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، در الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

15-فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1.

16- طاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1987.

17- ابن رشيق: العمدة، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.

نموذج للتطبيق:

حلل قول أبي إسحاق الألبيري في مدح الصنهاجيين من حكام غرناطة ونسبهم البربري وذم أميرهم باديس بن حبوس الذي اتخذ من اليهودي يوسف بن صمويل وزيرا له:[1]

ألا قل لصنهاجة أجمعين بدور الندى وأسد العرين

لقد زلّ سيدكم زلة تقرّ بها أعين الشامتين

تخير كاتبه كافرا ولو شاء كان من المسلمين

فعزّ اليهود به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الأرذلين

ونالوا مناهم وجازوا المدى فخان الهلاك وما يشعرون

فكم مسلم فاضل قانت لأرذل قرد من المشركين

وما كان ذاك من سعيهم ولكنّ منّا يقوم المعين

أباديس أنت امرؤ حاذق تصيب بحذقك نفس اليقين

وإن لك السبق من بين الورى كما أنت من حِلّة السابقين

فكيف اختفت عنك أعيانهم وفي الأرض تضرب منها القرون

وكيف تحب فراخ الزنا وهم بغضوك إلى العالمين

وكيف يتم لك المرتقى إن كنت تبني وهم يهدمون

تأمل بعينيك أقطارها تجدهم كلابا بها خاسئين

وكيف استفردت بتقريبهم هم في البلاد من المبعدين

[1]– طاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص:70، 71.

المحاضرة الحادية عشر: الشعر الفلسفي وشعر الحكمة

تصميم المحاضرة:

أولا: الشعر الفلسفي عند العرب حتى العصر العباسي

ثانيا: الحكمة لغة واصطلاحا

ثالثا: شعر الحكمة

رابعا: موضوعات شعر الحكمة

أولا: الشعر الفلسفي عند العرب حتى العصر العباسي:

إن الحديث عن علاقة الشعر بالفلسفة حديث متشعب يأخذ مسارات ويعبّر عن رؤى مختلفة[1] بين مؤيد لأن تكون الفلسفة مصدرا ومرجعا للشاعر، وبين رافض معتبرا الشعر حديث النفس والقلب، لا المنطق والعقل وقد قال البحتري:

كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يلغى عن صدقه كذبه

بينما يرى فريق أن العلاقة بين الفلسفة والشعر عريقة، فالفلسفة أم العلوم، والشعر رؤية فلسفية للوجود والمشاعر والأحاسيس،[2] بل إن <<الفلسفة في انبثاقتها الأولى صيغت شعرا وكانت بمثابة انفعال إنساني بالطبيعة في كونيتها. فأشعار بارمنيدس وهيراقليط التي احتفظ ببعض منها أرسطو شكلت رؤية جديدة في الشعر حيث استغل الشعر لا من أجل السرد الملحمي ورواية الأخبار المتعلقة بالآلهة التي تتحكم في أقدار البشر، وإنما من أجل تكوين نمط جديد من التفكير يقطع مع التفسير الأسطوري للطبيعة.

لقد انتقلت الطبيعة هنا نقلة مغايرة في عملية الفهم والتصور والتلمس والإحساس. بعد أن كانت مادة جامدة لا تثير الإحساس.>>[3]

---

[1]– مصطفى مرادا: الشعر والفلسفة.. حدود اللقاء بين القلب والعقل، تاريخ الإضافة: 16/ 01/ 2012، عن الموقع الإلكتروني: www.maghress.com، محرك البحث: google، تاريخ الزيارة وزمنها: 10/ 07/ 2017، 16.16 سا.

[2]– علي محمد اليوسف: الفلسفة والشعر، منتدى ديار عن الموقع الالكتروني: http://aldyarlondon.com 27 آذار/ مارس 2017.

[3]– تيسير العفيشات: الشعر والفلسفة، موقع: الحوار المتدن، تاريخ الإضافة: 17/ 2/ 2010، عن الموقع الإلكتروني: www.m.ahewar.or محرك البحث: Google، تاريخ الزيارة: 10/ 07/ 2017، 16. 16 سا.

وفي الشعر العربي تعد المقدمة الطللية وقصائد الجاهليين تعبيرا عن رؤية فلسفية من الشاعر للوجود في شكل حكمة وليدة البيئة والحضارة، وتمثل إرهاصات التفكير الفلسفي إلى أصل الكون من غير بحث منظم.[1]

وفيما يخص اهتمام الشعراء بفلسفة معانيهم، فإن المتأمل لتاريخ الشعر العربي يلاحظ أن شعراء العصر العباسي كانوا أكثر قربا واهتماما بالفلسفة، يدفعهم إلى ذلك النهضة العلمية والثقافية والفكرية التي أمدت الشعراء بمعان وتشبيهات جديدة مستقاة من الحوارات العلمية، ومن الثقافات الأجنبية التي نقلت إلى العربية عن طريق المترجمين والشراح، فشاعت المعاني العقلية في أبيات الشعراء، وظهرت الألفاظ الفارسية والحكمة اليونانية وحكم الهند.

فلقد رقت الحياة العقلية في العصر العباسي رقيا مشهودا له عبر التاريخ بعد أن هيأت له الكتب المترجمة عن الهنود والفرس واليونان، وكما هيأت له المحاورات والمناظرات التي نشطها أصحاب الملل والنحل والأهواء، وكان لها أثر على الشعر بحيث اتجه بعض الشعراء نحو فلسفة أقوالهم وصبغها بصبغة فلسفية نابعة من تفكيرهم الذي تشبع بالمعرفة والعلم، فصارت الفلسفة منهجا ووسيلة للتعبير عن الأشياء وتقديمها بعد أن صار الشاعر العباسي على علم ودراية بعلوم اليونان والفرس والهند، شغوفا بالمعرفة ومطالعة الكتب. قال محمد بن يسير يصف ميله للكتب استئناسا بها:[2]

هم مؤنسون وألّاف غنيت بهم فليس لي في أنيس غيرهم ارب

فأيما أدب منهم مددت يدي إليه فهو قريب من يدي كثب

حتى كأني قد شاهدت عصرهم وقد مضت دونهم من دهرهم حقب

ومن آثار علوم الهند على الشعر قول أبي تمام:[3]

كم بين قوم نفقاتهم مال وقوم ينفقون نفوسا

وهو من الحكمة الهندية: << إن الحازم يكره القتال ما وجد بدّا منه، لأن النفقة فيه من النفس والنفقة في غيره من المال>>.

---

[1]– جبر شعث: عن الشعر والفلسفة، عن الموقع الالكتروني: www.aleftoday.info، محرك البحث: google، تاريخ الزيارة: 2017/07/10، 33، 16 سا.

[2]– الجاحظ: الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1942، م1، ص:95.

[3]– ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص: 371.

ومن أشد الثقافات تأثيرا على الشعر العباسي أيضا الثقافة الفارسية، وفي شعر بشار كثير منها كقوله:[1]

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم

كما كان للثقافة اليونانية أثر في التفكير العربي وفي الشعر، قال شوقي: <<ولا ريب في أن الثقافة اليونانية كان تأثيرها في الشعر والشعراء أعمق وابعد غورا، بما فتحت أمامهم من أبواب الفكر الفلسفي وأبواب المنطق ومقاييسه وأدلته، وما بعث فيهم من محاولة استكشاف دفائن المعاني واستخراج دقائقها. وقد مضى كثير من الشعراء يزيدون محصولهم من تلك الثقافة، بل كان منهم من الف في المنطق، حتى يشحذ ذهنه وأذهان الشعراء من حوله>>.[2]

ومن أمثلتها قول أبي العتاهية يرثي صديقه علي بن ثابت:[3]

بكيتك يا علي بدمع عيني فما أغني البكاء عليك شيّا

كفى حزنا بدفنك ثم أني نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

وهي من مراثي اليونان للإسكندر المقدوني: <<الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس>>.[4]

كما انفتح الشعر العباسي على مختلف الفرق الدينية والفلسفية التي ظهرت وقته، فكانت هي الأخرى موضوعا بأيدي الشعراء، ولبشار ابن برد نماذج كثيرة عن ذلك كرده على قول المعتزلة في الجبر والاختيار:[5]

طبعت على ما فيّ غير مخيّر هواي ولو خيّرت كنت المهذبا

أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد ويقصر علمي على أن أنال المغيبا

فأصرف عن قصدي وعلمي مقصّر وأمسي وما أعقبت إلا التعجبا

---

[1]– ديوان بشار بن برد، جمع محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1386هـ، 1966م، ج4، ص: 172.

[2]– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص: 150.

[3]– ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م ص: 492.

[4]– الجاحظ: البيان والتبيين، م 1، ص: 407.

[5]– ديوان بشار بن برد، ج1، ص: 269، 270.

حيث يتضح مذهبه في القول بالجبر بالدليل والحجة. وكقوله:[1]

وعيّ الفعال كعيّ المقال وفي الصمت عيّ كعيّ الكلم

ومثله قول أبي تمام:[2]

صاغهم ذو الجلال من جوهر المجـ د وصاغ الأناك من عرضه

وقوله:[3]

بيضاء تسري في الظلام فيكتسي نورا وتسرب في الضياء فيظلم

ولعل الشاعر المتنبي(915 . 965 م) / (303 . 354 هـ) أشهر الشعراء العرب القدامى فلسفة لمعانيهم، على الرغم من أنه لم يكن فيلسوفاً بالمعنى الصحيح للكلمة، فقد كانت له خطرات في الحياة والأحياء، مصدرها نفسه وتجاربه وإلهامه، يغذيها الأمل الطامح المؤمن بالقوة والأمل الخائب المثقل بالنقمة والثورة والتشاؤم . إذ عرف المتنبي بقوة العقل وغنى التجارب، فأتى بالعجيب من الأفكار وإن لم تخل تلك الأفكار من شذوذ وتطرّف أحياناً ؛ وكان ذا عاطفة بعيدة وبالغة الشدة صفتها يد الألم فانفجرت متنوعة وبعيدة الأصدقاء كما كان ذا خيال جبار مغر بكل عظيم، ولكنه خيال واقعي وسعت الأسفار أجواءه.
ويعتبر فن المتنبي فن شخصي يصدر عن النفس ويصطبغ بألوانها ومن ثم كان متنوعاً فيه قوة وضخامة تتجليان في المعنى والمبنى وهذا سبب شهرته.

ولم تكن أشعاره خاصة به بقدر ما كانت تعبيرا عن الإنسان في حياته وأخلاقه وعواطفه وعلاقته بالجماعة التي يعيش فيها. ومن شعره الفلسفي:[4]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم**وتأتي على قدر الكرام المكـارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ** وتصغر في عين العظيم العظائم

[1]– ديوان بشار بن برد، ج 4، ص: 192.

[2]– ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط 2، 1414هـ، 1994م، ج 2، ص: 217.

[3]– المصدر نفسه، ج 3، ص: 213.

[4]– ديوان المتنبي:، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م، ص: 385.

وقال شاعر الحكمة والفلسفة:[1]

والموتُ آتٍ والنفوسُ نَفائِس**والمسُتَعزّ بِما لَديْهِ الأحْمَق

وقال بعد أن اختبر الحياة وتلونها وغرورها وهو من قصيدة رثاء بكى بها محمد بن إسحاق التنوخي:[2]

إني لأعلم واللبيب خبير**أن الحياة وإن حرصت غرور

وقال:[3]

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ** تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وغيرها من الأشعار التي تدل على أن الشاعر فيلسوف معاني وصور، <<فإذا كان الفيلسوف يصنع لغة شمولية كلية قائمة على العبارة العمومية المجردة، أو ما يسمى بالمفاهيم، فالشاعر يفجر الكلمة ليجعل الصورة ماء زلالا تغذوه مزن الخيال من عيونها الباكية ومدامعها الساجية إنه ينقذ التصور من جفافه لاستدلالي. إن الشاعر شخص مشاغب، يحمل طفلا في أعماقه، يريد ملامسة الأشياء واحتضان الكلمات فيصوغها لحنا عذبا يلامس أعمق أعماق الوجود والتفاصيل كما يتمثلها بواسطة وجدانه وحدوسه الأولية، وهو ينزل ليمشي فوق طمي الحياة، دون افتراضات مسبقة أو توجسات مرهقة.>>[4]

ولا يقل شأنا عن المتنبي فيما يخص فلسفة المعاني أبا العلاء المعري وهو القائل:[5]

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنم شاد

ثم يقول أن صوت نعي الميت والبكاء عليه عند وفاته شبيه بصوت البشير الذي يبشر به عند ولادته في كل الأماكن والمجالس، وهما معا شبيهان بصوت الحمامة عندما تنوح فوق الأغصان، فلا يعلم إن كانت حزينة أم سعيدة:

وشبيهٌ صوت النعيّ إذا قِيـ س بصوت البشير في كل ناد
أبَكَت تلكم الحمامة أم غـ نّت على فرع غصنها الميّاد

---

[1]– المصدر السابق، ص: 28.

[2]– المصدر نفسه، ص: 71.

[3]– المصدر نفسه، ص: 472.

[4]– تيسير العفيشات: الشعر والفلسفة، موقع: الحوار المتدن، تاريخ الإضافة: 17/ 2/ 2010.

[5]– أبو العلاء المعري : سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1376هـ، 1957م، ص: 07.

ثم يقول متسائلا عن قبور الذين سبقونا مشيرا إلى أن الأرض عبارة عن مقبرة كبيرة: !

صاح هذي قبورنا تملأ الرُحـ بَ فأين القبور من عهد عاد

فالأبيات ومنها القصيدة كلها تفكير فلسفي عن علاقة الإنسان بالوجود وبالحياة والموت.

ثانيا: الحكمة لغة واصطلاحا:

جاء في المعاجم أن الحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم. يقال: أحكمته التجارب إذا كان حكيما. وأحكم فلان عني كذا، أي: منعه. وسمي الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة في قوله:

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال: من ذا قالها؟

ورجل حكيم: عدل. وأحكم الأمر: أتقنه. وأحكمته التجارب على المَثَل. وفي الحديث: إن من الشعر لحكما أي في الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما، وقيل: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها.[1]

وفي الاصطلاح هي قول ناتج عن تجربة وخبرة ودراية بالأمور وبالحياة في عمومها، تصدر في الغالب عن شخص عركته الحياة. الغاية منها هداية الناس لأفضل السلوك وأقومه. جاء في قاموس المصطلحات الأدبية أن الحكمة مثل سائر وحقيقة عامة ومبدأ أساسي.[2]

ثالثا: شعر الحكمة:

الحكمة فن من فنون الشعر العربي يرد أبياتا ضمن القصائد، كما يأتي في قصائد مستقلة بمعانيها، وقد عرف به العربي منذ العصر الجاهلي، لكنه تميز بالوفرة والكثرة في العصر العباسي. وأما الهدف منه فهو النصح والإرشاد والموعظة. ويصدر عادة بعد طول تأمل في الحياة وكثرة تجارب، لذلك فالحكمة صالحة لكل عصر ومصر. ويلاحظ أن الحكمة لم تكن حكرا على من عرفوا بالزهد والورع فقط، لأن بعض الشعراء من الزنادقة والماجنين نطقوا بأبيات حكمية في تضاعيف دواوينهم وقصائدهم.

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 170. ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، م 10، ص: 270، 271.

[2]– بول آرون دينيس سان جاك آلان فيالا : معجم المصطلحات الأدبية، تر محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ،2012م، ص: 451.

رابعا: موضوعات شعر الحكمة: وهي في الغالب إنسانية مرتبطة بحياة الفرد والجماعة غايتها التهذيب وتوصيل التجارب قصد الاستفادة منها، وهي كثيرة أهمها:

أ/ التحذير من تقلبات الدهر وتبدّل الوجوه: ويأتي هذا الموضوع تماشيا مع حياة الإنسان المرتبطة بالموت وبالفرح والحزن، بالأمل واليأس. منها قول عنترة بن شداد:[1]

وكلّ قريب لي بعيد مودّة وكل صديق بين أضلعه حقدُ

وقوله:[2]

فيا له من زمان كلما انصرفت صروفه فتكت فينا عواقبه

دهر يرى الغدر من إحدى طبائعه فكيف يهنأ به حرٌّ بصاحبه

وقول أبي العتاهية محذرا من السعي خلف الدنيا:[3]

من جعل الدهر على باله أمَّ به أفظع أهواله

وحطّه بعد سموّ به قسرا إلى أخبث أحواله

ولذلك فإن التذكير بالموت من صميم شعر الحكمة وقد كثر الحديث عنه عند أبي العتاهية ومما قاله في الموضوع:[4]

هو الموت الذي لابدّ منه فلا يلعب بك الأمل الكذوب

وكيف تريد أن تُدّعى حكيما وأنت لكل ما نهوى ركوب

وتصبح ضاحكا ظهرا لبطن وتذكر ما اجترمت فلا تذوب

أراك تغيب ثم تؤوب يوما وتوشك أن تغيب ولا تؤوب

---

[1]– ديوان عنترة بن شداد، شرح الخطيب التبريزي، ص: 55.

[2]– المصدر نفسه، ص: 28.

[3]– ديوان أبي العتاهية، ص: 368.

[4]– المصدر نفسه، ص: 36.

ب/ التسامح ونبذ الخلاف والحسد وتغليب العقل: حفاظا على تماسك الحياة البشرية واستمرارها وحقنا للدماء والبغضاء يدعو الحكماء من الشعراء دوما إلى بسط النفس وتربيتها على الحب والتسامح والهدوء والأمل، والتمني بدلا عن التحاسد الذي يورث الغم والهم والتفرقة، لذلك يحذر من الخيانة وأمثلتها كثيرة كقول بشار بن برد:[1]

إذا كنت في كل الذنوب معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وقول المتنبي:[2]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده من توهم

ويرتبط بهذا معنى آخر وهو الدعوة إلى الوفاء والأمانة وفي ذلك قول بشار بن برد:[3]

أخوك الذي ينقض الدهر عهده ولا عند صرف الدهر يزور جانبه

فخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ولا تك في كل الأمور تجانبه

وقول أبو العتاهية:[4]

صاحب إذا صاحبت ذا فكرة محتملا أعباء أثقاله

له وفاء وله عزمة تأوي إلى أكناف أظلاله

خامسا: مصادر الحكمة في الشعر العربي: تغذت موضوعات الحكمة ومعانيها من مصادر متعددة هي:

-كتب الدين في مقدمتها القرآن الكريم وسنة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم.

-كتب الأمثال والحكم وخاصة منها المترجمة والتي تتوافق والمجتمع العربي.

---

[1]- ديوان بشار بن برد، ج1، ص:326.

[2]- ديوان المتنبي، ج4، شرح البرقوقي، ص:64.

[3]- ديوان بشار، ج4، ص: 12.

[4]- ديوان أبي العتاهية: ص: 368.

–الموروث العربي فقد عرف المجتمع العربي بكثير من المثل السامية التي لم تتعارض مع القرآن فواصلت طريقها بين الناس كالشجاعة والكرم ونجدة المستغيث وحماية الجار والذب عن النسب والدفاع عن الشرف وغيرها.

خاتمة:

الشعر الفلسفي وشعر الحكمة لونان شعريان يتسمان بالتعبير عن تجارب الإنسان الخاصة والعامة، ولم يخل منهما عصر من العصور وخاصة العصر الجاهلي. ولكنه عرف شيوعا خاصا في العصر العباسي بسبب الظروف التي وجدت فيه ودفعت الشعراء إلى الإقبال على فلسفة معانيهم أهمها عامل الترجمة واختلاط الأجناس بشكل واسع.

ويعد المتنبي وأبو العلاء المعري من رواد هذا النمط الشعري لاتّسام أشعارهما بالجدل بسبب تفكيرهما الفلسفي والعقلي، الذي مكّنهما من استيعاب الثقافة العربية بكلّ أبعادها والحياة بكل تداعياتها، وأتاح لهما إمكانية ابتكار المعاني، ونسج الصور وطرح الأفكار بوضوح ومهارة على مستويات الإيقاع والصياغة والدلالة، ما جعل أشعارهما في وضعية استفزاز جريئة للقارئ والمتلقي.

قائمة المصادر والمراجع:

1-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1942، ج1.

2- مصطفى مرادا: الشعر والفلسفة.. حدود اللقاء بين القلب والعقل، تاريخ الإضافة: 16/ 01/ 2012، عن الموقع الإلكتروني: www.maghress.com،

3- تيسير العفيشات: الشعر والفلسفة، موقع: الحوار المتدن، تاريخ الإضافة: 17/ 2/ 2010، عن الموقع الإلكتروني: www.m.ahewar.or

4- جبر شعث: عن الشعر والفلسفة، عن الموقع الالكتروني: www.aleftoday.info،

5- ديوان بشار بن برد، جمع محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1386هـ، 1966م.

6- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، ديسمبر 1966.

7- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م

8- ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط 2، 1414هـ، 1994م.

9- ديوان عنترة بن شداد، شرح الخطيب التبريزي، تق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م.

10- أبو العلاء المعري، سقط الزند، دار بيروت، دار صادر، بيروت، لبنان، 1376هـ، 1957م.

11- ديوان المتنبي: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م.

12- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

13- ابن منظور: لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، م 10.

14- بول آرون دينيس سان جاك آلان فيالا : معجم المصطلحات الأدبية، تر محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ،2012م.

نص التطبيق:

قال أبو العلاء المعري:[1]

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد
صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد؟
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا، وإن قدم العهد هوان الآباء والأجداد
سر إن أسطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآباد
فأسال الفرقدين عمن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار وأنارا المدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما اعجب إلا من راغب في ازدياد
إن حزنا في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت، رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

حلل النص مبينا معانيه وأفكاره الفلسفية.

[1]– أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 7.

المحاضرة الثانية عشر: الموشحات والأزجال:

تصميم المحاضرة:

الموشحات

أولا: تعريف الموشحات

ثانيا: عوامل نشأتها وانتشارها

ثالثا: البناء الفني للموشحات

رابعا: أوزان الموشحات

الأزجال

أولا: تعريف الأزجال

ثانيا: أغراض الزجل

أولا: تعريف الموشحات:

لغة: الوشاح عند اللغويين يعني نوعا من اللباس الذي تتزين به المرأة. جاء في لسان العرب في مادة (وشح) أن الوشاح: <<حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به>>.[1] وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط أن الوشاح هو: <<كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها>>.[2] وقال الخليل بن أحمد: <<الوشح من الوشاح، والجمع: الوُشُح، والوشاح: من حلي النساء: كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان، مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر تتوشح به المرأة>>.[3]

الموشحات اصطلاحا: هي لون شعري يقوم على وزن وبناء خاصين، وقد اختص به الأندلسيون لما عرفوا به من ميل إلى التحرر وحب للشعر والغناء. ويعد محطة مهمة من محطات الشعر العربي

[1]–ابن منظور: لسان العرب، مادة (وشح) م 15، ص: 305، 606.

[2]–الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2، 1332هـ، 1/ 255.

[3]– الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 902.

القديم، إذ يؤسس لمرحلة الخروج عن الوزن ومحاولة التجديد شكلا ومضمونا. وأما العلة في اشتقاقه من الوشاح فهي ما فيه من تزيين وزخرف للفظ والوزن ولما فيه من جمال ورونق.

وموطن نشأته فهو الأندلس كما يجمع أغلب الدارسين، قال محمد عباسة أن الموشح <<ضرب من ضروب الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا، وفي الخرجة التي يخرج بها الوشاح من الفصيح إلى العامي تارة وتارة أخرى إلى العجمي، كما يختلف عنها في تسمية أجزائه. ويختلف في بعض هذه الخصائص عن الأراجيز والمسمطات. ولم يستحدث شعراء أهل الأندلس هذا اللون من النظم إلا لحاجتهم إلى التجديد الذي اضطرتهم ظروف اللهو والغناء الجماعي>>.[1] وقال فوزي عيسى:<<وقد ولدت الموشحات في أحضان الطبيعة الأندلسية المترفة، وتخلقت أنغامها في بيئة المغنين والمغنيات، ووجدت رواجا كبيرا في أوساط الأمراء والحكام وكانت انعكاسا لما شاع في البيئة الأندلسية من ترف وتحضر>>.[2]

وقد وقع اختلاف حول أول واضع لها، فقيل أن محمد بن محمود القبري الضرير أول من نظم فيها وقيل مقدم بن معافى القبري، وأما أقدم النصوص التي وصلت منها فهي لابن ماء السماء.[3]

كما اختلفت الآراء حول كيفية نشأتها وأصلها، فقال خوليان ريبيرا أنها <<تقليد من عرب الأندلس لأغان أعجمية كانوا يسمعونها ويتغنون بها محاولين تقليدها أو تعريبها.>>[4] وقال غيره أمثال سيد غازي أنها وليدة المسمطات العربية المشرقية.

ثانيا: عوامل نشأتها وانتشارها:

1/ موجة الغناء التي انتشرت بالأندلس لعدة أسباب في مقدمتها الترف والحرية واختلاط الأجناس خاصة بعد دخول زرياب الأندلس في عهد الحكم ابن هشام.[5]

2/ شيوع الشعر بين طبقات الشعب المختلفة وميله للغة البسيطة القريبة من لغة العامة.

---

[1]– محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، ط1، 1433هـ، 2012م، ص: 51.

[2]–فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص: 325.

[3]– المرجع نفسه، ص: 328.

[4]– المرجع نفسه، ص: 329.

[5]– المرجع نفسه، ص: 325. المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988م،، مج 3، ص: 304.

ثالثا: البناء الفني للموشحات:

من خلال تعريف ابن سناء الملك للموشح والذي مفاده أنه <<كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أبيات ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات>>[1]، فإن أهم مصطلحات الموشح هي:

القفل: وهو أول ما يبتدئ به الموشح التام، ويسمى المطلع، ويتألف من جزأين إلى ثمانية حتى عشرة أجزاء أو إحدى عشر جزءا.[2]

الدور: وهو القفل الذي يلي المطلع إن كان الموشح تاما، ويشترط أن يكون وزنه على وزن المطلع على أن تتغير قافيته، ولا يشترط فيها عدد معين.

البيت: ويتكون في الموشح من القفل والدور الذي يليه، وعليه فهو خلافا للبيت الشعري العادي يتكون من عدة أجزاء ويخضع لتبدل الروي.

الخرجة: وهي القفل الأخير من الموشح. وهي أهم جزء في الموشحة. وتكون بالعربية فصحى أو عامية كما تكون بالأعجمية.[3]

السمط: ويطلق على كل جزء من أجزاء الدور. ويشترط فيه أن يكون على روي واحد.

الغصن: ويطلق على كل جزء من أجزاء القفل والمطلع والخرجة، وتتساوى معها من حيث عددها ورويها وقافيتها.

رابعا: أوزان الموشحات:

تنقسم أوزان الموشحات حسب ابن سناء الملك إلى قسمين: موشحات شعرية وهي التي تلتزم عروضا معينا، ومن نماذجه قول الشاعر:

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وهو من الرمل. ومنها نوع يقوم على وزن معين لكن تخرجه عنه زيادة عبارة أو كلمة كقول ابن بقي:

---

[1]– المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب، ج1، ص: 305، 306.

[2]– الربعي بن سلامة: محاضرات في الأدب المغربي والأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، ص: 56.

[3]– المرجع نفسه، ص: 56. فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عهد الموحدين، ص: 416.

صبرت والصبر شيمة العاني * ولم أقل للمطيل هجراني * معذبي كفاني

فهو من المنسرح لكن عبارة (معذبي كفاني) أخرجته من الوزن.

وأما القسم الثاني فلا يمكن إخضاعه لوزن خليلي.[1]

الأزجال:

أولا: تعريف الأزجال لغة واصطلاحا: الزجل في اللغة يعني: الصوت والطرب والترخيم. جاء في لسان العرب:<<الزجل بالتحريك اللعب والجبلة ورفع الصوت، وخص به التطريب>>.[2]

وهو <<ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب القافية إلا نادرا.>>[3] يعد الزجل بهذه الصورة موشحا ملحونا كتب بلغة مهذبة غير معربة.[4]

والزجل فن أندلسي النشأة ظهر عقب فن الموشحات، ولكن الغموض يلفّ نشأته لعدم اهتمام المؤرخين به، غير أن المرجح أنه نشأ في القرن الرابع للهجرة كتطور لفن الموشحات الذي مسه التعقيد والتكلف خاصة على مستوى البناء، غير أن الانطلاقة الحقيقية له كانت مع زمن ملوك الطوائف في القرن الخامس للهجرة، وبلغ ذروة الشيوع والتطور الفني في القرن السادس لعدم إتقان ملوك المرابطين للغة الفصحى وعدم تشجيعهم الشعراء على النظم، رغم أن كثيرا من الانتقادات يمكن توجيهها لهذا الرأي، ومنها أن المرابطين –رغم كونهم من البربر– فإن اللغة الرسمية التي كانوا يتكلمون بها ويستعملونها هي اللغة العربية الفصحى، فلم يعرف عنهم أنهم تلقوا أي كتاب بلغة غير اللغة العربية الفصحى.[5] كما أن المرابطين كالموحدين كانوا يخضعون لسلطان العربية الفصحى كغيرهم من ملوك المسلمين خاصة وأن الدولتين عرفتا بالتشدد في مسائل الدين وقد جاء باللسان العربي.

وأشهر الزجالين: ابن قزمان، ويوسف بن هارون الرمادي، وابن غرله، ويخلف بن راشد، وأخطل بن نمارة، وأبو عبد الله أحمد ابن الحاج المعروف بـ: مدغيلس.[6] وعنه قال المقري: <<وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن

---

[1]– ينظر: الربعي بن سلامة: المرجع السابق نفسه، ص: 61. الموشحات، الموقع الالكتروني: http://www.onefd.edu.dzh

[2]– ابن منظور: لسان العرب، مادة (زجل).

[3]– محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، ص: 105، 106.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]– المرجع نفسه، ص: 113.

[6]– ينظر: فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص: 441، 442. المقري: نفح الطيب، مج 4، ص: 24.

قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدغيلس بمنزلة أبي تمام، بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، ومدغيلس ملتفت إلى للفظ، وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان، ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنسب اقتصر عليه.>>[1]

وأما الأسباب التي أدت إليه فيأتي الغناء بالمقام الأول، وتطور وشيوع فن الموشح بين العامة والخاصة وإقبال الناس عليه لسهولته وطواعيته للحن والحفظ، واختلاطه بالعامة بعد خروجه من القصور والمجالس العلمية والحواضر خاصة وأن الأندلس منذ القرن السادس بدأت تسير نحو الانحلال والسقوط.

وكما حدث مع الموشح، فقد اختلف الباحثون –عربا ومستشرقين– حول أصله ونشأته الأولى وكرر بعضهم مقولة أنه نشأ تقليدا لأغاني السكان الأصليين.[2]

أما ما تعلق بالبناء والأوزان، فإن الزجل كالموشح بناء ووزنا، من حيث اعتماده الأوزان الخليلية في كثير من الأحيان، ومن حيث إخضاعها للحن وبالتالي التجديد والتعديل فيها بما يتماشى والغناء.[3]

ثانيا: أغراض الزجل:

سيطر الشعر التقليدي على موضوعات الزجل غير أن أكثرها كان في المدح والغزل والطبيعة والتصوف مع بعض الأزجال في الهجاء والرثاء، لذلك سنركز على أكثر الأغراض شهرة وهي:

1/ الغزل: وقد أكثر الزجالون النظم في هذا الغرض فجاءت أزجالهم مستقلة بمعانيها كما جاءت مختلطة مع الخمريات أو المدح أو شعر الطبيعة. ومنها قول ابن قزمان:[4]

يفضح العشق أش يفيدني الجحود والدموع والنحول عليا شهود

وشهود آخر على بذا سهري الليل وقلبي الموقود

والمليحة تغلق لي باب الوصال ثم تفتح لي ألف باب للصدود

---

[1]– المقري: نفح الطيب، مج 3، ص: 385.

[2]– ينظر: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين. دار الثقافة، بيروت، ط 5، 1978، ص:222. عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، القاهرة، 1967، ص: 55.

[3]– محمد عباسة: المرجع نفسه، ص: 131.

[4]– فوزي عيسى: المرجع نفسه، ص: 447.

وقول مدغليس:[1]

قد رحلت أنا وقلبي إش يكون مني ومنو

ولا يشفقوا علي ذا لملاح ولا يحنو

قد قسمت أنا وقلبي الهوى بلا مناعس

فخرجت أنا للأفكار وخرج هو للوساوس

فهو كل حد في راحه ونح في حرب داحس

نضربو أخماس في أسداس من حساب لم نظنو

2/ وصف الطبيعة: لا يخفى تعلق الأندلسيين بطبيعتهم وبجمال بلادهم الذي عبروا عنه شعرا ونثرا، وللزجالين نصيب منه ومن أمثلته قول مدغيلس:[2]

ثلاث أشياء فالبساتين لس تجد في كل موضع

النسيم والخضر والطير شم واتنزّه واسمع

قم ترى النسيم يولول والطيور عليه تغرد

والثمار تنثر جواهر في بساط من الزمرد

وبوسط المرج الأخضر سقي كالسيف المجرد

شبهت بالسيف لما شفت الغدير مدرع

وللزجالين شعر كثير في موضوع الطبيعة وقد يحضر موضوعا مستقلا كما قد يحضر ضمن الغزل أو موضوع الخمريات، وهو أكثر من أن يتقصى عن آخره لكثرة هذه الألوان عند الأندلسيين ولتداخلها مع بعضها البعض.

3/ المدح: وهو كباقي الأغراض يأتي منفردا كما يأتي ممتزجا بأغراض أخرى. ومن أمثلته قول ابن قزمان:[3]

---

[1]– محمد عباسة: مرجع سابق، ص: 137.

[2]– المرجع نفسه، ص: 143.

[3]– المرجع نفسه، ص: 147.

عبد المنقطع إليك مذ كان

أكمل الله علاك ابن قزمان

أطال الله بقاء الوزير الأجل

الفقيه عاد الكاتب الأكمل

إذ يقول اعملوا كذا يعمل

مغن مكروم وجيه رفيع الشأن

4/ التصوف: من الذين نظموا في هذا الموضوع أبي الحسن الششتري:[1]

الله، الله هاموا الرجال في حب الحبيب

الله الله معي حاضر في قلبي قريب

أدلل يا قلبي وافرح حبيبك حضر

وانتعم بذكر مولاك وقصي الأثر

واتهنى وعيش مدلل بين البشر

دعوني دعوني نذكر حبيبي بذكرو نطيب

الله الله معي حاضر في قلبي قريب

خاتمة:

تمكن الأندلسيون بعد فترة طويلة من مجاراتهم للشعر العربي إعجابا بشعراء المشرق من غدخال تغييرات عليه شكلا ومضمونا، بحيث استغلوا البيئة المترفة وشيوع الغناء وشعر الطبيعة ليبدعوا في الموشحات وبعدها الأزجال التي صارت مطلبا للناس ليسرها وطواعيتها للحفظ والتلحين.

[1]– المرجع السابق، ص: 151.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور: لسان العرب.

2-الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة السعادة، ط 2، القاهرة، 1332هـ.

3-محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار ام الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، ط1، 1433هـ، 2012م.

4-فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007م.

5- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1، م 1.

6- المقري، أحمد بن محمد التلمساني:: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988م.

7- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1975م.

8- بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دارون مارون عبود، بيروت.

9- الربعي بن سلامة: محاضرات في النقد المغربي والأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة.

10- الموشحات، الموقع الالكتروني: http://www.onefd.edu.dzh

11-محمد الشوباشي: رحلة الأدب العربي إلى أوربا، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

12- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين. دار الثقافة، بيروت، ط 5 ، 1978.

13- عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، القاهرة، 1967.

14-الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب داود سلوم وداود سلمان العنبكي وإنعام داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

نص التطبيق:

حلل الموشحة الآتية للسان الدين بن الخطيب:

جادك الغيث إذا الغيث همى = يا زمان الوصل بالأَندلسِ
لم يكن وصْلُك إلاّ حُلُمًا = في الكرى أَو خلسة المختلِسِ

....

إذ يقود الدّهرُ أَشتاتَ المُنى
ينقلُ الخطوَ على ما يرسمُ
زُمَرًا بين فُرادى وثُنَى
مثل ما يدعو الوفودَ الموْسمُ
والحيا قد جلَّل الرّوض سنا
فثغور الزّهرِ فيه تبسمُ

....

وروى النُّعمانُ عن ماءِ السّما =كيف يَروي مالِكٌ عن أَنَسِ
فكساه الحُسن ثوبًا معلما =يزدهي منه بأبهى مَلبسِ

....

في ليالٍ كتَمَتْ سرَّ الهوى
بالدُّجى لولا شموس الغُرَر
مال نجمُ الكأس فيها وهوى
مستقيمَ السّيرِ سَعْدَ الأَثَرِ
وطَرٌ ما فيه من عيبٍ سوى
أَنّه مرّ كلمْح البصَرِ

....

حين لذّ الأُنس شيئًا أَو كما = هجم الصّبحُ هجومَ الحرَسِ
غارت الشهْبُ بنا أَو ربّما = أَثّرت فينا عيون النرجسِ

....

أَيّ شيءٍ لِامْرئٍ قد خلُصا
فيكون الرّوضُ قد مُكِّن فيهِ

تنهب الأَزهار فيه الفُرصا
أمِنَت من مكره ما تتّقيهِ
فإذا الماء تناجى والحصى
وخلا كلّ خليلٍ بأخيه
....
تبصر الوردَ غيورًا بَرِما = يكتسي من غيظه ما يكتسي
وتَرى الآس لبيبًا فهِما = يسرقُ السمْع بأذنيْ فرَسِ
....
يا أُهيْلَ الحيّ من وادي الغضا
وبقلبي سكَنٌ أَنتم بهِ
ضاق عن وجدِي بِكُم رحْبَ الفضا
لا أبالى شرقَه من غربهِ
فأعيدوا عَهْدَ أنسٍ قد مضى
تُعْتِقوا عانيكمُ من كرْبهِ
....
واتّقوا الله وأَحيوا مغرمَا = يتلاشى نَفَسًا في نَفَسِ
حبَس القلب عليكم كَرما = أفترضون عفاءَ الحبَسِ
....
وبقلبي منكمو مقتربُ
بأحاديث المنى وهو بعيد
قمرٌ أَطلع منه المغربُ
شَقْوة المُغرَى به وهو سعيد
قد تساوى محسنٌ أَو مذنبُ
في هواه بين وعْدٍ ووعيد
....
ساحر المقلة معسول اللّمى = جال في النّفس مجالَ النّفَسِ
سدّدَ السّهمَ وسمّى ورمى = ففؤَادي نهبة المفترسِ

المحاضرة الثالثة عشر: الأدب الأندلسي

تصميم المحاضرة:

أولا: الأندلس جغرافيا وتاريخيا

ثانيا: الفتح العربي للأندلس

ثالثا: تعريب الأندلس

رابعا: مراحل الشعر الأندلسي

أولا: الأندلس جغرافيا وتاريخيا:

تقع شبه جزيرة الأندلس في الجنوب الغربي من القارة الأوربية، يحدها من الشرق والجنوب الشرقي البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال والغرب والجنوب الجنوب الغربي المحيط الأطلسي، وتتصل بأوروبا عن طريق جبال البرانس. تتبع بها أنهار كبيرة وبها تنوع نباتي جعل الطبيعة بها خلابة وجعلها تأسر قلوب ساكنيها، وقد تحدث الشعراء والكتاب عن ذلك في كل مناسبة ذكروا فيها بلادهم.

وأما تسمية الأندلس فأطلقها عليهم العرب بعد أن دخلوها، وفي ذلك قال جودت الركابي: <<وليس من السهل شرح هذه التسمية، ويمكن تقريبها من اسم جماعات الفنداليين les vandales الذين هاجموا إسبانيا ومروا بها مهاجرين إلى إفريقيا الشمالية في مبدأ القرن الخامس الميلادي. إذ يقال أن هؤلاء الفنداليين عند اجتيازهم مضيق جبل طارق سمي المرفأ الذي أبحروا منه –ولعله مرفأ طريف أو الجزيرة– باسمهم، وقيل له فندلس، وقد حافظ هذا المرفأ على هذا الاسم حتى جاء المسلمون فجعلوه شاملا لجميع البلدان التي احتلوها بعد أن حرفوه وجعلوه "أندلس">>.[1]

وبعد خروج العرب من الأندلس تقلص مفهومه ليدل على ما يقع جنوب شبه الجزيرة ويلفظ أندلثيا andalucia.[2]

ثانيا: الفتح العربي للأندلس:

فتح المغرب أنظار المسلمين ناحية قارة أوربا بعد استقراره على دين (محمد صلى الله عليه وسلم)، فكتب (موسى بن نصير) يستأذن الخليفة الأموي (الوليد بن عبد الملك) لفتح الأندلس، خاصة بعد أن

---

[1]–جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1975م، القاهرة، ص: 9.

[2]–أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص: 13.

تلقى رسالة من حاكم (سبتة) (يوليان) julian يشكو إليه ظلم الحاكم القوطي (لذريق) rodrigo ويزين له البلاد.

وفي سنة (91) هـ، قاد (موسى بن نصير) فرقة بقيادة طريف البربري إلى الجزيرة، ثم تبعتها سنة (92هـ/ 711م) حملة أخرى بقيادة (طارق بن زياد) ومرت عبر مضيق بحر الزقاق) الذي صار يسمى (مضيق جبل طارق، والتقى بجيش (لذريق) بوادي (لكّه)، انتصر فيها جيش (طارق) ما شجعه على مواصلة طريقه نحو باقي المدن الأندلسية.

وفي سنة (93)هـ، التحق بالجيش الفاتح (موسى بن نصير) فأخضع المناطق الغربية للحكم العربي، فما كانت سنة (95هـ/ 741م) حتى أرست الدولة الإسلامية قواعدها بالأندلس.[1]

وقد مرّ الحكم بها عبر مراحل هي:

1/ عهد الولاة (95هـ/ 138هـ):ويبدأ بتنصيب (عبد العزيز بن موسى)، وقد تميز بالصراع بين القبائل العربية وبين العرب والبربر.

2/ عهد الإمارة (138هـ/ 300هـ): يبدأ بدخول عبد (الرحمان الداخل) آخر خلفاء بني أمية إلى الأندلس هربا من سيف العباسيين. تميز حكمه بالقوة واستطاع خلاله تشييد دولة قوية لكنها انهارت شيئا فشيئا سنة (300هـ).

3/ عهد الخلافة (300هـ/ 422هـ): جاءت هذه المرحلة على أعقاب الصراعات التي ظهرت في البيت الأموي بين الأندلسيين والفاتحين عربا ومغاربة حين تولى (عبد الرحمان الثالث) الحكم. وقد استطاع أن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه، ثم نصب نفسه خليفة، وتلقب بعبد الرحمان الناصر لدين الله سنة (316هـ). وظلت الدولة الإسلامية بها قوية إلى أن عصفت بها رياح الفتنة والاضطراب فانتهت بخلع (هشام الثالث المعتد بالله) سنة (422هـ).

4/ عهد ملوك الطوائف (422هـ/ 488هـ): يتميز هذا العهد بانفصال المدن الأندلسية عن بعضها البعض، إذ صارت كل مدينة تحت سيطرة حاكم ولكل منها قانون وحدود، ونشأ بينها تنافس خلخل قوة الكيان الإسلامي بها وسمح للنصارى بفرصة التفكير في إعادة الأندلس من أيدي المسلمين.

5/ عهد المرابطين (434هـ/ 541هـ): يرجع أصل المرابطين إلى فرقة دينية أسسها (يحي بن إبراهيم الجدالي) والفقيه (عبد الله بن ياسين)، وسمي أصحابها بالملثمين والمرابطين، ومن زعمائها البارزين (يوسف بن تاشفين) الذي ضم الأندلس إلى المغرب وذلك لما استنجد به (المعتمد بن عباد) لرد هجوم

[1]– المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج 1، ص: 229 وما بعدها.

(ألفنسو السادس) على طليطلة سنة (478هـ/ 1085م)، وهزمه في معركة (الزلاقة)، وفي سنة (483هـ) وسنة (484هـ) قرّر ضم الأندلس إلى المغرب وعزل ملوك المرابطين ماعدا (بنو الأحمر) لما لمسه عندهم من قوة وجدية في الحفاظ على الكيان الإسلامي.

ولما توفي سنة (500هـ) تولى الحكم بعده ابنه (علي)، وكان أقل توفيقا منه إذ تفرق الناس من حوله وبدأت دعوة الموحدين تهدد دولته إلى أن سقطت نهائيا سنة (541هـ/ 1147م) على يد (عبد المؤمن بن علي).

6/ عهد الموحدين (515هـ/ 668هـ/ 1121م/ 1269م): يرجع أصلها أيضا إلى فرقة دينية دعا إليها الفقيه (محمد المهدي بن تومرت المصمودي)، بعد وفاته أثناء حصار (مراكش) سنة (524هـ)، خلفه (عبد المؤمن بن علي) واستكمل تأسيس الدولة.[1]

وكانوا أكثر تفهما للدين وأكثر تحضرا من المرابطين، لذلك حظوا بمحبة الناس لهم، وفي عهدهم استرجع الشعر والفكر ما كان له، وتنفس بعد الخناق الذي فرض عليه في عهد المرابطين. وطلع في عهدهم نجم الفلسفة واشتهر منهم: ابن طفيل وابن رشد. ولكن بحلول سنة (609هـ/ 1212م) انكسرت شوكة الموحدين بالأندلس وتوالت عليها ضربات النصارى فاسترجعوها واحدة تلو الأخرى إلا ما كان منها تحت سيطرة (بني الأحمر)، إذ ابتلع النصارى قرطبة سنة (633هـ)، وبلنسية سنة (636هـ)، وإشبيلية سنة (646هـ)، ومرسية سنة (664هـ).

7/ عهد بني الأحمر (629هـ/ 1232م): وقد التف حولهم الأندلسيون بعد سنوات من الصراع والضياع في محاولة لاسترجاع مجدهم، وكانت عاصمة ملكهم غرناطة وهي آخر ما تبقى من الوجود العربي بالأندلس، وقد استطاعوا إقامة ملك قوي وبناء حضارة يشهد عليها التاريخ وعمرانها المميز، لكن تصميم النصارى على إخراج المسلمين من أوربا أنهى عهد هذه الدولة في فترة (محمد أبو عبد الله الصغير) الذي سلم مفاتيحها إلى الكاثوليكين سنة (897هـ/ 1492م)، وخرج من قصر الحمراء منكسرا يستمع قول أمه:[2]

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال

---

[1]– ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة تح محمد إبراهيم الكتاين محمد زنيبر محمد بن تاويت عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1406، 1985.

[2]– عنان محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1987م، ص: 257. ينظر تاريخ الفتح العربي للأندلس ومراحله ملخصة في كتاب شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ثالثا: تعريب الأندلس:

لا شك أن عملية تعريب الأندلس قد تمت بصورة سريعة لاستقرار العرب بها بشكل واضح، وقد أشار إلى ذلك من أرّخ للإسلام وللعربية بها أمثال بروفنسال الذي أورد قول القسيس ألفارو القرطبي alvaro cordobes وكان معاصرا لعبد الرحمان الأوسط: <<إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويدرسون مذهب الفقهاء والفلاسفة المسلمين في عمق لا ليردوا عليها وينقضونها، وإنما ليكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا صحيحا، وأين تجد الآن واحدا، من غير رجال الدين، يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة. ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل... إن كل الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة بالإعجاب ... فلا تكاد تجد واحدا منهم بين الألف يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابا سليما من الخطأ. فأما عن الكتابة في اللغة العربية فإنك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا>>.[1]

رابعا: مراحل الشعر الأندلسي:

1/ مرحلة التأسيس: لاشك أنها تبدأ من زمن الفتح، وهي الفترة التي أسماها الدكتور أحمد هيكل بمرحلة التقليد، لعدم استقلالية الأدب الأندلسي فيها بخصائص تجعله مستقلا عن الأدب المشرقي. وبالنسبة للدكتور الربعي بن سلامة فإن ذاك الوسم غريب مادامت هذه الفترة لم تعرف ظهور شعراء أندلسيين، فالنصوص الشعرية المنسوبة لتلك الفترة من نظم مشارقة عرب انتقلوا للعيش بالأندلس.[2]

وأما مميزات القصيدة في هذه الفترة فيمكن تحديدها في أنها كانت تعبر عن الواقع الأندلسي ولكن بصور وألوان مستمدة من الصحراء المشرقية.

ومن شعر هذه المرحلة قول أبي الخطار حسام ابن ضرار:[3]

فليت ابن جواس يخبّر أنني سعيت به سعي امرئ غير عاقل

قتلت به تسعين تحسب أنهم جذوع نخيل صرّعت في المسايل

---

[1]– ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة الطاهر مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص: 101.

[2]– الربعي بن سلامة: محاضرات في الأدب المغربي والأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، ص: 27.

[3]– المرجع نفسه، ص: 28.

ولو كانت الموتى تباع اشتريته بكفّيّ وما استثنيت منها أناملي

وقول عبد الرحمان الداخل:

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بين وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

وقوله:[1]

يا نخل أنت غريبة مثلي في الغرب نائية عن الأصل

فابكي، وهل تبكي مكبّسة عجماء لم تطبع على خبل؟

لو أنها تبكي، إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل

لكنها ذهلت، واذهلني بغضي بني العباس عن أهلي

2/ مرحلة التأصيل: وتتميز عن المرحلة التي سبقتها بأن الشعر صار فيها معبرا عن الروح والبيئة الأندلسية بعد الاستقرار النسبي الذي حصل بالبلاد، وتمتد إلى أواخر القرن الرابع.[2]

وقد بدأ الشعر الأندلسي فيها يرسم لنفسه شخصية أكثر استقلالية عن الشخصية المشرقية، إحساس ترجمه الشعراء أمثال منذر بن سعيد البلوطي الذي أنشد أمام الخليفة عبد الرحمان الناصر متأسفا على تأخيره وتقديم أبي علي القالي:[3]

هذا المقام الذي ما عابه فند لكن قائله أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا لكنني منهم فاغتالني النكد

لولا الخلافة أبقى الله حرمتها ما كنت أرضى بأرض ما بها أحد

[1]– الربعي بن سلامة: مرجع سابق، ص: 29.

[2]– المرجع نفسه، ص: 39.

[3]– المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج 1، ص: 373.

وقد نضجت هذه الفكرة مع بدايات القرن الخامس الهجري، وممن مثلها ابن حزم بقوله:[1]

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع لجدّ على ما ضاع من ذكري النهب

ولي نحو أكناف العراق صبابة ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب

فإن ينزل الرحمان رحلي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب

وقد امتدت هذه الفكرة إلى كتب النثر فكتب ابن بسام (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) مشيدا بأدب وبأدباء الأندلس.

وتتميز أشعار هذه الفترة بأنها كانت تفيض بالبيئة الأندلسية على غرار قصائد ابن زيدون وابن خفاجة وهما من رواد شعر الطبيعة الذي عرف انتشارا لا مثيل له وهو أبرز ما ميز شعر هذه الفترة.

3/ مرحلة التجديد: يمكن التمييز بين نوعين من التجديد الذي مسّ القصيدة الأندلسية، أحدهما على مستوى الشكل وعرف ظهور أنواع شعرية جديدة منها الموشحات وستكون موضوع محاضرة لاحقة، والآخر على مستوى المضمون، وتميز بظهور معاني شعرية وموضوعات جديدة هي:

1/ الشوق والحنين لزيارة مكة المكرمة وأداء فريضة الحج: يعد هذا الغرض في طليعة الأغراض الشعرية المستحدثة بهذا القطر الإسلامي ويشترك في ذلك مع المغاربة. وأما الأسباب التي دعت إليه فكثيرة يتقدمها بعد الأندلس عن المشرق وعن الحرم الشريف وبالتالي تعذر الكثيرين عن القيام بفريضة الحج، وعدم استطاعتهم ذلك دفعتهم إلى تعويض حرمانهم من أداء هذه الفريضة عن طريق نظم الشعر، فيصف الشاعر شوقه لزيارة الكعبة ويتحدث عن أركان الحج ركنا ركنا، ويتخلل ذلك حديث إلى الرسول صلى الله عليه والدعاء بالتمكن لزيارة قبره الشريف. وقد برزت أسماء كثيرة في هذا اللوم منها: الشاعر عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ومن شعره في الموضوع قوله:

أمكة تفديك النفوس الكرائم ولا برحت تنهل فيك الغمائم

وكفّت أكفّ السوء عنك وبلّغت مناها قلوب كي تراك حوائم

فإنك بيت الله والحرم الذي لعزّته ذلّ الملوك الأعاظم

وقد رفعت منك القواعد بالتقى وشادتك أيد برّة ومعاصم

[1]– ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ق1، م1، ق1، م1، ص: 173.

إلى أن يقول:

ألهفي لأقدار عدت عنك همتي فلم تنهض مني إليك العزائم

فياليت شعري هل أرى فيك داعيا إذا ما دعت لله فيك الغمائم

وهل تمحون عنّي خطايا اقترفتها خطى فيك لي أو يعملات رواسم

وهل لي من سقيا حجيجك شربة ومن زمزم يروي بها النفس حاتم

وهل لي في أجر الملبين مقسم إذا بذلت للناس فيك المقاسم

.....

لئن فاتني منك الذي أنا رائم فإن هوى نفسي عليك لدائم

وإن يحمي حامي المقادير مقدما عليك فإني بالفؤاد لقادم

ومن الشعراء الذين أضناهم الشوق لزيارة مكة المكرمة ابن زمرك وله في إحدى مناسبات الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:[1]

يا ليت شعري هل أعرّس ليلة فأشمّ حولي أذخرا وجليلا

أو تروني يوما مياه مجنة ويشيم طرفي شامة وطفيلا

وأحط في مثوى الرسول ركائبي وأبيت للحرم الشريف نزيلا

وقد بلغ اهتمام الأندلسيين بهذا الغرض حتى صار عامة الناس –وليس الشعراء فقط– وكذا الملوك يكتبون رسائل وقصائد يضمنونها أشواقهم لزيارة البقاع المقدسة كلما حان وقت الرحيل إليه، وقد أورد المقري عددا من الأمثلة على ذلك ونها رسالة كتبها لسان الدين ابن الخطيب على لسان السلطان أبي الحجاج يوسف بن نصر جاء فيها بعد مقدمة نثرية:[2]

براني شوق للنبي محمد يسوم فؤادي برحه ما يسيمه

ألا يا رسول إله ناداك ضارع على الناي محفوظ الوداد سليمه

---

[1]– ابن زمرك: شعر وموشحات ابن زمرك الأندلسي، تق حمدان حجاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

[2]– المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب، مج 6، ص:354– 356.

مشوق إذا ما الليل مد رواقه تهمّ به تحت الظلام همومه

إذا ما حديث عنك جاءت به الصبا شجاه من الشوق الحثيث قديمه

ومنها قوله:

وكان بودي أن أزور مبوّأ بك افتخرت أطلاله ورسومه

وقد يجهد الإنسان طرف اعتزامه ويعوزه من بعد ذاك مرومه

والملاحظ على هذا اللون من القصائد اشتراكها في أفكار محددة هي: الشوق والحنين لزيارة البقاع المقدسة، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة لزيارة قبره والتبرك به، والحديث عن أبرز شعائر الحج كالوقوف بعرفة وشرب ماء زمزم والطواف وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب يوحي بالوجد مع الإكثار من وسائل التمني والاستفهام.

ومما ينبغي ذكره بمناسبة الحديث عن هذا الغرض أن المغاربة أيضا كانت لهم جولات معه، ولعل أشهر ما وصل عنهم اهتمام (أبي حمو موسى الزياني) بالمناسبة اهتماما خاصا ذكر المقري جانبا منه مستشهدا على ذلك بأقوال مؤرخين ومشايخ شاهدوا مراسيم الاحتفالات.[1]

2/ بكاء المدن والمماليك الزائلة: وهي من المواضيع البارزة في الشعر الأندلسي لتفردهم عن غيرهم من دول العالم الإسلامي بمشاهدة بلدانهم وهي تتهاوى الواحدة تلو الأخر أمام النصارى، وقد تمكن هذا الغرض الشعري من التاريخ لمشاعر الأندلسيين على مدنهم، ومن نماذج هذا اللون الشعري المستحدث قول ابن الأبار يستنجد بأبي زكريا الحفصي ليخلص (بلنسية) من الحصار سنة (635هـ):[2]

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها قد درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وحاش مما تعانيه حشاشتها فطالما ذاقت البلوى صباح مسا

يا للجزيرة اضحى أهلها جزرا للحادثات وأمسى جدها تعاسا

[1]– المصدر السابق، مج 6، ص:413 وما بعدها.

[2]– المصدر نفسه، مج 4، ص:457.

وقوله:

تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم إلا عقائلها المحجوبة الأنُفسا

وفي بلنسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

مدائن حلها الإشراك مبتسما جذلان وارتحل الإيمان مبتئسا

وصيرتها العوادي العائثات بها يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا

ثم يصل إلى غرضه وهو استنجاد الأمير الحفصي لتخليصها فقال:[1]

صل بحبلها أيها المولى الحيم فما ابقى المراس لها حبلا ولا مرسا

وأحي ما طمست منه العداة كما أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

وقال آخر في رثاء طليطلة حين سقطت بأيدي ألفونسو السادس القشتالي سنة (478هـ):[2]

طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبأ كبير

فليس مثالها إيوان كسرى ولا منها الخورنق والسدير

.....

وكانت دار إيمان وعلم معالمها التي طمست تنير

فعادت دار كفر مصطفاة قد اضطربت بأهليها الأمور

مساجدها كنائس أي قلب على هذا يقر ولا يطير

يا أسفاه يا أسفاه حزنا يكرر ما تكررت الدهور

والملاحظ أن القواسم التي يشترك فيها الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع كثيرة يتقدمها التأسف والحسرة على انتكاسة راية الإسلام وارتفاع راية الكفر، والحزن على تحول العمران والمباني وخلوها من ساكنيها ليحل محلهم النصارى، وخاصة المساجد التي تحولت من أماكن للعبادة والصلاة إلى أماكن للكفر بعد

[1]– ديوان ابن الأبار، نشر عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، 1989م، ص:395– 400. المقري، نفح الطيب، مج 4، ص:485.

[2]– المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص:483.

أن استبدل صوت الآذان منها بصوت النواقيس وأئمتها بالرهبان ومآذنها بالصلبان، ومن الشعر الذي يصور ذلك قول أبي البقاء الرندي في رثاء المدن الأندلسية بقصيدة عبرت تعبيرا صادقا عن آلام الأندلسيين ونجحت في نقل هذا الألم إلى قارئها لدقة تصويره وقد استهلها بقوله:[1]

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سرّه زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

إلى أن يقول:

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد وانهدّ ثهلان

وتتميز هذه القصيدة عن سابقاتها من قصائد هذا النوع من الرثاء أنها لم تتضمن نداء ولا استغاثة وكأن صاحبها أيقن بفوات الأوان وفقد الأمل بإمكانية استعادة الأندلس.

ومن القصائد المشهورة أيضا في هذا الغرض، قصيدة أبو محمد عبد المجيد بن عبدون في رثاء ملوك (بني المظفر) الذين حكموا(بطليوس) وقد جمعت التاريخ والأنساب والحكم والآداب –على وصف ابن دحية– ومطلعها:[2]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة عن نومة بين ناب الليث والظفر

قال المقري: <<ولم يزل أهل الأندلس بعد ظهور النصارى –دمرهم الله تعالى– على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لأخذ الثأر، بالنظم والنثار، فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق، وأعضل الداء أهل الغرب والشرق.>>[3]

[1]– المصدر السابق، مج 4، ص:486.

[2]–ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه الدكتور طه حسين، دار العلم للمجتمع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص: 27.

[3]– المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 4، ص: 479.

ومنه قول أحدهم يخاطب صاحب إفريقية (أبي زكريا):[1]

نادتك أندلس فلبّ نداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها

صرخت بدعوتك العلية فأحبها من عاطفاتك ما بقي حوباءها

واشدد بخيلك أزرها تردد على أعقابها أزراءها

وقوله:[2]

يا حسرتي لعقائل معقولة سئم الهدى نحو الضلال هداءها

كيف السبيل إلى احتلال معاهد شبّ الأعاجم دونها هيجاءها

وللإشارة فإن التجديد الذي أصاب الشعر الأندلسي لم يكن مرتبطا بهذه المواضيع فقط، فمن المواضيع الجديدة في هذا القطر موضوع رثاء النفس والبكاء عليها كما هو الحال بالنسبة للشاعر أبو المخشي القائل حين فقد بصره:

خضعت أم بناتي للعدا إذ قضى الله بأمر فمضى

ورأت أعمى ضريرا إنما مشيه في الأرض لمس بالعصا

وهي كما قال الدكتور أحمد هيكل من الموضوعات الجديدة التي لم تطرق قبل، وإن كان من المشارقة من نظم فيه فإنه لم يتمكن من تصوير التجربة كمحنة.[3]

[1]– المصدر السابق، ج 4، ص: 479

[2]– المصدر نفسه، ج 4، ص: 480.

قائمة المصادر والمراجع:

1-جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1975م، القاهرة.

2-أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1982م.

3- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ، 1968م.

4- عنان محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1987م.

5- ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م.

6- الربعي بن سلامة: محاضرات في الأدب المغربي والأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة.

7- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

8- ابن زمرك: شعر وموشحات ابن زمرك الأندلسي، تقديم حمدان حجاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

9- ديوان ابن الأبار، نشر عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، 1989م.

10- ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه الدكتور طه حسين، دار العلم للمجتمع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

11- رضوان السائحي: شعر السجون القصيدة كمعبر للحرية المعتمد بن عباد أنموذجا، عن الموقع الالكتروني: www.alakhbar.press.ma

12- صلاح الشهاوي: شعر السجون، عن الموقع الالكتروني: www.adawaanews.net بتاريخ: 3/ 4/2014 . محرك البحث: Google. تاريخ الزيارة: 1/ 6/ 2016.

13- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، مصر.

نموذج التطبيق:

قال ابن الأبار يستنجد بأبي زكريا الحفصي ليخلص (بلنسية) من الحصار سنة (635هـ):[1]

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها قد درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وحاش مما تعانيه حشاشتها فطالما ذاقت البلوى صباح مسا

يا للجزيرة اضحى أهلها جزرا للحادثات وأمسى جدها تعاسا

تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم إلا عقائلها المحجوبة الأنُفسا

وفي بلنسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

مدائن حلها الإشراك مبتسما جذلان وارتحل الإيمان مبتئسا

وصيرتها العوادي العائثات بها يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا

فمن دساتر كانت دونها حرسا ومن كنائس كانت قبلها كنسا

يا للمساجد عادت للعدى بيعا وللنداء غدا أثناءها جرسا

صل بحبلها أيها المولى الحيم فما ابقى المراس لها حبلا ولا مرسا

وأحي ما طمست منه العداة كما أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

هذي رسائلها تدعوك من كثب وأنت افضل مرجو لمن يئسا

يا أيها الملك المنصور أنت لها علياء توسع أعداء الهدى تعسا

وقد توارت الأنباء أنك من يحي بقتل ملوك الصفر أندلسا

حلل القصيدة مبرزا مظاهر التجديد التي وردت فيها.

[1]– ديوان ابن الأبار، نشر عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، 1989م، ص:395– 400.

المحاضرة الرابعة عشر: الأدب الجزائري القديم

تصميم المحاضرة:

أولا: الفتح العربي للجزائر

ثانيا: تعريب الجزائر

ثالثا: أعلام من الشعر الجزائري القديم

أولا: الفتح العربي للجزائر:

لكل أدب ظروفه الخاصة التي أنتجته، وللأدب الجزائري ظروفه التي أنتجته، وعليه لا يمكن الحديث عنه إلا ببسط البعض منها.

تنتمي الجزائر إلى دول المغرب العربي، وتقع في شمال قارة إفريقيا في موقع جعلها محط أنظار وميزها بجغرافية ومناخ مميزين. وقد سكنها –قبل دخول العرب إليها– الأمازيغ أو البربر.[1]

وقد تشرفت بالديانة الإسلامية إثر الغزوات التي قادها الفاتحون باتجاه المغرب العربي بعد أن استكملوا فتح مصر، وتولى هذه المهمة –بتكليف من الخليفة (معاوية بن أبي سفيان)– القائد العظيم (عقبة ابن نافع) سنة (50هـ/ 671م). وقد تمّ له فتح تونس وبناء مدينة القيروان وجعلها منطلقا لباقي الفتوحات. فلما عزل سنة (55هـ) تولى مهامه القائد (أبو المهاجر دينار) واستطاع أن يصل بالجيش الفاتح إلى غاية مدينة تلمسان. وبعده أكمل الفتح (عقبة ابن نافع) بعد إعادة تعيينه ثانية سنة (62هـ) ووصل بالجيش الفاتح إلى غاية المحيط الأطلسي إلى أن توفي عام (63هـ)، في منطقة (تهودة) بالقرب من بسكرة على أيدي الزعيم البربري كسيلة، فاستكمل (حسان بن النعمان) سنة (71هـ) الفتح وهزم (الكاهنة) سنة (80هـ). وفي سنة (86هـ) عين (موسى بن نصير) على المغرب،[2] وتم تقسيم المغرب إلى مناطق إدارية أهمها: طنجة وتلمسان والقيروان. وبعدها نشأت بالجزائر قديما دويلات عززت العربية والإسلام وشيدت العمران والثقافة هي:

1/ الدولة الرستمية: وأسسها (عبد الرحمان بن رستم الإباضي) عاصمتها (تيهرت) من سنة (160هـ) إلى سنة (296هـ).[3]

---

[1]– محمد بن مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 1. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عهد الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص: 50، 51.

[2]– شوقي ضيف: المرجع نفسه، ص: 23 وما بعدها.

[3]– محمد زينهم محمد عزب: قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2013، 1334.

2/ الدولة العبيدية: وأسسها (عبيد الله الفاطمي الشيعي) بين سنتي (296هـ) و(361هـ).[1]

3/ الدولة الصنهاجية: مؤسسها (بلكين بن زيري ابن منّاد الصنهاجي) بعد أن نقل (المعز لدين الله الفاطمي) ملكه إلى القاهرة بمصر سنة (361هـ).

4/ الدولة الحمادية: أعلن قيامها (حماد بن بلكين) عام (405هـ) عاصمتها (القلعة) ثم بجاية لكنها لم تصمد أمام الموحدين فسقطت سنة (547هـ).

5/ الدولة الزيانية: (633- 796هـ/ 1269م- 1393م): وهي من الدول التي انشقت عن دولة الموحدين عاصمتها تلمسان.[2]

ثانيا: تعريب الجزائر:

لا شك أن عملية التعريب في الجزائر كانت كغيرها في باقي مدن المغرب العربي تسير جنبا إلى جنب مع عملية الفتح ونشر الدين الإسلامي، وأمام شح المصادر وإغفال المؤرخين الحديث عن الجانب الثقافي للجزائر قبل الفتح وفي السنوات الأولى له، وتركيزهم على الجوانب السياسية وعدم استقرار العرب في البلاد وانتقالهم إلى الأندلس، فإن الأمر لا يخرج عن تخمينات الدارسين.

ولا شك أن المساجد كانت النواة الأولى التي انتشرت منها اللغة العربية خاصة وأن العرب كانوا يحرصون على بناء المساجد في كل المدن التي يصلون إليها لتعليم الناس مبادئ اللغة العربية وبالتالي الدين الإسلامي، وهذا عزز مكانة اللغة العربية عند البربر وساعدها على الانتشار بسرعة شديدة.

ثالثا: أعلام من الشعر الجزائري القديم:

1/ أبو الطيب أحمد ابن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي: من شعراء الجزائر، وذكره ابن دحية الكلبي، وقال عنه: <<ومن أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب، المتمسكين منه بأمتن سبب، أبو الطيب أحمد ابن الحسين بن محمد المهدوي المسيلي، له مقطعات غزل أحسن من قطع الرياض، وأغزل من العيون المراض. وكان شعره مدونا بالثغر الأعلى بمدينة سرقسطة. انفرد بروايته عالمها وحسيبها الفقيه العالم النحوي الأصولي المتكلم أبو جعفر محمد بن حكم بن باق السرقسطي.>>[3]

---

[1]- ينظر: محمد علي الصلابي: الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والفهرسة، ط1، 2006، القاهرة، مصر.

[2]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عهد الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان ، ص: 32 وما بعدها.

[3]- ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، دار العلم للمجتمع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص: 41.

ومن شعره قوله:[1]

متى طلعت تلك الأهلة في الخمر ونابت لنا تلك العيون عن الخمر

ومن علّم الأعجاز تستعجز النقا وهذي الثنايا الزهر تسطو على الدر

شموس أبت إلا الشماس سجيةً وأقمار حسن في الهوى قمرت صبري

وهي حسب ما جاء في المطرب عند أهل النقد افضل من قول علي ابن الجهم:[2]

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

ومن جميل شعره قوله:[3]

خطرت على وادي العذيب بأدمعي فما جزته إلا وأكثره دم

وقد شربَتْ منه كرام جيادنا فكادت بأسرار الهوى تتكلم

سرى البرق من نعمان يخبر أنه سيشقى بكم من كان بالأمس ينعم

رحلتم، فهذا الليل فيكم فلم يعد إليّ سواه فيكم إذا رحلتم

وما أنا صبّ بالنجوم وإنما تخيل لي الآفاق أنكم همُ

ومن بديع قوله:[4]

سلّم إذ مرّ ولي همّة تستنزل الأقمار والأنجما

تظمى ولا تروى ولو أنني ألثمتها وجنته والفما

فقلت للنفس وقد أزمعت أن ترد السلوان خوف الظما

هذا كثير فاشكري واحمدي فكيف لو مر وما سلّما

---

[1]– المصدر السابق، ص: 45.

[2]– المصدر نفسه، ص: 45.

[3]– المصدر نفسه، ص: 46.

[4]– المصدر نفسه، ص: 47.

2/ أبو عبد الله بن قاضي ميلة: وعنه قال ابن دحية الكلبي: <<أشعر من دب بميلة ودرج، وخل بها وخرج>>[1]. وهو أحد شعراء المائة الخامسة وطريقته في الغزل هي طريقة عمر بن أبي ربيعة.[2] من شعره قوله:

رحل الركب والشوق مقيم كيف يسري مع الصحاح السقيم

وبتلك القباب ريم تولى وضلوعي كهف له ورقيم

أمه الشمس وهو أعجب شيء فمتى أنْتَجَتْه وهي عقيم

أقعدتني حوادث الدهر عنه هكذا الدهر مقعد ومقيم

وقال وقد سمع حمامة في عتمة الليل:[3]

ومُرِنّة قدحت زناد صبابتي والبرق يقدح في الظلام شراره

ورقاء تأرق مقلتي لبكائها ليلا إذا ما هوّمت سمّاره

إيه بعيشك يا حمامة خبّري كيف الكئيب ورنده وعراره

أترنحت بجوانحي أثلاته أم أينعت بمدامعي أزهاره

3/ محمد بن زكريا القلعي: من شعراء قلعة بني حماد ومن شعره:[4]

ملك إذا طُلب الغَمامُ بفوق ما في وسعه فعلى نداه يحيل

زجرت مواهبه المساغب أن ترى ولها بساحة مجتديه حلول

وقوله:

وقاد الجياد الأعوجيات دونها عوابس تطفو في العَجاج وترسب

عساكر مثل الطرف غن خفن ضلّة أضاء لها ليل الحديد المذوّب

يمرّ نُهاه بالشكوك فتنجلي ويجري نداه في الأُجاج فيعذب

---

[1]– ابن دحية الكلبي: المطرب في أشعار أهل المغرب، ص: 48.

[2]– المصدر نفسه، ص: 48.

[3]– المصدر نفسه، ص: 49.

[4]– المصدر نفسه، ص: 52.

4/ أبو علي الحسن علي بن رشيق: هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، من مواليد (المحمدية) سنة تسعين وثلاثمائة من أب رومي، وهو من شعراء وأدباء القيروان ونقّادها الفضلاء، فيها نبغ واشتهر وإليها انتسب وبها نشأ وتأدّب، وقد وفد عليها سنة (406هـ) التقى بابن شرف وعاشا مع بعض في جوّ من المنافسة في بلاط (المعز) إلى أن أتت الحملة الهلالية على المكان، فشتّتت أمنه، وهجّرت أهله، وكان الرجل ضمن من خرج إلى (صقلية) متحسّرا، وله في ذلك شعر، ثمّ استقر في الأندلس إلى أن توفي بإشبيلية. من مؤلفاته: ديوان شعر وكتب نقدية أشهرها: (قراضة الذهب في نقد أشعار العرب)، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، و(أنموذج الزمان في شعراء القيروان)، ومنها أيضا: (طراز الأدب)، و(الممادح والمذام)، و(متفق التصحيف)، و(تحرير الموازنة)، و(أرواح الكتب)، و(غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون)، و(شعراء الكتاب)، و(صدق المدائح)، من أساتذته: الحسن ابن أبي الرجال، والقزاز القيرواني، وعبد الكريم النهشلي، اختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته فقيل أن ذلك كان سنة (463هـ)، وقيل سنة (456هـ) وهو الأرجح.[1]

قال عنه ابن بسام: <<ابن رشيق إن نظم طاف الأدب واستلم، أو نثر أهل العلم وكبّر، أو نقد سعى الطبع الصقيل وحفد، أو كتب سجد القلم الضئيل واقترب>>.[2]

وذكر ابن دحية أنه كان شاعر حسن كثير الدعابة، وذكره مع شعراء صقلية[3] ربما لمقامه بها بعد خروجه من القيروان بعد سقوطها مع منافسه ابن شرف واستقراره بها. من شعره في مدح أبي يحي تميم بن المعز:[4]

أصحُّ واقوى ما رويناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث تمليها السيول عن الحيا عن البحر عن جود الأمير تميم

وقوله:

لو أورقت من دم الأبطال سمرُ قنًا لأورقت عنده سمر القنا الذُّبُلُ

إذا توجه في أولى كتائبه لم تفرق العين بين السهل والجبل

---

[1]– ينظر: ابن رشيق: العمدة، تح عبد الحميد هنداوي، ص: 5– 8. أحمد يزن، النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ص: 141.

[2]– ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق4، م2، ص: 597.

[3]– ابن دحية الكلبي: المطرب في أشعار أهل المغرب، ص: 57.

[4]– المصدر نفسه، ص: 58.

فالجيش ينفض حوليه أسنّته نفض العقاب جناحيها من البلل

5/ بكر بن حماد التاهرتي: هو أبو عبد الرحمان بكر بن حماد بن سهل وقيل بن سهر الزناتي التاهرتي، ولد بتاهرت حوالي 200هـ، وبها نشأ وتعلم إلى أن صار عمره سبعة عشر سنة فخرج منها إلى إفريقية والمشرق طلبا للعلم، وبالمشرق وتحديدا ببغداد اتصل بالخليفة المعتصم بالله، وبالشاعر دعبل الخزاعي. أخذ الحديث عن كبار علماء بغداد أمثال (عمر بن مرزوق البصري) و(مدد بن مصرهد الأسدي) و(أبي الحسن البصري) و(بشر بن حجر)و(أبي حاتم السجستاني) (ت250هـ) والنقى (بالرياشي) و(ابن الأعرابي) و(أبي تمام) و(علي ابن الجهم الخراساني) من الأدباء. قضى آخر أيامه بمسقط رأسه (تاهرت) مفجوعا بوفاة ولده (عبد الرحمان) بعد أن قطع عليهم السبيل لصوصا بالمكان المسمى قلعة (حمة) وهو في طريق العودة من القيروان سنة (295هـ). توفي سنة (296هـ).[1]

عرف عنه أنه علّم الحديث والأمانة والاجتهاد في طلب العلم، وأما أغراض شعره فتنوعت بين الوصف والشوق للأهل وللوطن والرثاء والهجاء والزهد.

الوصف: وأكثره جاء في وصف مدينة تاهرت كقوله:[2]

ما أخشن البرد وريعانه وأطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنشر من تخت
نحن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على السمت

الهجاء: وأشهر ما قاله في الغرض: قصيدة معبرة عارض بها الشاعر عمران بن حطان الذي مدح قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي ابن الجهم، ومما جاء فيها:[3]

قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره أضحت مناقبه نورا وبرهانا

وبعد أن ذكر بخصال علي رضي الله عنه وبمكانته عند النبي صلى الله عليه وسلم، قال هاجيا قاتله:[4]

إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدت قبائلها وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خسرانا

---

[1]- بكر بن حماد: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، تح محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية بمستغانم، ط1، 1385هـ، 1966م، ص: 43- 52.

[2]- المصدر نفسه، ص: 61.

[3]- المصدر نفسه، ص: 62 ، 63.

[4]- المصدر نفسه، ص: 64.

فما قام به قاتل علي شبيه بما قام به قوم صالح حين عقروا الناقة التي نهاهم عنها رسولهم فغضب الله تعالى عنهم. ومنها انتقل إلى معارضة الشاعر عمران بن حطان الذي مدح القاتل قائلا:[1]

فلا عفا الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطان
لقوله في شقي ظل مجترما ونال ما نال ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى مخلدا قد أتى الرحمان غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

المدح: وله في المدح مقطوعات منها ما قاله في حاكم جراوة وتلمسان أبو العيش عيسى بن إدريس:[2]

سائل زواغة عن سيوف فعاله ورماحه في العارض المتهلل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الدبل
وغشى مغيلة بالسيوف مذلة وسقى جرواة من نقيع الحنظل

الزهد: كما برع بكر بن حماد في الزهد ويبدو الغرض قريبا منه بحكم تدينه ومما قاله:[3]

تبارك من ساس الأمور بعلمه وذل له أهل السماوات والأرض
ومن قسم الأرزاق بين عباده وفضل بعض الناس فيها على بعض
فمن ظن أن الحرص فيها يزيده فقولوا له يزداد في الطول والعرض

ومن جميل قوله أيضا:[4]

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مروقها
فيا أسفي من جنح ليل يقودها وضوء نهار لا يزال يسوقها
إلى مشهد لابد لي من شهوده ومن جرع للموت سوف أذوقها
ستأكلها الديدان في باطن الثرى ويذهب عليها طيبها وخلوقها

الاعتذار: قال معتذرا لأبي حاتم الرستمي:[5]

أبا حاتم ما كان ما كان بغضة ولكن أتت بعد الأمور أمور
فأكرهني قوم خشيت عقابهم فداريتهم والدائرات تدور
وأكرم عفو يؤثر الناس أمره إذا ما عفا الإنسان وهو قدير

---

[1]– المصدر السابق، ص: 66.

[2]– المصدر نفسه، ص: 74.

[3]– المصدر نفسه، ص: 77.

[4]– المصدر نفسه، ص: 78.

[5]– المصدر نفسه، ص: 84.

الرثاء: ومن القصائد المؤثرة فيه رثاؤه لابنه عبد الرحمان وفيه يصور عاطفة أب مصابه جلل وفيها يقول:[1]

بكيت على الأحبة إذ تولوا ولو أني هلكت بكوا عليا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد كيا
كفى حزنا بأنن منك خلو وأنك ميت وبيقت حيا
ولم أكن آيسا فيئست لما رميت الترب فوقك بيديا

وله في رثاء نفسه وقد دخل عليه جماعة من أصدقائه فلم يستطع القيام:[2]

أحبو إلى الموت كما يحبو الجمل قد جاءني ما ليس لي فيه حيل

خاتمة:

لم يتأخر الجزائريون قديما عن ركب الإبداع العربي، فأعجبوا بالشعر وترجموا ذلك إبداعا فكان لهم شعر حافل بالمواضيع والمعاني، متأثرين فيه بالمشارقة من جهة، وبالأندلسيين من جهة أخرى، يحكمهم خصوصية البلاد والحياة الاجتماعية بها. وأشهر الشعراء القدامى بكر بن حماد الذي خلّف ديوانا يدل على عراقة الإبداع الجزائري القديم وأصالته.

[1]– المصدر السابق، ص: 88.

[2]– المصدر نفسه، ص: 92.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، دار العلم للمجتمع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

2- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الحميد هنداوي.

3- أحمد يزن: النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب.

4- ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

5- بكر بن حماد: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، تح محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية بمستغانم، ط1، 1385هـ، 1966م.

6- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عهد الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان، دار المعارف، القاهرة، مصر.

7- محمد بن مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 1.

8- محمد علي الصلابي: الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والفهرسة، ط1، 2006، القاهرة، مصر.

9- محمد زينهم محمد عزب: قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2013، 1334.

نموذج التطبيق:

قال بكر بن جماد في هجاء عمران بن حطان الذي مدح قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي ابن الجهم:[1]

قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره أضحت مناقبه نورا وبرهانا
إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدت قبائلها وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خسرانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطان
لقوله في شقي ظل مجترما ونال ما نال ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى مخلدا قد أتى الرحمان غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

حلل القول مستأنسا بما تعلمته عن الشعر الجزائري وعن شعر بكر بن حماد.

[1]– ديوان بكر بن حماد التاهرتي، ص: 62– 66.

خاتمة عامة:

ختاما لما جاء نصل إلى جملة من النقاط التي يمكن عدها نتائج عامة أهمها:

أولا: يتصدر الشعر قائمة الفنون من حيث علوق العربي به وتمكنه منه عبر مختلف العصور، فمنذ العصر الجاهلي احتل الشعر مكانة بارزة بين العرب، فمارسوه موهبة، وتذوقوه فنا، وأعجبوا به لونا أدبيا حمل همومهم، ووصف مشاعرهم، وعبّر عن أحاسيسهم، وترجم سبل حياتهم ومعارفهم ونمط عيشهم.

ثانيا: الشعر فن أصيل عند العرب، وأصالته تتبع من تاريخه العريق بدءا بالعصر الجاهلي، وقد تميز بالتبدل والتغير عبر الزمن، إذ عايش العصور العربية والحضارة العربية بمختلف أطوارها، وإن اتهم بعضه في انتمائه أو أصالته كما حدث مع المعلقات أو مع الشعر الجاهلي، فإن الخصائص التي يحملها في جوهره كافية للتدليل على ما فيه من حقيقة نسب وصدق.

ثالثا: تمكن من النظم في الشعر طبقات مختلفة، فلم يكن الأمر مقتصرا على السادة أو الفرسان أو القادة، لذلك نبغ فيه الصعاليك والزهاد والمتصوفة والعشاق، وهذا بدوره يترجم مقدرة الشعر على احتمال مختلف المشاعر والأحاسيس والأفكار والرؤى.

رابعا: حقق الشعر العربي والثقافة العربية انتصارا عظيما لما خرج من شبه الجزيرة العربية إلى المغرب والأندلس، إذ أقبلت عليه الشعوب غير العربية، فرددت ما جاء على ألسنة المشارقة وأبدعت لنفسها فنونا شعرية خاصة بها كالموشحات والأزجال وقصائد رثاء المدن وعروض البلد الذي اختص به المغاربة، والمولديات وقصائد الشوق والحنين لزيارة مكة المكرمة، وغيرها من القصائد التي جادت بها قرائح المغاربة والأندلسيين.

ثبت المصادر والمراجع:

1.إبراهيم محمد منصور: الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، سبتمبر 1996.

2.إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1406هـ، 1986م.

3. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين. دار الثقافة، بيروت، ط 5، 1978.

عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، القاهرة، 1967.

4. أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط4.

5. أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

6. أحمد يزن: النقد الأدبي في القيروان في العهد الصنهاجي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب.

7. ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

8. أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط7، 1994.

9.أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح الخطيب التبريزي، ، كتب حواشيه وفهارسه غريد الشيخ أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م، ج1.

10. ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه الدكتور طه حسين، دار العلم للمجتمع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

11. الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1418هـ، 1998م.

12. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، 1942.

13. جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1975م.

14. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981

15. حافظ محمد عباس الشمري، عبد علي هبيد الشمري: اتجاهات الغزل العذري وسماته الفنية في العصر الأموي، الكلية التربوية المفتوحة.
16. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986.
17. عبد الحميد جيرة: مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م.
18. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ج1.
19. السراج الطوسي: اللمع في التصوف، تح عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1380هـ، 1960م.
20. الربعي بن سلامة: محاضرات في الأدب المغربي والأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة.
21. ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.
22. عبد الرحمان بدوي: دراسات حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملاين، ط1، 1979.
23. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
24. أبو زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الطباعة المنيرية، 1352هـ.
25. سامي مكي: الإسلام والشعر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس، 1996.
26. ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، دراسة طه أحمد إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ، 2001م.
27. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط11، ديسمبر 1960.
28. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 7، 1963.
29. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط16، ديسمبر 1966.

30. شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط5.

31- أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري: الحماسة، تح محمد إبراهيم حُوِّر أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، 1428هـ، 2007م.

32-أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراوزي التادلي: الحماسة المغربية، تح محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1411هـ، 1991م.

33.ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة تح محمد إبراهيم الكتاين محمد زنيبر محمد بن تاويت عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1406، .1985

34. ابن عربي: رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، شرح قاسم محمد عباس وحسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998 .

35. ابن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، لبنان.

36. عبد العزيز الأهواني: الزجل في الأندلس، القاهرة، .1967

37. عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 1428 هـ، 2007 م.

38. عمر الدقاق: مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، منشورات كلية الآداب، جامعة حلب، ط5، .1977

39. عمر رضا كحالة: الحب، مؤسسة الرسالة، سورية، بيروت، ط1، 1968هـ، 1978م.

40.عنان محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1987م

41. غيثاء قادرة: لغة الجسد في شعر الصعاليك، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2013.

42. فاطمة تجور: المرأة في الشعر الأموي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

43. فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، تر إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1934.

44. فوزي عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007م.

45. عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1418هـ، 1997م.

46. طاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1987.

47.عبد الله عطية عبد الله الزهراني: أثر الإسلام في نقض جرير شعر الأخطل، رسالة ماجستير في الأدب العربي، إشراف الدكتور حسن محمد باجودة، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العربية، المملكة العربية السعودية، العام الدراسي، 1427هـ.

48. عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف .

49. عبد الله بن حامد الحامد: شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، كلية اللغة العربية بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1391هـ، 1971م.

50.عبد الله عبد الرحيم عسيلان: حماسة أبي تمام وشروحها، دار إحياء الكتب العلمية.

51. ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في اسبانيا، تر الطاهر مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

52. محمد سهيل طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، شدار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ، 2009م.

53.محمد الرابع الحسني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1985م.

54. محمد زينهم محمد عزب: قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2013، 1334.

55. محمد شمس عقاب: المراثي النبوية في أشعار الصحابة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ، 2013م.

56. محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، ط1، 1433هـ، 2012م.

57. محمد بن مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 1.

58. محمد علي الصلابي: الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والفهرسة، ط1، 2006، القاهرة، مصر.

59. مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

60. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، مصر، ربيع الآخر 1359هـ، ماي 1940م، ط1، ج.2

61. عبد المنعم الحفني: رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ، 1991م، ط2، 1416هـ، 1996م.

58. محمد عبد المنعم خفاجي: التصوف في الإسلام وأعلامه، درا الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.

62. مي يوسف خليف: مصادر تراثية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.

63. النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.

64. ابن هشام: السيرة النبوية، شرح مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

65. أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، ط 1، 1371 هـ، 1952 م.

66. الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد: فتوح الشام، تح عبد اللطيف عبد الرحمان، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1997م، ط1، ج1.

67. يحي الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1407هـ، 1986م.

68. يحي الجبوري: قصائد جاهلية نادرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

69. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر.

70. يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب، العصر الأموي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

الدواوين الشعرية:

1. ديوان ابن الأبار، نشر عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر، 1989م.
2. ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م.
3. ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.
4. ديوان بشار بن برد، جمع محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1386هـ، 1966م.
5. ديوان بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، تح محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية بمستغانم، ط1، 1385هـ، 1966م.
6. ديوان تأبط شرا وأخباره، تح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ، 1984م.
7. ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط 2، 1414هـ، 1994م.
8. ديوان جرير، تح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1986م.
9. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح عبدأ مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1994م.
10. ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1993م.
11. ديوان الخنساء، دار صادر بيروت، لبنان.
12. ديوان الخنساء دراسة وتحقيق، إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1405هـ، 1985م.
13. ديوان جميل بن معمر، دار صادر، بيروت.
14. ابن زمرك، شعر وموشحات ابن زمرك الأندلسي، تق حمدان حجاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
15. ديوان الشنفرى، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ، 1996م.
16. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.
17. ديوان طرفة ابن العبد، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1423 هـ، 2002 م.

18. ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تح حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

19. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تح أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998م.

20. ديوان علقمة، شرح الأعلم الشنتمري، تح لطفي الصقال درية الخطيب، راجعه فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي، حلب، سوريا، ط1، 1389هـ، 1969م.

21. ديوان علي بن أبي طالب، جمع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، رمضان، 1405هـ، أيار 1985م.

22. ديوان علي ابن الجهم، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية.

23. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تقديم فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1416هـ، 1996م.

24. ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمع مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، ط2، 1405هـ، 1985م.

25. شرح ديوان عنترة بن شداد، الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ، 1992م.

26. ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت.

27. ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

28. ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م.

29. ديوان عفيف الدين التلمساني، تح يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2008.

30. ديوان أبي العلاء المعري، سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1376هـ، 1957م.

31. ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م

32. ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دراسة يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1460هـ، 1999م.

33. ديوان كعب ابن مالك، تح سامي مكي العاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط2، 1997.

34. ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، تقديم حنا ناصر الحتى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1992م.

35. ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، 1425هـ.

36. ديوان عبد الله ابن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، تح وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1402هـ، 1982م.

37. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م.

38. ديوان أبي الطيب المتنبي: شرح عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

39. ديوان امرئ القيس، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، 1425هـ

40. ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، تح حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، راجعه طه حسين، ط 2، 1421 هـ، 2000م.

41. ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تح بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1431هـ، 2010م.

42. ديوان الهذليين، تح محمود أبو الوفا، أحمد الزين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ، 1965م.

43. ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تح شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1388، 1968.

القواميس والمعاجم:

1. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1991م.

2. جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2010.

3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ترتيب عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، 1424هـ.

4. داود سليمان العنبكي، إنعام داود سلوم: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ترتيب داود سلوم، ط1، 2004.
5. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج العروس وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.
6. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مطبعة السعادة، ط 2، القاهرة، 1332هـ.
7. محمد بن أبي بكر الرازي: معجم الصحاح، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990.
8. محمد محي الدين عبد الحميد: محمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح للغة.
9. ابن منظور: لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، تنسيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.
10. بول آرون دينيس سان جاك آلان فيالا : معجم المصطلحات الأدبية، تر محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ، 2012م.

الدوريات والمجلات:

1. باسم إدريس قاسم: الشاعر الجاهلي والوجود دراسة فلسفية ظاهراتية، مجلة المستقبل العربي، جامعة الموصل.
2. راميا محفوض: أنس ياسين: صورة الذات المتفردة في شعر الفتوحات الإسلامية، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 28، العدد 1، 2006.
3. زهرا سعيدي: دراسة حول حقيقة زهديات أبي العتاهية، مجلة التراث الأدبي، السنة 2، العدد 8.

دراسات ومذكرات:

1.عبد الله بن حامد الحامد: شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، إشراف الدكتور عبد الرحمان رأفت الباشا، موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، 1391 هـ، 1971 م.
2.عبد الله عبد الرحمان الجعيثن: شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول، بحث مقدم لنيل الدرجة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض، إشراف الدكتور عبد الرحمان رأفت الباشا، كلية اللغة العربية بالرياض، المملكة العربية السعودية.

3.عبد الله عطية عبد الله الزهراني: أثر الإسلام في نقض جرير شعر الأخطل، رسالة ماجستير في الأدب العربي، إشراف الدكتور حسن محمد باجودة، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، العام الدراسي، 1427هـ.

4.علي خليل محمود الطل: التقية في الشعر الأموي، إشراف الدكتور عبد المؤمن حافظ الرجبي، مذكرة ماجستير، جامعة الخليل، شعبان 1426هـ، أيلول 2005م.

5.محمود لطفي نايف عبد الله: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري، دراسة موازنة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، إشراف أ. د/ وائل أبو صالح، 19/ 01/ 2009.

مراجع الكترونية:

1. تيسير العفيشات: الشعر والفلسفة، موقع: الحوار المتدن، تاريخ الإضافة: 17/ 2/ 2010، عن الموقع الإلكتروني: www.m.ahewar.or محرك البحث: Google، تاريخ الزيارة: 10/ 07/ 2017، 16. 16 سا.

2. جبر شعث: عن الشعر والفلسفة، عن الموقع الالكتروني: www.aleftoday.info، محرك البحث: google، تاريخ الزيارة: 2017/07/10، 33، 16 سا.

3. جميل بدوي حمد الزهيري: المحمولات الثقافية في قصيدة المديح السياسية في العصر الأموي، مجلة كلية التربية، قسم اللغة العربية، واسط، العراق، العدد 13، نيسان 2013.

4. جميل السلحون: أدب السجون، الموقع الالكتروني: www.m.ahewar.org بتاريخ: 16/ 11/ 2012، تاريخ الزيارة: 08/ 07/ 2017، زمنها: 21. 11.

5. عبد الحليم محمد حسين: الفخر والحماسة في الشعر العربي، 27/ 02/ 2012 م- 4/ 4/ 1433 هـ، عن شبكة الألوكة www.alukah.netK، تاريخ الزيارة وزمنها: يوم: 8/ 8/ 2017، 47. 16 سا.

6. رضوان السائحي: شعر السجون القصيدة كمعبر للحرية المعتمد بن عباد أنموذجا، عن الموقع الالكتروني: www.alakhbar.press.ma

7. السيد عبد الحليم محمد حسين: الفخر والحماسة في الشعر العربي، 27/ 02/ 2012 م- 4/ 4/ 1433 هـ، عن شبكة الألوكة www.alukah.netK، تاريخ الزيارة وزمنها: يوم: 8/ 8/ 2017، 47. 16 سا.

8. صلاح الشهاوي: شعر السجون، عن الموقع الالكتروني: www.adawaanews.net بتاريخ: 3/ 2014/4 .محرك البحث: Google. تاريخ الزيارة: 1/ 6/ 2016.

9. علي محمد اليوسف: الفلسفة والشعر، منتدى ديار عن الموقع الالكتروني: http://aldyarlondon.com 27 آذار/ مارس .2017

10. فرهاد ديو سالار معصومة بويا: دراسة الغزل في العصر الجاهلي، الأربعاء ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٥.

11. محمد بَرُّونة: شعر الصعاليك. قراءة في المتن: عن الموقع الالكتروني : 1http://insaniyat.revues.org/1046 http://www.startimes.com/?t=16372740 ماي 2012، بتاريخ: 6 نوفمبر 2016.

12. محمد بلاسي: المعلقات بين الحقيقة والخيال، عن الموقع الالكتروني: http://www.darululoomdeoband.com/arabic/magazine/tmp/1326694317fix 5sub2file.htm

13. مصطفى مرادا: الشعر والفلسفة حدود اللقاء بين القلب والعقل، تاريخ الإضافة: 16/ 01/ 2012، عن الموقع الإلكتروني: www.maghress.com، محرك البحث: google، تاريخ الزيارة وزمنها: 10/ 07/ 2017، 16.16 سا.

14. الموشحات، الموقع الالكتروني: http://www.onefd.edu.dz

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....أ

المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا .....ص: 4

أولا: الإطار الجغرافي والثقافي للشعر العربي.....ص: 4

ثانيا: الشعر الجاهلي ص:5

ثالثا: أوليات الشعر الجاهلي .....ص: 7

رابعا: خصائص الشعر الجاهلي.....ص: 8

خامسا: فنون الشعر العربي القديم .....ص: 11

المحاضرة الثانية: المعلقات مضامينها وأساليبها .....ص: 21

أولا: تعريف المعلقات .....ص: 21

ثانيا: نمادج من المعلقات .....ص: 21

ثالثا: التسلسل الفكري للمعلقات:.....ص: 32

رابعا: الخيال والتصوير في المعلقات .....ص: 34

المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك.....ص: 40

أولا: الصعاليك لغة واصطلاحا .....ص: 40

ثانيا: أسباب الظاهرة.....ص: 44

ثالثا: شعر الصعاليك .....ص: 45

رابعا: مواضيع شعر الصعاليك.....ص: 46

خامسا: مميزات شعر الصعاليك.....ص: 52

المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات.....ص: 57

أولا: الحياة الأدبية في صدر الإسلام.....ص: 57

ثانيا: مفهوم شعر الفتوحات .....ص: 59

ثالثا: أغراضه .....ص: 59

رابعا: خصائصه.....ص: 65

المحاضرة الخامسة: المراثي النبوية.....ص: 71

أولا: الرثاء في الشعر العربي.....ص: 71

ثانيا: المراثي النبوية .....ص: 71
ثالثا: مضامين المراثي الإسلامية.....ص: 72
رابعا: خصائص شعر المراثي النبوية.....ص: 73
المحاضرة السادسة: شعر النقائض .....ص: 81
أولا: تعريف النقائض.....ص: 81
ثانيا: النشأة والتطور .....ص: 82
ثالثا: عوامل تطور النقائض في العصر الأموي.....ص: 83
رابعا: تدوين النقائض .....ص: 83
خامسا: موضوعات النقائض .....ص: 84
سادسا: أعلام النقائض.....ص: 87
المحاضرة السابعة: الشعر العذري والشعر العمري .....ص: 95
أولا: الغزل لغة واصطلاحا .....ص: 95
ثانيا: الغزل في الشعر العربي .....ص: 96
ثالثا: الغزل الأموي .....ص: 99
رابعا: الغزل العمري واللذة الحسية .....ص: 99
خامسا: خصائص شعر عمر ..... ص: 101
سادسا: الغزل العذري..... ص: 104
سابعا: خصائص الشعري العذري..... ص: 105
ثامنا: جميل ابن معمر واللذة الروحية..... ص: 106
المحاضرة الثامنة: شعر الزهد والتصوف..... ص: 111
شعر الزهد..... ص: 111
أولا: مفهوم الزهد لغة واصطلاحا ..... ص: 111
ثانيا: نماذج وأعلام من شعر الزهد ..... ص: 112
ثالثا: خصائص شعر الزهد..... ص: 115
رابعا: محاور شعر الزهد ص:116
شعر التصوف..... ص: 117

أولا: مفهوم التصوف..... ص: 117
ثانيا: التصوف والشعر..... ص: 118
ثالثا: نماذج وأعلام من شعر التصوف..... ص: 120
المحاضرة التاسعة: شعر الحماسة..... ص: 127
أولا: مفهوم شعر الحماسة..... ص: 127
ثانيا: معاني وموضوعات شعر الحماسة..... ص: 130
ثالثا: تدوين وجمع شعر الحماسة..... ص: 131
المحاضرة العاشرة: الشعر السياسي في المشرق والمغرب ..... ص: 139
أولا: الشعر السياسي في المشرق..... ص: 139
ثانيا: شعر السجون..... ص: 145
ثالثا: الشعر السياسي بالمغرب والأندلس..... ص: 148
رابعا: مميزات الغرض الموضوعية والفنية..... ص: 150
المحاضرة الحادية عشر: الشعر الفلسفي وشعر الحكمة..... ص: 155
أولا: الشعر الفلسفي عند العرب حتى العصر العباسي..... ص: 155
ثانيا: الحكمة لغة واصطلاحا..... ص: 160
ثالثا: شعر الحكمة..... ص: 160
رابعا: موضوعات شعر الحكمة..... ص: 161
خامسا: مصادر الحكمة في الشعر العربي..... ص: 162
المحاضرة الثانية عشر: الموشحات والأزجال..... ص: 166
أولا: تعريف الموشحات ..... ص: 166
ثانيا: عوامل نشأتها وانتشارها..... ص: 167
ثالثا: البناء الفني للموشحات ..... ص: 168
رابعا: أوزان الموشحات..... ص: 168
الأزجال ..... ص: 169
أولا: تعريف الأزجال لغة واصطلاحا..... ص: 169
ثانيا: أغراض الزجل..... ص: 170

المحاضرة الثالثة عشر: الأدب الأندلسي ..... ص: 176
أولا: الأندلس جغرافيا وتاريخيا ..... ص: 176
ثانيا: الفتح العربي للأندلس..... ص: 176
ثالثا: تعريب الأندلس..... ص: 179
رابعا: مراحل الشعر الأندلسي ..... ص: 179
المحاضرة الرابعة عشر: الأدب الجزائري القديم..... ص: 189.
أولا: الفتح العربي للجزائر ..... ص: 189
ثانيا: تعريب الجزائر ..... ص: 190
ثالثا: أعلام من الشعر الجزائري القديم..... ص: 190
خاتمة..... ص: 199
ثبت المصادر والمراجع ..... ص: 200
فهرس الموضوعات